الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

مدينة صور في حقبة الحروب الصليبية

(٤٩٨ - ٦٩٠ هجري) / (١٠٩٦ - ١٢٩١ ميلادي)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

نادیا الغزولي

بإشراف

الأستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

الإهداء:

إلى من زرعت شجرة العلم في قلبي ، إلى من ألمح في عينيها نبعاً يفيض حناناً ، يمدني بالثقة يشجعني على العمل .

أمي

إلى الذي بسط راحتيه ليصنع جسر العبور إلى المستقبل ، كلما نظرت إليه هَلَ غيثُ الرجاء و أشرقت شموس الأيام .

أبي

إلى عالم اليوم الحافل ، و الغد الواعد ، إلى دنيا التكاتف و التضامن و التعاون .

إخوتي

إلى المجاهدين في سبيل الله ، إلى شهداء المقاومة الإسلامية الذين بذلوا دمائهم دفاعاً عن الأرض و الحق ، إلى مدينة صور المقاومة ، إلى أهالي جنوبنا اللبناني الصامد .

مدينة صور في حقبة الحروب الصليبية

(٤٩٨-٦٩٠ هجري)/(١٠٩١-١٢٩١ ميلادي)

-تقديم .

-مدخل : دراسة لأهم المصادر و المراجع المستخدمة.

-الفصل الأول: صور قبل الحملة الصليبية الأولى:

أولاً : أ-صور الاسم و الموقع.

ب-الموارد : - الزراعة و موارد المياه.

- الصناعة : صناعة السفن

صناعة الأرجوان

صناعات متفرقة

ج-المزايا: -القرب من الأماكن الأثرية .

-تُعَدُّ ميناء دمشق.

-توسُّطها الطريق بين صيدا و عكا .

-تحولها من جزيرة إلى شبه جزيرة.

-مكانتها المسيحية.

ثانياً : الوضع الإداري:

-الفتح العربي و تبعيتُها لجند الأردن.

-دخولها الصراع السلجوقي – الفاطمي.

-ظهور أسرة ابن عقيل و تشكيل حكومة مستقلة٤٥٥هـ/١٠٦٣م.

-سوء أوضاعها في ظل الدولة الفاطمية.

-الفصل الثاني:

احتلال الفرنجة مدينة صور في (٢٣جمادى الأولى٥١٨هـ/٧تموز١١٢٤م):

أولاً: محاولات الاحتلال الأولى:

أ-الحصار الأول ٤٩٨هـ/١١٠٥م.

ب-الحصار الثاني ٥٠١هـ/١١٠٨م.

ج-الحصار الثالث ٥٠٥هـ/١١١٢م: -مدته و أسبابه.

-أعمال بلدوين الأول و طغتكين أثناء الحصار.

-أسباب إخفاقه.

د-الحصار الرابع ٥٠٦ هـ/١١١٣م.

ه-الحصار الخامس ٥٠٩ هـ/١١١٦-١١١٧م.

ثانياً : احتلال صور :

أ-وضع المدينة قبل الحصار.

ب-وصول الأسطول البندقي.

ج-بنود معاهدة٥١٨ هـ/١١٢٤م الموقعة بين البنادقة و بطريرك القدس.

د-أعمال الحصار.

ه-نتائج سقوط صور بيد الصليبيين.

-الفصل الثالث:

صور من الاحتلال حتى صلح الرملة : (٥١٨-٥٨٨هـ/١١٢٤-١١٩٢ م):

أولاً : صور في ظل حكم ملوك القدس اللاتين قبل حطين:

أ-المشكلة الكنسية.

ب-الوضع السياسي .

ثانياً : صور أثناء معركة حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م:

أ-وصول(كونراد دي مونتفرات) إلى صور في(٥ جمادى الأولى٥٣٨هـ/١٤تموز١١٨٧م).

ب-إخفاق حصار المدينة الأول و أسبابه.

ج-الحصار الثاني في(٢٢رمضان ٥٨٣ هـ/٢٥تشرين الثاني ١١٨٧م) و أسباب إخفاقه.

ثالثاً : صور أثناء الحملة الصليبية الثالثة:

أ-مساعدة كونراد لغي في حصار عكا.

ب-وصول كلٍّ من ملكي فرنسة و إنكلترة .

ج-زواج كونراد من إزبيلا و انقسام الصليبيين إلى معسكرين.

د-محاولة كونراد توقيع صلح منفرد مع صلاح الدين الأيوبي.

ه-مقتل كونراد على يد فرقة الحشيشية.

و-صلح الرملة و بقاء صور بيد الصليبيين.

-الفصل الرابع :

صور من صلح الرملة حتى التحرير (٥٨٨-٦٩٠هـ/١١٩٢-١٢٩١م):

أولاً : صور بعد الحملة الصليبية الثالثة:

أ-صور بعد صلح الرملة.

ب-اتخاذ صور مقراً للنائب الإمبراطوري.

ج-الصراع بين النائب الإمبراطوري و البارونات .

د-عودة صور إلى سلطة البارونات.

ه-الصراع بين جاليات دول إيطالية التجارية.

ثانياً : تحرير صور : ١٨ جمادى الأولى٦٩٠هـ/١٨ أيار ١٢٩١م.

أ-صور في ظل حكم فيليب مونتفرات.

ب-صور في ظل حكم يوحنا مونتفرات .

ج-صور في ظل حكم الكونتيسة مرجريت.

د-تحرير صور.

-الفصل الخامس:

أهم المظاهر الحضارية في صور في الحقبة الصليبية(٤٩٨-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م):

أولاً : الحياة الاجتماعية:-التركيب السكاني في صور .

-مستوطنات دول إيطالية التجارية.

-أحوال المسلمين في صور .

-المحاكم.

ثانياً: الحياة الاقتصادية: -الزراعة و أهم المحاصيل.

-الصناعة و أهم أنواعها..

-التجارة : منذ الحملات الصليبية حتى حطين.

بعد معركة حطين حتى نهاية الحروب الصليبية.

الصادرات و الواردات .

النقود.

ثالثاً: المظاهر العمرانية: -العمران الصليبي العسكري في مدينة صور .

-العمران الصليبي المدني في مدينة صور .

-الخاتمة .

تقديم:

صورْ كفُ البرِّ الممدودةِ إلى البحر ، صورْ فرسُ الجبلِ البريَّة التي تُطلقُ صهيلَها على أَبهةِ الماءِ ، إنّها مدينةٌ تجعلُكَ مليئاً بالدَّهْشَةِ ، و هي غنيَّةٌ بالتَّاريخ ، محمَّلةٌ بالمعاني ، لها صلةٌ مــع البحــر المتوسط كونَها الحانيةَ على طرفيه، مما جعلَها المدينةَ الرسالةَ عبرَ التَّاريخ .

صور إنها ملكةُ الشَّاطئِ ، و درَّةُ البحارِ ، موطنُ الحضارةِ ، إنَّها جزيرةٌ غنيــةٌ بالارتبــاطِ و التفاعُلِ ، عاشتْ معظَمِ حالاتِ التكافُلِ مع جيرانها صيدا و جُبيل و أوغاريــت ، و أعطــى ازدِهارِها الخيرِ و العلمِ و التراثِ ، و ساهَم في تقديمِ حضارةٍ عريقةٍ كان لهــا دورٌ في تطــويرِ الحضارةِ الإنسانيةِ .

قادت بتطورِها السريعِ و سيطرتِها على التجارة في المتوسطِ عمليةَ الانتشار الفينيقّي و تأسيسِ المحطات على مُجملِ حوضِ المتوسطِ ، فكانتْ قرطاجةُ على الساحل التونسي ، و مرســيلية على الشاطئِ الفرنسي ، و قادس في أسبانية ....

و احتضنتْ المسيحية في مهدِها ، و بُنيتْ فيها أول كنيسةً في العالمِ ، و تحولتْ إلى أسقفيةٍ فيما بعد .

و إذا كان معنى صور هو الصخرةُ ، فصورْ هي صخرةُ الصُّمود و التَّصدي ، مثالٌ للمقاومة في وجهِ أيِّ محتلٍّ ، أهدتْ لدنيا الحرفَ فأهدى إليها الحربَ ، عاركتْ أحداثَ الزمانِ و أهوالِه ، و تصدتْ لجحافلِ الصليبيين قرابةَ ربعِ قرنٍ من الزمانِ بصمودِ أهلها و صبرِهِمْ و تحمُّلِهِمْ جورَ المعتدين .

و من ثم لتتحول إلى قاعدةٍ لمملكة القدس الصليبيةِ المنهارةِ بعــد حطــين ٥٨٣هـ/١١٨٧م. و مركزٍ لتأسيس مملكةِ القدسِ الثانيةِ بعاصمتِها عكا ، فافتتحَ هذا الحدثُ حقبةً جديدةً في تاريخِ صور و الحقبةِ الصليبيةِ ، ساعد على زيادة نشاطهِا التجاري ، و جعلها منافساً حقيقياً لمدينــة عكا ، لأنها كانتْ مقراً للجالياتِ التجاريةِ الأهم في إيطالية : البندقيةُ و بيزة و جنوة ، و مــن ثّم علاقتُها مع قبرص و بيروت .

و هنا نقف لنؤكدَ أنَّ تاريخَ صورْ خلالَ الحقبة الصليبيةِ كانَ تاريخاً مليئاً بالأحداثِ ، و لا بد من التعمقِ بدراستهِ لفهمِ التوجيهاتِ الثقافيةِ و السياسيةِ و التجاريةِ التي سادتْ تاريخَ المدينــةِ عبر هذهِ الحقبةِ من الزمنِ، و هذه الأسباب الهامة دفعتني إلى اختيارِها كي تكونَ موضوعاً لهذه الرسالةِ التي جعلتُها بعنوان :

((مدينةُ صورْ في حقبةِ الحروبِ الصليبية ٤٨٩- ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦- ١٢٩١م)) .

و آثرت أنَ أبرز فيها أهمية مدينة صور الجغرافية من حيثُ الموقعِ و الحصانةِ التي تتمتعُ بها ، و أهميتها السياسية ، و دورَها الهام الذي شغلتْهُ إبَّان الحروبِ الصليبِّيةِ ، كونها مدينةً ساحليةً ذاتَ ميناءٍ تجاريٍّ.

و قدْ واجهتني خلال العملِ بها عدة مصاعبَ منها غزارةُ المعلوماتِ السياسيةِ و تناقضِها بينَ المصادرِ العربيةِ و المصادرِ الأجنبيةِ التي تحدثتْ عنْ مدينةِ صور بإسهابٍ .

و قد قُمتُ بتقسيمِ الرسالةِ إلى خمسةِ فصولٍ مهدَّتُ لها بدراسةٍ نقديةٍ للأهمِ مصادرِ الرسالةِ و مدى إفادتي منها .

الفصلُ الأولُ : صور قبل الحملةِ الصليبيةِ الأولى : بدأتُهُ بدراسة شاملة لصور و أهميتها التاريخية ، فتحدثتُ عنْ معنى اسمِها و موقعِها،لأتناولَ بعدَ ذلكَ مواردَها الزراعيةَ ، و مصادرَ المياهِ فيها ، و أهم الصناعات التي اشتهرتْ بها المدينةُ ، كصناعةِ الأرجوان ، و صناعةِ السفنِ و الزجاجِ .

و بينتُ مزايا هذه المدينة و أهمها : أنها كانت ميناء دمشق ، و توسطُّها الطريقَ بينَ صيدا و عكا ، و أهميةُ تحولِّها من جزيرةٍ إلى شبهِ جزيرةٍ على شاطئِ المتوسطِ ، و مكانتِها المسيَّحيةِ .

و أنهيت الفصلَ بالحديثِ عن تابعيتها الإدارية ، فتطرقتُ إلى الفتحِ العربيِ للمدينةِ و إلحاقِها بجندِ الأردنِ ،و من ثمَّ دخولِها الصراع السلجوقّي الفاطميّ ، و تأسيسِ أسرةِ بني عُقيل فيها ، و سوءِ أوضاعِها في ظّل الدولةِ الفاطميَّة .

الفصلُ الثاني : احتلالُ الفرنجةِ مدينةَ صور في ٢٣ جمادى الأولى ٥١٨هـ/ ٧ تموز ١١٢٤م و تمَّ فيه :

- توضيحُ أهميةِ الساحلِ للفرنجةِ و تحويلُ صورْ إلى حصن أزعج الصليبيين .
- ثم الحديثُ عن الحصارِ الأولِ و بناءِ حصنِ تبنينَ ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م .
- الحصار الثاني ٥٠١هـ/ ١١٠٨م و بناءِ حصنٍ على تلِ المعشوقةِ .
- الحديثُ عن الحصارِ الثالثِ عام ٥٠٥هـ/ ١١١٢ م و أهميتهُ و أسبابُ إخفاقهِ .
- الحصارُ الرابعِ في العام ٥٠٦هـ/ ١١١٣ م و الخامس في العام ٥٠٩هـ/ ١١١٦- ١١١٧ م و بناءُ قلعة اسكاندليون.
- احتلالُ صور و وصولُ الأسطولِ البندقّي و توقيعُ معاهدةِ ٥١٨هـ/ ١١٢٤م . بين البنادقة و بطريرك القدسِ ، و نتائجُ سقوطِ صور بيد الصليبيين .

الفصلُ الثالثُ : و يشملُ دراسةً لأوضاعِ صور من الاحتلال حتى صُلح الرملة :

(٥١٨-٥٨٨هـ/١١٢٤-١١٩٢م) و قد تركزَ الحديثُ فيه عن :

صور في ظلّ ملوكِ القدس اللاتين قبلَ حطين ، و المشكلة الكنسية التي واجهتهم ، و الوضعَ السياسي للمدينة أثناء معركة حطين ، ولجوء ريموند الثالث و بالين أبلين إليها أثناء المعركةِ .

- ثمّ وصولَ كونراد دي مونتفرات في ٥ جمادى الأولى٥٨٣هـ/ ١٤ تموز ١١٨٧م.

-إخفاق صلاح الدين في حصارها و عدمُ تمكنه من فتحها و أسبابُ ذلكَ.

- مساعدة كونراد لملك القدس (غي) في حصار عكا .

- وصول ملكي فرنسة و إنكلترة و انقسامُ الصليبيين إلى معسكرين .

- مقتل كونراد و استلام هنري كونت شامبين زعامة الصليبيين .

- صلح الرملة و بقاءُ صور بيد الصليبيين

الفصلُ الرابعُ : صور من صلح الرملة حتى التحرير ٦٩٠هـ/١٢٦١م:

تحدثتُ فيه عن وضعِ صور بعد صلحِ الرملة و تحويلِ كنيستها إلى مقرٍ لتتويج ملوكِ القدسِ اللاتين.

- ثم اتخاذها مقراً للنائب الإمبراطوري فلانجييري .

- الصراعُ بين النائب الإمبراطوري و بارونات المملكةِ القدامى .

- عودةُ صور إلى سلطة البارونات في المملكةِ.

- بدايةُ الصراع بين جاليات دول إيطالية التجاريةِ و نتائجهِ على صور .

- و تضمنَّ الفصلُ دراسةَ تحريرِ صور من الصليبيين فتحدثتُ فيه عن :

- وضعِ المدينةِ في ظلِ حكمِ فيليب مونتفرات .

- وضعُ المدينةِ في ظل حكمِ يوحنا مونتفرات .

- وضع المدينةِ في ظل حكمِ الكونتيسة مرجريت .

- تحرير المدينة و تهدمِ تحصيناتها .

الفصلُ الخامسُ : أهمُ المظاهرِ الحضاريةِ في صور تحت الحكمِ الصليبي

(٤٨٦-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١ م) :

درستُ فيه الحياةَ الاجتماعية للمدينة من حيثُ التركيبِ السكاني و مستوطنات دول إيطاليـة التجارية ، وأحوال المسلمين في صور و المحاكم . أما الحياةُ الاقتصاديةُ فكانتْ حولَ الزراعة ، و أهم محاصيلها ،و الصناعة و التجارة و أهمِ الصادرات و الواردات ، و النقود الخاصَّةِ الـتي

سكتّها صور في هذه الحقبة.و ختمتُ الفصلَ بدراسةِ المظاهرِ العمرانية الصليبية العسكرية منها و المدنية .

و أنهيت رسالتي بخاتمة تعرضتُ فيها لأهم النقاط التي تمّ تحليلها، و أهمَ النتائج التي تمّ التوصـلِ إليها ، وذلك بغرض الوصولِ إلى الخطوط العامة، و الميزات التاريخية لمدينة صور أيام الحروبِ الصليبية .

و أرجو أن تكونَ هذه الدراسة مرجعاً هاماً في المكتبةِ العربيةِ ، تفيد طلابنا الأعزاء و المتتـبعين للتاريخ العربي و المهتمين ، و تعرفهمُ على أهمِ مرحلةٍ من مراحل تاريخِ مدينةِ صور العريق ، بما احتوتهُ من معلوماتٍ هامةٍ و قيمة.

و ختاماً لا يسعني إلاّ أنْ أقدمَ شكري و عظيمَ أمتناني و عرفاني لأستاذي الفاضـل الـدكتور سهيل زكار ، الذي تفضّل مشكوراً بالأشراف على رسالتي و أرشدني إلى الطريقـة المثلـى للدراسة ، فضلاً عن تشجيعه لي في مواصلة البحث ، و تزويدي بتوجيهاته الحكيمةِ، و بـأهم مصادر الرسالة و مراجعها من مكتبته الذاخرة بنفائس الكتبِ و أهمها ، فجزاه الله عني و عن العلمِ الخيرَ الجزيل .

مدخل:

دراسة لأهم المصادر و المراجع المستخدمة :

تتطلب دراسة الحروب الصليبية الرجوع إلى عدد كبير من المصادر الأوربية و الإسلامية ، من أجل التعرف على وجهتي النظر الغربية و الإسلامية ، و إجراء المقارنات و الموازنات بين الأحداث التاريخية المختلفة من أجل الوصول إلى الحقيقة التاريخية المجردة .

هذا إلى جانب أن المصادر الإسلامية و الغربية تعد متممة لبعضها بعضاً ، ولا غنى للباحثين في تاريخ الحركة الصليبية من الاعتماد عليها .

و لما كان موضوع هذا البحث يتناول دراسة صور في الحقبة الصليبية كان لا بد من الاعتماد على الكثير من المصادر التاريخية الإسلامية و الأوربية المعاصرة لتلك الحقبة لما احتوته هذه المصادر من معلوماتٍ تلقي الضوء على الجوانب الحضارية للمدينة .

و أول ما نلاحظه هو أن مصادر الحروب الصليبية كتبت بأكثر من لغة ، و انتمت إلى العديد من الآداب و الديانات ، لأن هذه المصادر كتبت أصلاً من قبل مسلمين و مسيحيين ، فكتب المسلمون باللغة العربية ، أما المصادر المسيحية غير العربية فكتبت غالبيتها باللاتينية أو الفرنسية القديمة ، و بعضها بالإغريقية و الأرمنية و السريانية .

و تعدُّ المادة التاريخية التي قدمتها المصادر العربية الإسلامية أهم المقومات التي اعتمد عليها البحث ، وقد صنفتها إلى مصادر تاريخية و مصادر جغرافية ، و بدأت بالمصادر التاريخية الشامية التي قسمتها إلى حوليات و سير و تراجم، أما الحوليات فيأتي على رأسها كتاب :

تاريخ دمشق ٣٦٠-٥٥٥هـ/٩٧١-١١٦٠م ، لمؤلفه : ابن القلانسي (١)

و يعدُّ هذا الكتاب أهم المصادر العربية التي بحثت في تاريخ بلاد الشام بصفةٍ عامةٍ ، و تاريخ دمشق بصفةٍ خاصةٍ ، حيث تناول في كتابه تلك الحقبة الحرجة التي شهدت نزوح الغز و سيطرة السلاجقة على بلاد الشام ، و كذلك الغزو الصليبي للساحل و الاستيلاء على بعض المدن ، كما تتبع خطوات إقامة الوحدة الإسلامية ضدَّ الصليبيين ، وسجل كثيراً من أخبار الحروب التي وقعت ضدهم حتى تاريخ وفاته ٥٥٥هـ/١١٦٠م.

---

(١) ابن القلانسي : هو أبو يعلى حمزة بن رشد الدمشقي ، ولد سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م ، اهتم بدراسة العلوم الدينية و الآداب ، وأمضى معظم حياته في ديوان الإنشاء بمدينة دمشق ، وأصبح رئيساً للديوان و كان دقيقاً و موضوعياً في كل ما تطرق إليه من كتابات ، و لعل منصبه جعله أكثر قرباً من الأحداث ، و مكنه من الإطلاع على المراسيم و الوثائق . تاريخ دمشق ، ابن القلانسي ، تحقيق: د.سهيل زكار . ط١ ، ١٩٨٣م، المقدمة . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د.سهيل زكار ، دمشق ١٩٩٥م ج ١١/الصفحة (ت_ ح) .

و من الجديرِ بالذكرِ أنَّ المؤلف اتبع المنهج الحولي حيثُ سجل الأحداث سنةً تلو الأخرى ، و قد تميزت كتاباتهُ بأنها تفصيليةٌ دقيقةٌ ، كما أنها تعدُّ مصدراً لكثير من المصادر العربية ، و ذلك لأن كثيراً من المؤرخين المتأخرين نقلوا عنه نسبياً.

و فيما يخص موضوع الرسالة أشار ابن القلانسي بشكلٍ مفصلٍ إلى حصار مدينة صور في العام ٥٠٥هـ/١١١٢م ، وأفاض في الحديث عنه متتبعاً أحوال أهل البلد و مقاومتهم للحصار ، و مبيناً حجم المساعدات التي قدمها طغتكين لهم ، و هدفه من إنقاذ صور ، موضحاً أن إخفاق الحصار كان بسبب إحراق الأبراج ، وحالة اليأس التي وصل إليها الصليبيون بعد إحراقهم.

و تعدَّ رسالة طغتكين التي أرسلها إلى الوزير الفاطمي لاستلام ثغر صور عام ٥٠٦هـ/١١١٣م وثيقةً تاريخية وضحت للباحثة نوع العلاقة بين مصر و دمشق في تلك الحقبة .

و على العكس من ذلك نجد أن ابن القلانسي أثناء احتلال الصليبيين لمدينة صور اكتفى بذكره بشكلٍ مقتضبٍ جداً ، محملاً ظهير الدين و الحامية التركية التي أرسلها مسؤولية سقوطها في العام ٥١٨هـ/١١٢٤.

و هنا نلاحظ أن ابن القلانسي اكتفى بهذا القدر من الكلام عن صور ، و ربما لخسارتها و بُعَد المسافة ، و تحويل المدينة إلى ثغرٍ صليبي لم يتسنَ لابن القلانسي كتابة أخباره .

أما كتاب: **الكامل في التاريخ ، لصاحبه ابن الأثير (١) المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م:**

فهو أضخم الكتب التاريخية ، و أكثرها تنظيماً في المكتبة الإسلامية المتخصصة ، و مما يتميز به المؤرخ في كتابه أنه كان كثيراً ما يجمع بين عناصر الحادثة الواحدة التي تقع في عددٍ من السنين، ويصل بين أجزاءها ليكتبها في سنةٍ واحدةٍ و في مكانٍ واحدٍ ، و هو بذلك لم يلتزم دائماً بأسلوب الكتابة الحولية .

وقد أمد ابن الأثير الباحثة بمادة تاريخية وفيرة ساعدت على دراسة بعض الجوانب و الأحداث الهامة التي لم يذكرها ابن القلانسي المعاصر لها ، و منها أحداث حصار عام ٥٠٥هـ/١١١٢م و ملابساته، بالإضافة إلى المعلومات العسكرية التي ذكرها و التي ساعدت على تتبع الأوضاع

ابن الأثير : هو عز الدين أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، ولد بالجزيرة في اليوم الرابع من جمادى الأولى عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م . وانتقل إلى الموصل مع والده ، وكان إماماً في حفظ الحديث و حافظاً للتواريخ المتقدمة و المتأخرة ، كما كان خبيراً بأنساب العرب ، وأخبارهم وأيامهم ، و صنف عدة تصانيف منها كتاب : الكامل في التاريخ ابتداه من أول الزمان حتى ٦٢٨هـ/١٢٣٠-١٢٣١م . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط١، بيروت ١٩٩٧م،ص.د.هـ، ابن الأثير ، الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق : عبد القادر طليمات، مصر١٩٦٣،ص٧.

الداخلية لمدينة صور خلال الحملة الصليبية الأولى.

و من الأحداث التي تناولها ابن الأثير باستفاضة و كانت لها أهميتها بالنسبة لموضوع البحث تعرضه لفتوحات صلاح الدين الأيوبي بشكلٍ مفصلٍ ، و ذكره لأسباب إخفاق صلاح الدين في حصار صور ، و إن كانت الأسباب التي عرضها منطقيةً من حيثُ ضعف القوة البحرية الإسلامية و ملل الجنود من طول الحصار ، و حلول فصل الشتاء بأمطاره و برده ، لكنها لم تمنع ابن الأثير من إلقاء اللوم على صلاح الدين في إخفاق الحصار .

و تعليل ذلك موقفه غير الصديق من صلاح الدين ، فهو من حزب الأتابكة ، و مما يؤخذ عليه اضطرابه في رواية الأحداث و الخلط فيما بينها ، و عدم التحقق من صحتها أحياناً و على سبيل المثال : تناوله اتفاق صلاح الدين مع الحشيشية على قتل (كونراد دي مونتفرات) .

أما سبط ابن الجوزي (١) فهو يعتمد على جده ابن الجوزي ، و غيره من التواريخ العامة في الأقسام الأولى من كتابه : **مرآة الزمان** ، و لكنه منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري يقدم روايات أصلية لا نجدها في المصادر الأخرى ، و القسم الثاني الذي نشر من كتابه يتناول الحقبة بين (٥١٠-٦٥٤هـ/١١١٦-١٢٥٦م) ، و فيه عدد من الروايات المهمة التي انفرد بها سبط ابن الجوزي ،و التي تلقي ضوءاً على علاقات الأيوبيين بالصليبيين والصليبيين بالتتر.

و اعتمدت الباحثة أيضاً على كتاب **الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية** : للمؤرخ **أبي شامة** (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م) (٢) وهذا المصدر يُعد مهماً لدراسة أحوال الشرق الإسلامي خلال عصر الصراع الإسلامي الصليبي ، حيث اعتمد المؤرخ في تدوينه على عددٍ آخر من المصادر العربية مثل كتاب يحيى بن أبي طيء ، إضافةً إلى عددٍ آخر من المصادر المعروفة

---

(١) سبط ابن الجوزي: شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاأوغلي٥٨٢-٦٥٤هـ/١١٨٦-١٢٥٦م ،ترعرع في كنف جده، فغدا أشبه الناس به ، لاسيما في مجال الوعظ و التأثير بالشعب ،كانت له علاقات وطيدة مع أبناء العادل الأيوبي لاسيما الأشرف ، أفسدها تنازل الملك الكامل عن بيت المقدس للإمبراطور فردريك ، فانتقد سبط ابن الجوزي الأشرف لتخليه عن القدس .الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د.سهيل زكار ،دمشق ١٩٩٥، ١٥/٦-٨.

(٢) أبو شامة : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الأصل الدمشقي ٥٩٩-٦٦٥هـ/١٢٠٣-١٢٦٧م .عُرف المؤرخ باسم أبي شامة لوجود شامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر ، تعلم الفقه و الحديث ببيت المقدس ، وقد صنف عدة كتب ، و كان متواضعاً بعيداً عن التكلف ، ثقة في النقل . أبو شامة ، الذيل على الروضتين ، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني ، بيروت ،ط١، ١٩٤٧م،ص٣-٤، أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، بيروت ط١، ١٩٩٧م ، ص٥. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د. سهيل زكار ، دمشق ١٩٩٥م، ١٧/٥-٦.

المتقدمة عليه.

و هناك عدة أحداث تناولها أبو شامة بإسهاب واضح ، منها تتبع معارك صلاح الدين الأيوبي مع الصليبيين حتى تم تحرير القدس ، و ذكر أسباب إخفاقه في حصار صور ، و تخاذل جنده عن متابعة الحصار ، و تعللهم بحلول فصل الشتاء .

و من المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة كثيراً كتاب : **الفتح القسي في الفتح القدسي** لمؤلفه : **العماد الأصفهاني** (١) المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م، الذي كان الكاتب الملازم لصلاح الدين الأيوبي ، حيث أفرد لتاريخ هذا القائد و إنجازاته مصنفين كاملين من بين مصنفات ستة قام بوضعها و هما: الفتح القسي في الفتح القدسي الذي سجل فيه أحداث استرداد فلسطين و مواجهة جحافل الحملة الصليبية الثالثة ، و البرق الشامي الذي تناول بعض الأحداث بمزيد من التفصيل ، و كلا العملين يُعد جمعاً متزامناً لمجموعةٍ من الذكريات الشخصية و سيرة صلاح الدين الأيوبي ، إذ يذخران بكثير من أقواله و وثائقه التي حررها و صديقه القاضي الفاضل .

و ترجع أهمية هذين المصدرين إلى كون صاحبهما من رجال الإدارة والحكم في عهد صلاح الدين الأيوبي ، وأحد كتّابه المقربين ، والقائمين على الأمور بديوان إنشائه ، والمطلعين على مراسلاته و وثائقه ،فلا غرو أن ينقل عنه خلفاؤه من المؤرخين المسلمين الذين أرخو لصلاح الدين ، لذلك يمكن إدراج كتابهِ ضمن كتب السير ، و قد كان غزير الإنتاج و لكنّه ابتلى بالصنعة ، وأغرق كتاباتهِ في السجع مما جعلها صعبة الفهم .

و بالنسبة لموضع البحث أفادت الباحثة من الروايات التي ساقها العماد و نقلها عنه اللاحقون ، و منها ما يتعلق بفتوحات صلاح الدين ، و خط سيره بدقةٍ ، و الأحداث التي مرت أثناء حصار صلاح الدين لمدينة صور ، و أسباب إخفاقه مبيناً أهمية عسقلان كونها بوابة القدس ، و صلة وصلٍ هامةٍ بين مصر و بلاد الشام ، طريقاً للقوافل العربية ، و هي الأسباب التي جعلت صلاح الدين يهتم بفتحها بدلاً من صور ،بالإضافة إلى ما ذكره العماد من معلومات عن أحداثٍ صليبيةٍ وقعت داخل المعسكر الصليبي أثناء الحملة الثالثة منها تحالف (كونراد) و (غي) ضد صلاح الدين للاستيلاء على مدينة صيدا ، و زواج (هنري دي شامبين) من إزبيلا بعد طلاقها من زوجها الأول .

---

(١)العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق: محمد محمود صبح .ب.ت، ص٢٣-٣٤. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د.سهيل زكار ، دمشق ١٩٩٥م، ٣/١٣-٤.

و احتفال صور بهذا الزواج في يوم الخميس ١٥ ربيع الأخر ٥٨٨هـ/ ٣٠ نيسان ١١٩٢م .

و من كتب السير الشامية المهمة التي أفادت منها الباحثة كتاب : **النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية المعرف بسيرة صلاح الدين لمؤلفه : ابن شداد (١) .**

و هو قاضي عسكر صلاح الدين ، و الفقيه الأول لديه ، و شاركه ألام حصار عكا ، و التصدي لما عرف بالحملة الصليبية الثالثة ، و ما برح معه حتى يوم وفاته .

و فيما يخص سيرة صلاح الدين هو أهم كتاب كاملٍ وصلنا في بابه ، أكبر أهمية مما كتبه العماد الأصفهاني ، لأنه كتبه بدون تكلفً و لا صفةٍ كلاميةٍ ، و تكمن أهمية كتاب ابن شداد أن واضعه كان معاصراً للأحداث التي أرخ لها ، فاتخذ في عرض مراده أسلوباً خاصاً به ، استوحاه من الفراغ العظيم الذي نتج عن وفاة صلاح الدين ، و استهدف به ، احتذاء المثل الأعلى الذي ضربه صلاح الدين ، و كأنه بذلك كان يتوجه باللوم إلى بني أيوب الذين عاشوا بعد صلاح الدين للملذات الفردية، و الصراعات الداخلية ، و مع ابن شداد رأى أن صلاح الدين مثلاً للحاكم المسلم الملتزم بعقيدته المنصرف نحو الجهاد و تحرير الأرض ، فإنه لم يخترع شخصية بطله ، بل دون الحقيقة لأن صلاح الدين كان عظيماً مثلما وصفه ابن شداد بل أكثر عظيمةً .

و النقاط الهامة التي تتعلق بموضوع البحث كانت أحداث الحملة الصليبية الثالثة ، و وضع صور بعد استيلاء كونراد عليها ، ثم خلافه مع رتشارد قلب الأسد ، ومحاولته عقد الصلح المنفرد مع صلاح الدين ، و بينَ ابن شداد موقف صلاح الدين من هذا الصلح بهدف الوصول إلى أفضل الشروط للصلح مع رتشارد، كما عرض ابن شداد بشكلٍ مفصلٍ أخبار المباحثات التي جرت بين صلاح الدين و رتشارد و التي انتهت بصلح الرملة .

إضافة إلى ما ذكره ابن شداد عن أوضاع المعسكر الصليبي ، و الخلافات التي جرت بين كونراد دي مونتفرات و رتشارد قلب الأسد .

و أهم المصادر التاريخية المصرية التي اعتمدت عليها الباحثة أثناء الدراسة كتاب :

---

(١)ابن شداد :هو بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ، شهير بابن شداد نسبة إلى أخواله ، ولد بمدينة الموصل سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م، تعرف إلى صلاح الدين أثناء أخذه الموصل ، ثم لازمه بعد تحرير القدس ، و شاركه ألام حصار عكا ، و صنف عدة مصنفات منها "دلائل الأحكام في الأحاديث التي استنبطت منها الأحكام" ، توفي سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م. ابن شداد ، النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية ، تحقيق: جمال الدين الشيال، ١٩٦٤م. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، د.سهيل زكار ، دمشق ١٩٩٥م، ٣/١٥-٥.

نهاية الأرب في فنون الأدب ، لمؤلفه: **شهاب الدين أحمد النويري** . (١) و لقب بـالنويري نسبة إلى نويرة و هي قرية من قرى بني سويف في أرض الكنانة ،نال النويري ثقافةً جيدةً ، وعمل في الوراقة بحيث كان ينسخ الكتب و يبيعها .

و يأتي النويري على رأس الموسوعيين العرب ، وذلك من خلال كتابه العملاق : نهاية الأرب في فنون الأدب ، وجاء هذا الكتاب في ثلاثين مجلداً، وهو كتاب موسوعي يضم مادةً اقتصاديةً و اجتماعيةً هامة و قد أفدت الباحثة مما ذكره من معلوماتٍ عن أخبار السلاجقة من بلاد الشام و علاقتهم بمدينة صور و حكامها آنذاك .

بالإضافة إلى ما أورده من معلوماتٍ عن دولة صلاح الدين الأيوبي ، وتصديه للحملة الصليبية الثالثة .

و من أبرز كتاب السير المصريين **ابن عبد الظاهر**(٢) ، الذي أرخ للعديد من سلاطين المماليك ، فجاء نتاجه عبارةٍ عن سلسلةٍ مترابطة استطاعت الباحثة من خلالها دراسة أحوال مدينة صور في أهم مرحلة من مراحل تاريخها و هي المرحلة التي سبقت عملية التحرير من الاحتلال الصليبي .

فابن عبد الظاهر كان كاتباً و شاعراً ، حاكى القاضي الفاضل في أسلوبه ، و التزم السجع ، و اتبعَّ المحسنات البديعية ، كان شيخاً للقراء في الديار المصرية ، وقد حاز ثقة بيبرس بعد توليه الحكم فسلمه ديوان الإنشاء ، و هو منصب متميز كان يتطلب من صاحبه أن يقرأ جميع الرسائل الواردة ، و أن ينشئ جميع الوثائق الهامة .

و استمر ابن عبد الظاهر في هذا العمل في عهد بيبرس و في عهد المنصور قلاوون و في عهد الأشرف خليل ، و كان له شأن كبير إبان حكم هؤلاء جميعاً.

و هذا ما جعل كتابه الأول : **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** ، و الذي أرخ فيه لسيرة الملك الظاهر بيبرس يذخر بما اقتبسه المؤلف من الوثائق الرسمية التي يتعلق بعضها بالأمور السياسية للدولة.

---

(١) النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د . سهيل زكار ، دمشق ١٩٩٥م، ٤/٢٢.

(٢) ابن عبد الظاهر : هو القاضي محيي الدين عبد الله رشيد الدين السعدي المصري ٦٢٠-٦٩٢هـ/١٢٢٣-١٢٩٢م، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، ابن عبد الظاهر ، تحقيق : عبد العزيز الخويطر ، ط١، ١٩٧٦م ، ص١٠-١٢. تشريف الأيام و العصور في سيرة الملك المنصور قلاوون ، ابن عبد الظاهر ، تحقيق: مراد كامل ، مراجعة : محمد علي النجار ،الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦١م.

فقد اطلع على هذه الوثائق و استفاد منها في مؤلفه ، وكما أتاح له عمله مقابلة الرسميين و حضور مجالس السلطان ، وسماع المناقشات المختلفة ، والسفر مع السلطان في حملاته ، هذا كله مع معلوماته الشخصية وضعه بمنزلة شاهد عيان لحوادث فريدة.

و بالنسبة لموضوع البحث فقد أفادت الباحثة من الروايات التي ذكرها ابن عبد الظاهر عن علاقة بيبرس بحاكم مدينة صور فيليب مونتفرات و ابنه يوحنا مونتفرات ، وعلى الرغم من تتبع ابن عبد الظاهر لتحركات بيبرس بشكلٍ مفصلٍ إلا أنه أغفل نص المعاهدة التي وقعها بيبرس مع يوحنا مونتفرات ، واكتفى بذكرها بشكلٍ مقتضبٍ جداً ، كما أغفل بعض الأخبار التي كان يشم منها ما يخدش السلطان ، وربما هذا ما جعله يغفل ذكر اتفاق السلطان بيبرس مع الحشيشية لقتل فيليب مونتفرات في صور .

و لكنه حين أرخ للسلطان قلاوون بكتاب: **تشريف الأيام و العصور في سيرة الملك المنصور قلاوون :** ذكر نص المعاهدة الموقعة بين السلطان قلاوون و كونتيسة صور مرجريت ، و هي تُعدُ وثيقةً تاريخيةً هامة ساعدت على دراسة عدة جوانب في تاريخ مدينة صور .

فأوضحتْ هذه المعاهدة وضع الصليبيين السياسي المتدهور في صور ، و هذا ما دفع مرجريت إلى توقيع هذه المعاهدة ، التي تنازلت بموجبها عن غلاة عدة قرى لسلطان المماليك ، وجعل غلاة القرى الأخرى مناصفةً ، مع التعهد بعدم تجديد تحصينات المدينة .

و حين أتى ابن عبد الظاهر على ذكر المدن التابعة لبارونية صور أوضح المساحة الجغرافية التي كانت تحتلها تلك البارونية ، والتي انعكست بشكلٍ مباشرٍ على الوضع الاقتصادي ، فزادت مساحة الأراضي المزروعة و عدد الطواحين و معاصر الزيتون في المدينة ، و هذا بين بشكل جلي أهمية مدينة صور في دعم الاقتصاد الصليبي .

إلى جانب المصادر التاريخية العربية اعتمدت الباحثة على ما كتبه الرحالة و الجغرافيون في محاولة لاستكمال كافة جوانب البحث ، و في الحقيقة أَخَذتْ كثيراً من كُتبهم إذ أنها عالجت بعض جوانب البحث و خاصةً فيما يتعلق بدراسة النواحي الحضارية ، ولعل أهم المصادر التي عاصرت الوجود الصليبي في صور كتاب : **رحلة ابن جبير** لمؤلفه : **ابن جبير** : المتوفى سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧ م و تستمد كتابات ابن جبير قوتها من خلال تدوينه للأحداث التي واكبها ، فكان شاهد عيان لها ، حيث قام بزيارة بلاد الشام و مدينة صور تحديداً في الحقبة ٥٧٨-٥٨١هـ/ ١١٨٢- ١١٨٥م ، و تمخض عن ذلك تقديمه وصفٍ دقيقٍ لأحوال المسلمين في صور.

كما أورد وصفاً عاماً للمدينة و عدد المساجد و الخانات فيها ، ودون ملاحظاته بدقةٍ بعد مقارنتها مع مدينة عكا ، و فضلاً عن النقاط التي انفرد ابن جبير(١) بذكرها فقد أسهب في عرض جانبٍ مهم من الحياة الاجتماعية الصليبية التي تأثرت بشكل مباشرٍ بالحياة الاجتماعية الشرقية من خلال ذكره للعرس الفرنجي الذي شاهده في صور .

و من المعاجم الجغرافية التي عادت إليها الباحثة كتاب :

معجم البلدان لياقوت الحموي (٢)، و هو موسوعة جغرافيةٌ قائمةٌ بذاتها و الذي أكسبه أهميةً خاصةً أنه دون بعد أمدٍ وجيزٍ من انتهاء الوجود الصليبي في بعض مناطق بلاد الشام إذ توفي صاحبه في عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م و فيه تحدث عن البلدان و الأقاليم و المدن و الجبال و الأنهار ....

و كتاب معجم البلدان مرتب حسب الحروف الأبجدية و لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ أي منطقةٍ من مناطق الوطن العربي و العالم الإسلامي .

و من الجوانب المهمة فيه ذكره لأبعاد مدينة صور و لصفاتها و للمسافة بينها و بين باقي المدن .

و مع المادة الوفيرة التي قدمها ياقوت يبدو أن المنهج الذي اتبعه في كتابه المعجم قد أدى إلى تناوله بعض الأفكار باختصار، مثل إغفاله المساعدات التي قدمتها دمشق لصور أثناء حصارها في العام ٥١٨هـ/ ١١٢٤ م .

إضافة إلى مصادر الرحالة المعاصرين للحركة الصليبية في بلاد الشام هناك مجموعةٌ من المصادر التي لا غنى عن الرجوع إليها لرحالةٍ مسلمين تقدموا زمنياً على الغزو الصليبي أو جاؤوا بعده .

و لعل أهم كتب الرحالة المتقدمين كتاب :

---

(١) ابن جبير : هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي البلنسي ، ولد في بلنسية ، كان من علماء الأندلس في الفقه و الحديث . لكن شهرته لم تقم إلا على كتابه المعروف برحلة ابن جبير التي بدأها في ١٩شوال ٥٧٨هـ/٣شباط١١٨٢م ، وختمها يوم الخميس٢٢محرم٥٨١هـ/٢٥نيسان١١٨٥م ، وصف في هذه الرحلة كل ما مر به من مدن و ما شاهده من عجائب ، كما تطرق للأحوال السياسية و الاجتماعية و الأخلاقية . ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، بيروت١٩٥٩م، ص٥-٦.

(٢) ياقوت الحموي : هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنسية، الحموي المولد، البغدادي الدار، الملقب شهاب الدين ، أسر من بلاده صغيراً و ابتاعه ببغداد تاجر و جعله في الكتاب لينتفع به في ضبط تجارته ، وبعد عتقه عمل بالنسخ بالأجرة ، و حصلت له بالمطالعة فوائد كثيرة استطاع من خلالها تصنيف كتابه .

ياقوت الحموي، معجم البلدان ، تحقيق:فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت ١٩٩٠م،١٠/٧-٨.

سفر نامة ، لصاحبه الرحالة الفارسي :**ناصر خسرو** (١):

الذي زار فلسطين ٤٣٩هـ/١٠٤٧م . و خلف لنا وصفاً لرحلته يدل على أنــه كـــان يـــدون مشاهداته بالتتابع ، و الرحلة غنية بالمعلومات التي تلقي ضوءاً علــى الكــثير مــن الأحــوال الاقتصادية و الاجتماعية فلامست بذلك نواحي هامة في موضوع الدراسة :من وصفٍ لغــنى المدينة ، و أسواقها العامرة بالبضائع الرائجة ، و أبنيتها العالية ، و كيفية وصول المياه إليها من الجبال المحيطة بها، ثم ذكره المسافة بين دمشق و صور و عكا موضحاً أن صور ميناء دمشــق على المتوسط .

أما عن الحقبة ما بعد الحروب الصليبية في الشام فيأتي في الصدارة كتاب:

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار و هو أشهر ما كتبه : **شهاب الــدين ابــن فضــل الله العمري** (٢) :

و عرضت الباحثة في هذا الموضوع إلى الجزء الأول من هذه الموسوعة و هو تحت عنوان دولــة المماليك الأولى الذي ضمنه العمري معلومات هامة عن موضوع مدينة صور في ظــل دولــة المماليك ، و أبرز أهمية كاتدرائيتها في تتويج ملوك قبرص، على الرغم من خرابها علــى يــد الأشرف خليل بن قلاوون بعد فتحها في العام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

إلى جانب هذا كله تمت العودة أحياناً إلى ما كتبه بعض الجغرافيين مثــل : اليعقــوبي و ابــن خرداذبة و القزويني و القلقشندي، إضافة إلى الكتب التاريخية الأخرى مثل :مفرج الكروب لابن واصل ، والسلوك في معرفة دول الملوك للمقريزي ------------

إلى جانب المصادر العربية التي استفادت منها الباحثة هناك العديد من المصادر الأجنبية المطبوعة و المترجمة عن لغتها الأصلية.

---

(١)ناصر خسرو : ولد في بلدة من أعمال بلخ بإقليم خراسان في عام ٣٩٤هـ/١٠٠٣م. سافر إلى الحجاز لتأديــة فريضة الحج و قام برحلات طويلة في الشرق . توفي عام٤٨١هـ/١٠٦١م.

ناصر خسرو ،سفر نامة، تر:أحمد البدلي، الرياض، ١٩٨٣م، ص٥-٦.

(٢) ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى ولد بدمشق ٧٠١ هـ/١٣٠٢م،وقد نال ابن فضل الله معارف جمة مما توفر في عصره ، وحقق مهارةً واسعة في كتابة الإنشاء و الأعمال الديوانية وأكسبه هذا معلومات موســوعية حول عصره من جميع الجوانب ، هذا بالإضافة إلى العديد من رحلاته في البلاد الإسلامية أيام الدولة المملوكية .

ابن فضل الله العمري ، مسالك الأمصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : دوروتيا كرافولسكي ،ط١، بيروت ١٩٨٦م، ص١٠-١٣. الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د. سهيل زكار ،دمشق ١٩٩٥م، ٣/٢٣-٤.

و يأتي أولها كتاب : **أعمال الفرنجة الحاجين لبيت المقدس** ، للمؤرخ الصليبي:
فوشيه دي شارتر (١) . و تكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه فوشيه قد عاصر أحداث الحملة الصليبية الأولى ، و استيطان اللاتين في الشام ، و كان شاهد عيان لمعظم الأحداث التي دونها في كتابه ، علاوة على أنه استقى بعض المعلومات الأخرى من شهود عيان ، و من الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوربي .
و على هذا يعدّ كتابه من المصادر الدقيقة و الهامة لدراسة العقود الزمنية الثلاثة الأولى من عمر الكيان اللاتيني في الشرق ، و هو يتألف من ثلاثة أقسام كل قسم منها كتاب قائم بذاته.
و تتجلى أهمية مصدر فوشيه في أنه ذكر أحداثاً لا يمكننا القول بأنه انفرد بها إذ نقل عنه مؤرخون صليبيون جاؤوا بعده ، إلا أنه يرجع الفضل إليه نظراً لأسبقيته في تسجيلها ، و منها ما يتعلق ببناء قلعة اسكانداليون من قبل الملك بلدوين الأول ، و وصول الأسطول البندقي إلى سواحل بلاد الشام ، لكنه بالمقابل أغفل الكثير من الأحداث المهمة و منها عدم الإشارة من قريب أو من بعيد إلى نص المعاهدة الموقعة بين البنادقة و بطريرك القدس ، كما أنه لم يتعرض إلى حصار ٥١٨هـ/١١٢٤ م بشكلٍ مفصل إنما اكتفى بذكر الأشياء المهمة فقط التي بينت مكانة صور لدى مملكة القدس .
و من المصادر التاريخية الأجنبية التي أفادت الباحثة في دراسة مدينة صور في الحقبة الصليبية كتاب :**تاريخ الأعمال التي تمت وراء البحار لمؤلفه وليم الصوري**(٢):
و قد رجعت الباحثة إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب من قبل الدكتور سهيل زكار .

---

(١)ولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسة في الفترة الواقعة بين سنتي ٤٥٠-٤٥١هـ/١٠٥٨-١٠٥٩م، و اشترك في الحملة الصليبية الأولى ، و كان مرافقاً للملك بلدوين دي بورغ ، و أقام معه في الرها حيث كان يحكم ، ثم انتقل معه إلى بيت المقدس ، و بقي ملازماً له حتى وفاته في عام ٥١١هـ/١١١٨م، ثم إن فوشيه مكث في بيت المقدس حتى عام ٥٢١هـ/١١٢٧م. فوشيه دي شارتر،تاريخ الحملة إلى القدس،ترجمة: د.سهيل زكار ،من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، ١٩٩٥م.فوشيه دي شارتر،تاريخ الحملة إلى القدس،ترجمة:زياد العسلي١٩٩٠م.
(٢)ولد وليم الصوري في بيت المقدس سنة٥٢٤هـ/١١٣٠م،و هو ينتمي لأسرة فرنسية شاركت في الحملة الصليبية الأولى و قد عاش وليم فترة شبابه في الشرق الإسلامي و أتقن اللغة العربية و اليونانية و اللاتينية و الفرنسية، و عمل في خدمة الملك عموري الأول، كما عمل مربياً لابنه بلدوين الرابع المجذوم ، في الوقت الذي أخذ فيه يترقى في المناصب حتى أصبح مستشاراً للمملكة الصليبية و رئيساً لأساقفة صور عام٥٧٠هـ/١١٧٤م، كما تم تكليفه بمهام رسمية و سفارات مهمة ، مات وليم على الأغلب في صور عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م.
وليم الصوري، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار ، ترجمة:د.سهيل زكار ، دمشق، ١٩٩٠م، ١/٧٣-٩١-٩٦-١٠٨.

و هو من أكثر المصادر اللاتينية دقةً و شمولاً و قد وضعه وليم بتكليف من عموري الأول ملك بيت القدس ليكون سجلاً لأعمال هذا الملك ، و تكمن أهمية المصدر في أنه تناول حقبة طويلة من تاريخ الصليبيين امتدت حتى عام ٥٨٠ هـ/ ١١٧٤ م .

و يعد ما كتبه وليم من بداية أحداث ٥٦٣ هـ/١١٦٧م أكثر أجزاء مؤلفه قيمةً تاريخيةً و أصالةً ، فقد كان شاهد عيان لما جرى في هذه الحقبة ، و كان محل ثقة البلاط الصليبي ، ومستشاراً للمملكة ، وصاحب النفوذ فيها ، الأمر الذي جعله مشاركاً في القرارات السياسية الصليبية ، لذلك تضافرت كل هذه الأسباب لتعطي ثقلاً خاصاً لهذا المؤلف.

و نظراً لكون كتاب وليم الصوري المصدر الرئيسي بل الوحيد لمعظم الوقائع التي شهدتها مملكة بيت المقدس طيلة ستة عقود (أواخر العقد السادس حتى أوائل العقد التاسع من عمر المملكة الصليبية) نجده تقدم على باقي المصادر الأجنبية في تدوين الكثير من الأحداث خاصةً تلك التي وقعت داخل البيت الصليبي .

و بالتالي كان معظمها بمنأى عن مسامع المؤرخين المسلمين المعاصرين له ، فلم يقوموا بتسجيلها، و من هذه النقاط تحويل مدينة صور إلى إقطاعية تمنح للأمراء و الأميرات ، فمنحت مع عكا إلى فولك كونت أنجو في العام ٥٢٢ هـ/١١٢٨م كمهر ميلساند ، ثم منحت إلى غي لوزنغنان في العام ٥٧٤ هـ/١١٧٩م كمهر سبيلا ابنة عموري الأول ، كما انفرد وليم بذكر التزاع الذي جرى بين بلدوين الرابع و غي لوزنغنان حول مدينة صور .

و أمد وليم الصوري الباحثة بمعلوماتٍ غزيرةٍ ذات أهميةٍ خاصةٍ بموضوع الدراسة ، حيث ذكر بشكلٍ مفصلٍ جداً حصار الصليبيين لمدينة صور في العام ٥١٨ هـ/١١٢٤م ، وكان أول من أورد نص المعاهدة الموقعة بين مملكة بيت المقدس و دولة البنادقة المتعلقة بحقوق الجالية البندقية في المملكة الصليبية و مدينة صور ، فكانت هذه المعاهدة وثيقةً سياسيةً أوضحت سياسة مملكة بيت المقدس ، و وثيقةً اقتصادية بينت بوضوح هدف دول إيطالية التجارية في الاشتراك بالحملات الصليبية .

و الجدير بالذكر أن كتابات وليم الصوري عن مدينة صور لم تكن سياسيةً فقط بل كانت كنسيةً ، وهذا شيء طبيعي (فوليم) كان رئيساً للأساقفة في صور لذلك تعرض للمشكلة الكنسية التي واجهت الصليبيين في صور بشكلٍ مفصلٍ ، وأورد كافة الوثائق التاريخية و الرسائل المتبادلة بين بابا روما و بطريرك القدس ، وأنطاكية و أساقفة كل من بيروت و صيدا و بانياس .

هذا بالإضافة إلى المعلومات الغزيرة جداً التي تتعلق بالجوانب الاقتصادية للمدينة ، مع وصف دقيق لمنشآتها العمرانية و تحصيناتها العسكرية .

و لعل أهم المصادر التاريخية الأجنبية التي أفادت في دراسة تاريخ مدينة صور في الحملة الصليبية الثالثة و تُعد تذيلاً لتاريخ وليم الصوري كتاب : **حولية أرنول(١) و برنارد وكيل الخزانة :**

و قد رجعت الباحثة إلى الترجمة العربية الموجودة في الجزء الثامن من الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية للدكتور سهيل زكار .

و كان هدف أرنول من وضع كتابه تتبع الكيفية التي فقد بها الصليبيون بيت المقدس في عام ٥٨٣ هـ/١١٨٧م، ثم إعادة تأسيس الكيان اللاتيني في الأراضي المقدسة ، وقد اتبع المؤلف طريقة السرد الحولي للأحداث .

و يؤخذ عليه الإيجاز الشديد الذي يشوب رواياته ، وانتقاله من الحديث عن موقعة إلى الحديث عن أخرى دون ذكر التفاصيل الهامة لكلتيهما مما أخل بالوحدة الموضوعية ، ومع ذلك فهو من المصادر المهمة لأن مؤلفه كان معاصراً و شاهد عيان لكثير من الأحداث .

و قد ساعد كتاب أرنول برنارد الباحثة على أعطاء صورة متكاملة عن أحداث الحملة الصليبية الثالثة ، خاصةً لدى العودة إلى بقية المصادر العربية و اللاتينية الأخرى ، فحين ذكر خلاف رتشارد قلب الأسد مع كونراد دي مونتفرات اتهم رتشارد بقتل كونراد بمساعدة الحشيشية .

و هنا نلاحظ أن كل النصوص تتفق حول نقطة واحدة و هي أن الحشيشية كانوا متورطين باغتيال كونراد ، و أوضح أرنول السبب و هو استيلاء كونراد على سفينة الحشيشية ، و اتخذ من ذلك الباعث على قتله .

لكننا هنا _في الحقيقة_ في مواجهة تعصبٍ وطني فقد أجهدت التواريخ الفرنسية نفسها لتوضح أن كونراد توفي في يوم الثلاثاء ، و في يوم الخميس سارع البطل الإنكليزي رتشارد إلى تزويج الأرملة إزبيلا لابن أخته هنري ، مما يدل على تورطه في القتل، و كان من مصلحة الإنكليز هذا القدر الكبير من الغموض حول موت كونراد .لذلك هذه النظرة لرتشارد لم تكن من أرنول الفرنسي الأصل فقط بل كانت من الفرنجة البلديين الذين حكموا على الأحداث من وجهة نظر سياسية ، و أثروا في قراراتهم مصالح مملكتهم ، و فضلوها على التعصب الصليبي

---

(١) كان الكتاب باللغة الفرنسية القديمة التي عدت ناشئة وقتها ، وقد قامت عالمة فرنسية في أيامنا هذه بتقديم أطروحة دكتوراه حوله بالإنكليزية ، ثم أعادت نشره استناداً إلى مخطوطات جديدة . الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د. سهيل زكار ، دمشق١٩٩٣م، ٨/٣-٤.

فكانوا يدركون نتائج الأحداث و التوريطات ، لذا كان كونراد لدى أرنول بطل روايتــه و محور أحداثه، فهو الذي استطاع الوقوف بوجه فتوحات صلاح الدين ، و جعل من صور قلعة مقاومة ، و محطة لاستقبال النجدات الأوربية .

و قد أوضح أرنول في كتابه موقف البيازنة الوفي من ملكهم غي و محاولتهم الاستيلاء علــى صور في عهد هنري من أجل عودة غي إلى عرشه في مملكة القدس .

أما **أمبرويز(١)** فهو صاحب كتاب حمل عنوان : **صليبية رتشارد قلب الأسد:** الذي يعد أكمل الروايات إحاطةً بما حدث في الحملة الصليبية الثالثة ، حيــث أمــد الباحثــة بمعلومات واقعية عن هذه الحملة ، و مرويات شهود العيان دائماً ثمينة ، وقيمتــها مضــاعفة بالنسبة لأحداث العصور الوسطى ، فأمبرويز التحق بجيش رتشارد قلب الأســد الــذاهب إلى البلاد المقدسة ، و روى لنا ما حدث مع إعطاء الخلفية العقلية و الروحية لهذه الأحداث الــتي جرت في سورية و قادت إلى الحملة الصليبية الثالثة بشكلٍ واسعٍ_ لكن ليس بدقــةٍ واضــحة وكاملة_ من قبل التاريخ .

و فيما يخص موضوع الرسالة ذكر أمبرويز بشكل مفصل العلاقة بين كونراد و رتشارد أثنــاء الحملة ، بالإضافة إلى المعلوماتِ الهامةِ عن وضع صور أثناء حصار الصليبيين لمدينة عكا ، و هنا نجد أمبرويز قد لعن كونراد لتحويله المؤن من المعسكر أمام عكا إلى مدينة صور الــتي كانــت تحت حكمه .

و لم يدريك أمبرويز أن الدفاع عن صور أتى في المقام الأول في اهتمامات الفرنجة البلــدين ، حيث شكل الحفاظ عليها الركن الأساسي في الدفاع عن المملكة ، و تجاهل حقيقة أنه علــى صخرة مقاومة كونراد في صور تحطمت موجة الفتح الإسلامي.

و سبب أحكام أمبرويز المسبقة ، و معلوماته الضئيلة بدا كونراد خائن و شرير ، كما أن رواية أمبرويز يكتنفها الغموض و التناقض حين يغدو المركيز الزائف كونراد المرشح المفضل لعــرش المملكة ، و يتم الاعتراف به من قبل الجميع على أنه أحسن رجل للمنصب الذي رشح له ، و قد دون أمبرويز هذه المواقف المتباينة دون تقديم كلمة واحدة للشرح و التفسير .

---

(١)لم يكن أمبرويز لا فارساً من الفرسان و لا رجلاً حمل السلاح ، كما أنه لم يكن كاهناً ، بل كان قارئاً جيد للشعر الفرنسي في أيامه ، وكان مغنياً جوالاً أو شاعراً محترفاً من أصل نورماندي ، لذلك نجد أن تدوينه لأحداث الحملــة الثالثة كان شعراً . أمبرويز ، صليبية رتشارد قلب الأسد ، ترجمة : د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٨م، ٧/٣٢-٣٩.

و من المصادر الهامة التي اعتمدت عليها الباحثة كتاب:

تاريخ القدس لمؤلفه : جاك دي فيتري (١)الذي كان واحد من الرجالات القياديين في أيامه ،حتى كان تأثيره على الحركة الصليبية في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لا يقل عن تأثير بطرس الناسك في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي و قد بشر دي فيتري أولاً بالصليبية ضد الإبلينيين ، ثم أوقف حياته على العمل لاسترداد الضريح المقدس ،و شارك في الحملة الصليبية الخامسة حيث اهتم بالأعمال العسكرية هناك، و بتحويل أطفال المسلمين إلى المسيحية و تعميدهم، و نتيجة لما بذله من جهود أجيز بتعيينه أسقفاً لمدينة عكا ٦١٤هـ/ ١٢١٧م ، و في العام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧ م ترك القدس عائداً إلى بلده ، ثم صار كاردينالاً و أسقفاً للقدس و نائباً للبابا في فرنسة و ألمانية ، و غدا في أخر المطاف بطريرك القدس ، وقد توفي عام ٦٣٧هـ/١٢٤٠م، و كان قبل موته قد رأى القدس مجدداً بيد الصليبيين ،علماً بأنه كرجل كنسي قد قدر الإمبراطور فرد ريك على أنه رجل مرتد ، لكنه استطاع تصوير مشاعر الصليبيين في تلك الحقبة بعد عودة القدس إليهم .

و مع هذا فإن ما عرفه عن الأرض المقدسة نفسها لم يكن كما يجب ،باستثناء ما سمعه عنها ، لذلك من الصعب معرفة أهمية الوصف الطبوغرافي لديه .

أما تاريخه فقد اعتمد فيه إلى أبعد الحدود على تاريخ وليم الصوري ، لكنه قدم معلومات هامة عن نتائج صراعات مدن إيطالية التجارية ، وانعكاسها على مملكة القدس .

هذا بالإضافة إلى المعلومات الاقتصادية التي ذكرها عن أنواع الصناعات في صور ، وخصوصاً شرحه لطريقة صنع الزجاج ، وتعداده لأنواع المواد المستخدمة في تلك الصناعة ، و تفصيله لكيفية صناعة السكر ، الذي كان من أهم المواد المصدرة إلى مستشفيات أوربة في تلك الحقبة.

ويلي كتاب دي فيتري في الأهمية كتاب : **فيليب دي نوفار** (٢)، المعروف باسم :

---

(١)ولد جاك دي فيتري في فيتري و أصبح شماساً لأرجنتويل في سنة٦١٧هـ/١٢١٠م،وقد جعلت زيارة له لأوين راهباً ثم غدا بعد أمد وجيز كاهناً من كهنة لأوستين في فيلابروك ،توفي في روما سنة٦٣٧هـ/١٢٤٠م؛جاك دي فيتري، تاريخ القدس،تر:د.سهيل زكار،من خلال الموسوعة الشامِلة في تاريخ الحروب الصليبية،دمشق ١٩٩٨، ١٢٥/٣٣.

(٢)ولد فيليب في أواخر عام ٥٩١هـ/١١٩٥م، في مدينة نوفار في لومباردي ، و مضى إلى الشرق في سن مبكرة ٦١٥هـ/١٢١٨م، و دخل في خدمة رالف صاحب طبرية الذي كان قانونياً شهيراً ، ومنه تعلم القانون ، وقد جعل فارساً في ٦٤٠هـ/١٢٤٣م، و رست شهرته بين معاصريه على براعته كمحامي استئناف في المحكمة، و على الترتيب الذي صنفه حول الإجراءات القانونية ، أما تاريخ وفاته لم ترد إشارات إليه و لعله مات بعد عام ٦٦١هـ/١٢٦٤ م. فيليب دي نوفار ، حروب فردريك ضد الإبلينيين في سورية وقبرص ، تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٨م، ١٦/٣٤-٢٠.

حروب **فردريك الثاني ضد الإبلينيين في سورية و قبرص** ، و تبرز مكانة فيليب و أهميته بأنه كان واحد من أهم مستشاري جون إبلين و ابنه بالين، و تبدو السنوات ما بين ٦٢٦-٦٥١هـ/١٢٢٩-١٢٥٣م هي الأكثر أهمية في حياة فيليب ، فقد زودنا برواية كاملة تبدأ بمحاولة وكلاء الإمبراطور الخمسة في قبرص اغتياله لأنه رفض حكمهم ، وامتنع عن أداء القسم ليعترف بوكالتهم ، و قد أمد فيليب دي نوفار الباحثة بمعلوماتٍ مهمةٍ عن مدينة صور التي تحولت إلى قاعدة عسكرية لنواب الإمبراطور فردريك .

و كانت قمة أعمال حياته عندما استطاع في العام٦٤٠هـ/١٢٤٣م إقناع صاحبي بيروت و تبنين و المحكمة العليا بتأجيل هجومهم على صور ، حتى يصل الملك كونراد بن فردريك الثاني إلى السن القانونية ،وقد شرح فيليب في كتابه المسوغات القانونية التي دفعت بارونات المملكة إلى تتويج صاحبة قبرص حاكمة لمملكة القدس ، و كوفئ فيليب مكافأة جيدة من قبل الملكة الممتنة التي سددت عنه جميع ديونه .

كما قدم فيليب خدماته لبارونات المملكة أثناء حصار صور ، ثم أوكل إليه العمل على إبرام شروط استسلام قلعة صور من نواب الإمبراطور .

و مع ذلك من غير الممكن عدَّ كتاب تاريخ الحرب بين الإمبراطور فردريك الثاني و جون دي إبلين قطعة عالية المكانة في الأدب التاريخي ، فهو لا يحتوي على فلسفة معمقة للتاريخ ، ولا حتى على أية أحكام مسبقة في محاولة لتقرير أسباب الأحداث .

لكنه قدم رواية عظيمة الانحياز ضد أهداف و سياسات فردريك الثاني في الشرق ، وتتعلق قيمة الكتاب و أهميته بسماته فهو رواية واحد من الصليبيين السوريين ، و لأنها تحتوي على رواية صحيحة حول الأحداث التي وقعت ، مضاف إليها موقف فيليب من الحزب الإمبراطوري مع إطراء للبيت الإبليني .

أما التذييل الثاني على كتاب وليم الصوري فهو : **تاريخ هرقل** : المصدر الذي يعالج تاريخ الصليبيين في بلاد الشام و الحملات الصليبية التي جاءت إلى الشرق بعد معركة حطين حتى عام ٦٧٥هـ/١٢٧٧م.

و لكن عدم توفر المصدر كاملاً جعل الباحثة تعتمد على الملحق الذي ذكره الأستاذ الدكتور سهيل زكار في موسوعته : الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، في الجزء الخامس و الثلاثين ، مع الحواشي التي أرفقها مقارنة مع تاريخ فيليب دي نوفار .

كما عدت الباحثة إلى كتاب : **ذيل روثلين على تاريخ وليم الصوري مع قطعة من تاريخ هرقل أو عكا** ، وهو عبارة عن نصين مختلفين ترجمهم عن الفرنسية القديمة(Janet Shirley)، و محتوى تاريخ هرقل أو (نص عكا) يتناول الحقبة الممتدة من ٦٣٦-٦٥٩هـ/١٢٣٩-١٢٦١م، فقد اقتطع المترجم جزءاً من تاريخ هرقل و نقله إلى اللغة الإنكليزية ، وهي الحقبة المهمة من تاريخ الحملات الصليبية المتعلقة بصراعات آل إبلين مع نواب الإمبراطور في مدينة صور ، و بين كيف انتهت هذه الصراعات بخروج نواب الإمبراطور نهائياً من صور ، والقضاء على سلطة فردريك في الشرق .

و استلام أليس ملكة قبرص عرش مملكة القدس ، فجاءت كتاباته تأكيداً على ما ذكره فيليب دي نوفار في تاريخه ، إضافةً لذكره الصراعات التي كانت دائرة بين دول إيطالية التجارية .

أما الجزء الأول من الكتاب فهو يحتوي على : **مخطوطة روثلين** ، المذيلة على تاريخ وليم الصوري الذي يعالج الحقبة من عام ٦٢٦-٦٥٩هـ/١٢٢٩-١٢٦١م ، و موضوع الكتاب الأساسي هو حملة لويس التاسع على مصر و الشام ، وكل ما سبقها من روايات يعد مقدمةً للكتاب ، وما ورد بعدها جاء في إيجازٍ شديد ، و قد وضع هذا الكتاب في فرنسة في العام ٦٥٩هـ/١٢٦١م .

و تحدث روثلين بشكل مفصل حول خلافات البنادقة و الجنوية التي جذبت إليها كل طوائف وقادة الشرق اللاتيني في أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وكيف انعكست هذه الحرب سلباً على وضع مدينة صور مبيناً عدد القتلى فيها ، وعدد السفن المدمرة.

فأعطت روايته صورة متكاملة للأحداث ، وبينت نظرة المؤرخين الصليبيين لهذه الحرب ، ورغبتهم بأن تكون حرباً بين المسيحيين و المسلمين ، لا بين الدول التجارية التي كانت سنداً للحملات الصليبية عن طريق نقل العتاد و الأسلحة ، وحمل الحجاج على سفنها التجارية .

أما عن الرحلات الأوربية فلها أهمية بالغة أيضاً في دراسة مدينة صور في الحقبة الصليبية ، و خاصة الشق الحضاري منها لأنها أعطت وصفاً دقيقاً للبقاع و الظواهر بما يدعم أركان البحث.

و على الرغم من أن بعض الباحثين يعدون هذه الكتب من العوامل المساعدة لدراسة التاريخ إلا أنها أساسية بالنسبة لموضوع الدراسة .

فقد استأثرت مدينة صور باهتمام الكثيرين من الرحالة الصليبين ، و يشهد على ذلك عشرات الرحلات المدونة لهم ، و هي تصف عادةً الطريق بين مدينة صور و دمشق ، أو الطريق بين

صور و عكا ، أو بين صور و منطقة الجليل ، مع وصف للمدينة و منشآتها الحضارية ، و توزيع الأراضي الزراعية حولها و من أهم الرحلات التي أفادت الباحثة : **رحلة فيتلوس**(١)هي : عبارة عن رسالة تضمنت **وصفاً للأماكن المقدسة** و من الراجح أنه كان أحد الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس خلال القرن الثاني عشر الميلادي ، و تحديداً ما بين عامي ٥١٠- ٥٣٢هـ/ ١١١٨- ١١٣٠م، و كتب رحلته في صورة دليل جغرافي .

و تمثل رحلته مكانةً هامةً من بين الرحلات التي قام بها الرحالة الأوربيون في أنحاء مملكة القدس ، فقد ساعدت على إلقاء الضوء على أوضاع المملكة من الناحية السياسية و الحربية .

و من جهة أخرى اهتم اهتماماً خاصاً بالساحل الشامي من خلال تناوله للجانب الاقتصادي و التجاري في المنطقة موضحاً معنى و دلالة اسم صور و هو الصخرة ، و نسبها أحياناً إلى اسم سمك موجود فيها ، كما أوضح المسافة بينها و بين مدن الساحل الشامي .

و بسبب اهتمام فيتلوس بالأماكن المقدسة أتى على ذكر ما فعله البنادقة من اقتطاع الصخرة التي جلس عليها السيد المسيح عليه السلام بالقرب من صور و بناء كنيسة مكانها .

أما الرحالة **جون أوف ورزبيرغ**(٢) الذي زار مملكة القدس في(٥٥٥- ٥٦٥هـ/١١٦٠- ١١٧٠م) فقد دون العديد من الجوانب المهمة عن أوضاع الصليبيين على كافة المستويات السياسية و الحربية و الاقتصادية ،و أشار إلى مدينة صور ، وذكر أنها أكبر مدينة عظيمة في كل فينيقية ، و قد أعطاها موقعها التجاري و الحربي هذه الأهمية العظيمة .

بينما رحلة الرحالة اليهودي الأسباني **بنيامين التطيلي**(٣) فقد ألقت الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس و علاقاتها مع القوى السياسية المجاورة .

كما أشار إلى النشاط الاقتصادي لليهود في مدينة صور ، فامتلكوا سفناً للتجارة ، بالإضافة إلى عملهم في صناعة الزجاج الذي عُرف بالزجاج الصوري نسبة إلى تلك المدينة.

---

(١)د.سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية،دمشق ١٩٩٨م،٣٣٩/٣١. د.محمد مؤنس عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م، القاهرة ١٩٩٢م، ص١٠٤.

(٢)د.سهيل زكار ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ،دمشق، ١٩٩٨م، ٢٩١/٣٤. د.محمد مؤنس عوض، المرجع نفسه، ص١٢٤.

(٣) كانت رحلته بين عامي (١١٦٣-١١٧٠م) و هناك عدة دوافع دفعت بالرحالة اليهودي للقدوم إلى فلسطين ، فهناك الرغبة في الإطلاع على أوضاع اليهود في تلك المنطقة ، و رغبة قوية في معرفة حجم الأسواق التجارية.

بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين التطيلي، تر:عزرا حداد ، بغداد، ١٩٤٥، المقدمة.

د.محمد مؤنس عوض، المرجع نفسه، ص١٥٩.

و حين التعرض لحركة التجارة في صور أوضح أهمية المدينة و مكانتها ، و هذه الشهادة جاءت من جانب رحالة يهودي أسباني وافد على المنطقة ، و لم تأتِ من جانب مؤرخ صليبي رسمي مثل وليم الصوري مثلاً .

و تميزت رحلة الرحالة **الألماني ثيودريك** (١) للأماكن المقدسة (٥٦٥ -٥٦٧ هـ/ ١١٧١- ١١٧٣ م) باحتوائها على العديد من الجوانب المتعلقة بالمملكة ، و تناولـه المـدن السـاحلية الشامية ، و دورها في إنعاش حركة التجارة في المنطقة .

و فيما يخص موضوع الدراسة فقد أمدت رحلة ثيودريك الباحثة بوصف دقيق و شامل لمدينة صور من حيث تفوقها بالأسوار و الحصانة على كافة المدن ، مع وصف لموقعها كجزيرة تحيط بها المياه من ثلاثة جوانب ، و مزودة بوسائل الدفاع من الجهة الشرقية ،كما أتى على وصف الميناء و السلسلة ، فالنص الذي أورده ثيودريك اتفق مع النص الذي قدمه ابن جـبير بشـأن حصانة و مناعة مدينة صور خلال الحقبة الصليبية ، فكان دليلاً كافياً على أن الصليبيين اهتموا بالمدينة و بحصانتها .

و هنا نلاحظ أن المصادر الإسلامية و الصليبية أكدت على حقيقة الحصانة الطبيعية الفريدة التي امتازت بها مدينة صور ، و هي التي أثرت أحياناً على تاريخ الحروب الصليبية ، كما أتضـح ذلك من خلال الأحداث التي تلت حطين و قدوم الحملة الصليبية الثالثة .

أما الرحالة **يوانس فوقاس**(٢) فقد قام برحلته ٥٨١ هـ/١١٨٥م، و اسماها **رحلة حج يـوانس فوقاس في الأرض المقدسة** ، و هو رجل إغريقي أرثوذكسي ، ولد في جزيرة كريت ، و قـد عمل في السلك الكهنوتي وصل إلى درجة عالية فيه ،و انعكس الجانب الديني في شخصيته من خلال حرصه الواضح على ذكر الكنائس و الأديرة المتناثرة في كافة أنحاء المملكة الصليبية .

و أتت أهمية رحلة يوانس فوقاس من خلال التوقيت الذي تمت فيه ، فقد قام برحلته قبل حوالي عامين فقط من معركة حطين ٥٨٣ هـ/١١٨٧م .

و فيما يخص موضوع الدراسة فأن يوانس فوقاس وصف مدينة صور من حيث المسـاحة ، و علو الأبنية ، كما تناول بوصفه الخزان المائي الذي بناه الصوريون فوق نبع رأس العين .

---

(١)د.سهيل زكار ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق١٩٩٨م،٣٥/٣٠٣. د.محمـد مـؤنس عوض، المرجع نفسه، ص١٨٠.

(٢)د.سهيل زكار ، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ٣٥/٣٧٧. د.محمد مؤنس عوض، المرجع نفسه، ص٢١٤.

و قد أوضح يوانس فوقاس أهمية هذا البناء في ري الأراضي الزراعية التي تخص محاصيل القمـــح في مدينة صور ، هذه المعلومات الاقتصادية و الزراعية التي ذكرها يوانس فوقاس ألقت الضوء على النواحي الحضارية في مدينة صور خلال الحقبة الصليبية التي نحن بصددها .

و فضلاً عما تقدم من نقد للمصادر فهناك بعض المراجع الحديثة التي اعتمدت عليها الباحثـــة بشكل واسع ، و خاصة فيما يتعلق بوضع صور السياسي خلال الحملة الصليبية الثالثة ، و أثناء صراعات نواب الإمبراطور فردريك مع البارونات السوريين ، إضافة إلى صراعات دول إيطالية التجارية و انعكاس نتائجها على مدينة صور .

و أهم هذه المراجع : **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية :**

و هو عمل موسوعيٌ ضخمٌ تحدث الدكتور **سهيل زكار** في أجزائه الأولى عن مراحل أحداث الحروب الصليبية من وجهة نظر عربية إسلامية ، ثم نشر بالأجزاء الأخرى عدداً كبيراً جداً من المصادر الأصلية لتأريخ الحروب الصليبية بعد تحقيق بعضها و ترجمة بعضها الأخـــر ، و هـــذه الموسوعة الأولى التي وضعت تحت تصرف القارئ العربي المختص و غير المختص هذا العـــدد الكبير من النصوص التي تحدثت عن الحقبة الصليبية ، و ساعدت على رسم صـــورة متوازنـــة للأحداث و متكاملة ، فكانت هذه الموسوعة عوناً لي و ذخراً لرسالتي .

إضافة إلى كتاب ستيفن رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية و كتاب ف . هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى و هو من ترجمة أحمد محمد رضا .

و كتاب رأفت محمد النبراوي النقود الصليبية و كتاب سعيد البيشاوي الممتلكات الكنسية في مملكة القدس الصليبية ، و كتاب سعيد عبد الفتاح عاشور الحركة الصليبية ، و كتاب عـــادل زيتون تاريخ العلاقات الاقتصادية بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى .

أما المراجع الأجنبية الهامة التي أفدت الباحثة منها كثيراً :

- Medieual commerce. By: Howard . L . Adelso .
- An economic history of Italy . By ; Gino luyyatto
- Saladin and The Fall of The Kingdom of Jerusalem BY : Stanley lane poole . M .A
- Tyre throagh The ages . BY : Nina Jidejian
- The Heritage of Tyre Essays on The History Archaeology . and Preservation of tyre . edited BY: Martha sharp Joukowsky

و يتضمن الكتاب الأخير عدداً من المقالات القيمة حول تاريخ مدينة صور .

أولاً : أ- صور الاسم و الموقع :

صور مدينة عريقة ، تُعَدُّ من أقدم مدن العالم ، جاء ذكرها في كتاب هيردوتس ، الذي أرجعَ تاريخَ و جودها إلى القرن الثامن و العشرين قبل الميلاد(١).

و للمدينة اسمان:

الأول : من أصل كنعاني معناه المغفرة (٢) ،و الثاني: "سور" أو "صور" أو "تـور" أو" تـير- Tyre" معناها الصخرة ، و منه استمدت اسمها (٣) ، فهي مبنية على صخرة في البحر (٤) ، أو أنّها تعني الصخرة لمناعتها و حصانتها القوية ، و هي الصخرة التي وقفت بوجه الفاتحين عبر القرون ، و من ثَمّ توقفت عندها انتصارات حطين .

أما باللغة الإغريقية فصورٌ تعني الممرَّ الضيق (٥) .

و باللغة العربية صُوْر : بضم أوله و سكون ثانيه وأخره راء تعني : القرن ، و قـد اسـتمدت اسمها هذا من شكلها ، فهي ممتدة في البحر مثل القرن (٦) .

و احتلت صور مكانة عالية في الحقبة الكنعانية ، فأصبحت عاصمة فينيقية الجنوبية ، فهي المرفأ الأول للتجارة ، و المركز العام للسياسة ، لتفردها بموقع جغرافي ممتاز فوق جزيرة صخرية تبلغ سويتها ٣٨كم و محيطها الصحيح أقل من ٦ كم(٧) ، و تبعد عن الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط(٨) مسافة ١كم .

---

(١)هيردوتس ، من تاريخ هيرودتس الشهير بعنوان كليو ، تر : حبيب بستوس ، بيروت ١٨٨٦-١٨٨٧م، المجلد الأول الكتاب الثاني ، الفصل٤٤، ص١٢٩.

(٢) محمد السيد غلاب ، الساحل الفينيقي و ظهيره في الجغرافية و التاريخ ، بيروت ،ط١، ١٩٦٩م، ص٣٦٣.

(٣) فوشيه دي شارتر ، تر : زياد العسلي ، المصدر نفسه ، ص٢٤٩ هامش ١٢٩.

(٤)فيليب حتي ، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ، تر: أنيس فريحة ، بيروت ١٩٥٩م، ص١١٩. مارتن اليسوعي ، تاريخ لبنان ، تر:رشيد الشرتوني ، بيروت ١٨٨٩م، ص٢٨٧.

(٥) وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦١٠/٢.

(٦) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ٤٩٢/٣.

(٧) **Nina Jidejian, Tyre throagh the ages,Beirut 1989, P.2**

(٨) فهي تقع على١٦َ-٣٥ْ خط عرض ، و ١١َ-٣٣ْ خط طول ، وتبعد عن بيروت ٩٤كم وسط الطريق بين عكا و صيدا . **Martha Shorp Toukousky, the heritage of Tyre Essays on the History, Archaeology, and preservation of Tyre . ch2; The land of Tyre. Pirre Mihl Bikai . Beirut 1992, p . 13**

و تحميها صخرة طولها قرابة ٢كم ، و عرضها٥,١كم(١).

فهذا الموقع الجغرافي أضفى على صور حصانة طبيعية ، دعمها أبناء المدينة ببناء سور مستدير(٢) ارتفاعه ١٥٠ قدم (٣) . و شكلت جزيرة صور المركز الإداري و الديني ، لاحتوائها على القصور الأساسية ، و محطات الجيش ، و لوجود المعابد فيها (٤) .

و كان يقابل صور القائمة على الجزيرة مدينة أخرى تسمى : صور البرية ، أو صور القديمة و هي : تقع في سهل خصيب ، في القدم الجنوبي الغربي لحواف جبال لبنان الغربية ، حيث يبلغ امتداد أراضيها على طول الشاطئ من نهر الليطاني شمالاً إلى رأس العين جنوباً ١٤كم (٥)، و من واحد إلى اثنين كيلو متر عرضاً(٦) لذلك تميزت بأنها مركز الإقليم الزراعي الذي تقع فيه ، و مصدر تموين صور الجزرية بالمواد الغذائية .

ب — الموارد : الزراعة و موارد المياه .

تميز المكان الذي وجدت فيه صور بإمكانيات زراعية ، و صناعية متعددة ، فطرفه الساحلي أرضه رملية (٧) ، و يلي الشريط الرملي الأراضي الزراعية المتمتعة بخصوبة عالية (٨) ، و التي تتفاخر بها صور كونها من الأراضي الأكثر خصوبة في العالم ، يمكن أن تنتج بحدود أربعة محاصيل في السنة (٩) .

اعتمدت صور في إروائها على نهر ليطا(١٠) الذي يصب على بُعد عشرة كيلو مترات شمال

---

(١)فيليب حتي ، المرجع نفسه، ص١١٩.

(٢)بورتشارد ، رسالة بورتشارد(١٢٦٠م) ترجمة:سهيل زكار، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق ١٩٩٩م، ٣٩/١٥١.

(٣) فيلب حتي ، المرجع نفسه ، ١٩٨. يوسف الدبس، تاريخ سورية الدنيوي و الديني، ١٨٩٣م، المجلد ٣،ص٥٧

(٤) **Pierre Michel Bikai , op . cit . p 15.**

(٥) **Nina Jidejien , op .cit. p 1-2**

(٦) **Pierre Michel Bikai, op. Cit. P 13 .**

(٧) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع هوامشه: محمد مخزوم ، بيروت ١٩٨٧م،ص ١٦٠ .

(٨) ابن حوقل، صورة الأرض ، بيروت١٩٧٩م، ص١٦٠. إبراهيم الكرخي، المسالك و الممالك ، تحقيق: محمد جابر عبد العال العيني، بيروت ١٩٦١م، ص ٤٥.

(٩) **Pherre Michel Bikai ,op. Cit. P 14.**

(١٠) هو نهر الليطاني اليوم ، مصبه عند منطقة القاسمية جنوب لبنان ، نقلاً عن كتاب : ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق: محمد حسن شمس الدين،بيروت ١٩٨٨م، ص٢٣٦ هامش٦.

المدينة(١)، و هو ينبع من الجبال(٢)، من أرض كرك نوح(٣)، و قد أغنى النهر المدينة بمنافعه الاقتصادية الجمة ، حتى قيل : لولا الليطاني لما وجدت صور ، فتحولت أراضيها إلى حقول زراعية ماثلت في روعتها و أنواع زراعتها غوطة دمشق و البقاع(٤) ، فوجدت فيها حقول التمر ، و بساتين الخضار(٥)، و لم تكتفِ المدينة باعتمادها على مياه النهر ، بل عمدت إلى استغلال مجموعة الينابيع الموجودة عند سفوح الجبال ،و خاصة نبع رأس العين الغزير (٦).

لكن وجود الينابيع في الرأس المنخفض من السهل (٧) دفع أهالي صور إلى استخدام طريقة جر المياه عبر قنوات ، أو تجميعها في خزانات ، لتنقل بعدها إلى جزيرة صور عبر قناة (٨) هي إحدى أثار المدينة الباقية حتى الوقت الحاضر (٩).

فكان يتم رفع المياه عن طريق الأقنية إلى الأعلى،على ارتفاع عشرة أقدام ، بوساطة بناء حجري يشكل برجاً خارجياً لا يُرى منه الماء(١٠)ثماني الشكل بنيت زواياه على شكل فتحات لتدفق المياه المتجمعة (١١) في خزان ضخم موجود في قمته إلى قنوات ذات بناء ضخم أيضاً (١٢)،رفعت فوق قناطر عالية يتوزع المياه عبرها إلى المروج الموجودة تحت كل فتحة(١٣)كما تم تزويد البرج بدرج مقام من الحجارة الصلبة، لتأمين راحة الذين يرغبون بالصعود إلى قمته .

---

(١)شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر و البحر ،بغداد ١٩٢٨م، ص١٠٧. بورتشارد ، المصدر نفسه، ١٥٢/٣٩. مارينو سانوتو،كتاب الأسرار،ترجمة:سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق١٩٩٩م، ٢٦٠/٣٦. Pierre Michel Bikai,op,cit,p.14

(٢)الأدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت،ط١، ١٩٨٩م، ص٣٦٣.

(٣)شيخ الربوة، المصدر نفسه،ص١٠٧.

(٤)هنري لامنس،تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من أثار، لبنان،ط٢، ١٩٨٢م، ١٩/٢.

(٥) Pierre Michel Bikai,op.cit.p.14

(٦) Nina Jidejian , op. Cit. P.3

(٧)يبعد نبع رأس العين عن صور مسافة ٥ كم جنوباً ، وعلى ارتفاع ١٥م فوق سطح البحر. ويبلغ ارتفاع الجبال المجاورة لصور ٨٠٠م فوق سطح البحر . Pierre Michel Bikai , op. Cit. P 13.

(٨) المقدسي ، المصدر نفسه، ص١٤٢. بورتشارد ، المصدر نفسه ، ١٥٠/٣٩.

(٩) Nina Jidejian, op. Cit. P 3.

(١٠)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦١٤/٢.

(١١)يوانس فوقاس، رحلة حج يوانس فوقاس، ترجمة:سهيل زكار ،من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ،دمشق١٩٩٤م، ٣٩٢/٣٥.

(١٢)وليم الصوري، المصدر نفسه، ٦١٤/٢.

(١٣) يوانس فوقاس ، المصدر نفسه ، ٣٩٣/٣٤.

و تسقي هذه الينابيع(١) الحدائق و البساتين المزروعة بأشجار الفاكهة ، و حقول قصب السكر(٢) التي انتشرت في المدينة، لتوفر الشروط اللازمة لهذه الزراعة من مناخ جيد(٣) و تربة خصبة(٤). أما الطرف الجبلي فهو مشجر ذو قرى و عيون و مزارع تتجدد خصوبتها بسبب الطمي المنجرف من أعالي الجبال(٥) لذلك زرعت التلال بأنواع الحبوب(٦) .

و يسمى الجبل الذي يشرف على صور من الجهة الجنوبية الشرقية جبل عاملة (٧) أو جبل الجليل ،و هو نسبة إلى عاملة بن سبأ ، ثم خفف الاسم إلى جبل عامل (٨) و يطلق عليه جبل صديقا ، يفصل بينها و بين القدس و بانياس و صيدا (٩) و هو عامر بالكروم و الخروب و البطم (١٠)و مزارع الزيتون التي انتشرت بكثرة و ارتبطت بعبادة ملقرات و باتت رمزاً مقدساً للمدينة .

الصناعة : صناعة السفن :

استغلت صور موقعها الجغرافي كجزيرة في البحر المتوسط ، و قامت ببناء أربعة مرافئ كبرى اثنان للملاحة التجارية ، و اثنان للحربية ، و هذان الأخيران محتجبين داخل الجزيرة بشكل أحواض ممنوع الدخول إليهما إلا بأمر خاص من الملك ، أما المرفأان التجاريان فكان واحد إلى الشمال عرف بالصيداوي ، و أخر إلى الجنوب عرف بالمصري حسب العادة الفينيقية ، و قد

---

(١)يوجد بالإضافة إلى نبع رأس العين نبع منطقة الرشيدية و هو على بعد ٤كم جنوب صور ، وعين أبو علي على بعد ٣كم شمالاً ، هذا بالإضافة إلى الينابيع الحارة و منها نبع يبرين على بعد ٧كم جنوباً .
Pierre Michel Bikai, op. Cit .p. 14

(٢)وليم الصوري، المصدر نفسه ، ٦١٤/٢. بورتشارد ، المصدر نفسه ، ١٥٠/٣٩. زكي النقاش ، العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب و الفرنج خلال الحروب الصليبية ، لبنان ١٩٥٨م، ص١٠٠.

(٣)إن الارتفاع العالي لسلسلة جبال لبنان يشكل مانع للرطوبة القادمة من البحر المتوسط مما يجعل متوسط كمية الأمطار شتاءًمن٦٠٠-٨٠٠ملم في الساحل خلال فترة ممطرة من ٥٠-٦٠يوم ، لذلك تتمتع منطقة البحر بمناخ بارد شتاءً دافئ صيفاً . Pierre Michel Bikak , op. Cit . p 14

(٤)ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص١٦٠. الكرخي ، المصدر نفسه ، ص٤٥.

(٥)فيليب حتي ، المرجع نفسه ، ص١٤.

(٦) P¡erre Mhchel Bikai. Op. Cit. P 14

(٧)القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، شرح: محمد شمس الدين ، بيروت ١٩٨٧م، ص٨٩ .

(٨)بورتشارد ، المصدر نفسه ،١٦٣/٣٩. عمر عبد السلام تدمري ، لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية ، ط١، ١٩٩١م، ص ٢٤٨.

(٩)المقدسي ، المصدر نفسه ، ص١٢٦.

(١٠)شيخ الربوة ، المصدر نفسه ص٢١١.

وصلا بقناة داخل الجزيرة (١) و هذا دليل على تنظيم الملاحة البحرية في مدينة صور التي استفاد سكانها من خشب الأرز الموجود في جبال لبنان الغربية لتطوير صناعة السفن الحربية ،و السفن التجارية حتى نالت هذه السفن شهرة واسعة ، بسبب تقنيتها العالية ،و لوجود النظام الذي يسود على متنها ، و استطاعت صور بفضلها الوقوف بشكل مباشر وراء عملية الانتشار الفينيقي ، و تأسيس المحطات و المدن على كامل الحوض في تونس و بلاد المغرب ، و من ثم اكتشاف أسبانية و تعمير قادس و توغل حتى فرنسة و ألمانية (٢) و لكن كانت أهم محطة على الإطلاق مدينة قرطاج (carthage) و تعني المدينة الجديدة بنتها في العام (٨١٤ – ٨١٣ ق. م) على طريق قادس الأندلس ، حيث المعادن الثمينة من قصدير و فضة (٣).

صناعة الأرجوان :

صور هي أول من اكتشف الصباغ الأرجواني ، أو ما يسمى البروفير ، و قد نسبته إلى ملقرات معبود الصوريين ، و استخرجته(٤) من المحار المسحوق و الموريق النفيس (Mxrex) و كان لونه أحمر بنفسجي و حمرته ناصعة يخالطها لون أخر صادر من الحيوان الذي تؤخذ منه الصبغة و كانت أجود أنواعه تستخدم في صباغة ملابس الملوك ، فقد عبر لبسه عن مركز القوة و المكانة العالية ، فارتداه أعضاء مجلس الشيوخ و القسيسون ، و عد الأرجوان الصوري

---

(١)عندما فتش الملاحون الفرنسيون بإدارة (بودبارد)وجدوا في عمق البحر أساس الرصيف الجنوبي لمرفأ صور ، وأحجاره لم تتزحزح إلا من الزلازل ، فيكون المرفأ بحسب زعمهم من أكبر المرافئ في العالم بدون استثناء المرافئ العظيمة في الدول الكبرى ، كما استطاع (بودبارد)الذي نشر بحثه في ١٩٣٩م، أن يكشف معالم المدينة القديمة ، ويرسم خريطة لها تبين الميناء الشمالي و الجنوبي و حاجز الأمواج ، ويظهر من البحث أن مرافئ المدينة كانت كبيرة تتسع لأسطول كبير، وأنه كان يحيط بها سور ، وجزر صخرية صغيرة في بناء حواجز الأمواج لكل من الميناءين الشمالي و الجنوبي . محمد السيد غلاب، المرجع نفسه ، ص٣٦٣. شارل القرم، معجم الجبل الملهم ، ترجمة اسطفان فرحات ، ١٩٤٥م،ص١٠٤.

The Hertg of Tyre ,chapter 3, Pierre Bikai , Hitory of Exavation, p 30

(٢)يوسف الدبس، المرجع نفسه ،٢٨٨-٢٩١.محمد أبو المحاسن عصفور،المدن الفينيقية ، بيروت ١٩٨١م، ص٦٤.

(٣)هنري.س.عبودي ،معجم الحضارات السامية ،لبنان،ط٢، ١٩٩١م، ص٥٥٣. زكي النقاش،المرجع نفسه،ص٦٤

(٤)لا تذكر الرواية الفينيقية كيفية صناعة الأرجوان ، لكن المؤرخ بليني يقول: أن هذا السائل يتم استخراجه من عرق من عروق الحيوان ، و هو مازال حياً ، فإذا مات فإن السائل يفرز إلى الخارج و يفسد ، بعد استخراج السائل يوضع له القليل من الملح ، ويترك أياماً حتى ينقع ، ثم يغلي عل نار خفيفة ،و في أثناء الغليان يجمع الغثاء مرة بعد مرة و يرمى به و بعد عشرة أيام يكون الصباغ مازال سائلاً يرمى بداخله جزاف الصوف المراد صباغها ، وتترك خمس ساعات في الصباغ . فيليب حتي ، المرجع نفسه ، ص١٣٤. **Nina Jidijian. Op.cit.p.143**

الأكثر جمالاً بين أنواع الأرجوان على طول الساحل الشرقي للمتوسط(١)، لذلك ازدادت أعداد مصانع الصباغة في المدينة (٢).

صناعات متفرقة :

استفادت صور من الأرباض الرملية الموجودة بساحلها بصناعة الخرز و الزجاج ، و هو من أجود أنواع الزجاج المخروط و المشغول (٣) كما وجدت فيها مقالع الحجارة الرملية ، ذات اللون الأصفر ، و هو من النوع الجيد الذي يصلح للبناء ، لأنه سريع التفتت بعد خروجه من المقلع ، و سهل النحت ، فيتصلب في الهواء ، و يصلح للملاط أكثر من الحجارة الكلسية (٤).
لذلك وجدت مهارة عالية لدى أبناء صور في هندسة الأبنية ، التي امتازت بضخامتها ، ففاقت معابد صور بعلوها و عدد طوابقها مثيلاتها في روما .

كما كانت صور أول من عني بتبليط الشوارع و الأزقة ، فبلطت شوارعها و شوارع قرطاج عند بنائها(٥).

و بسبب استيرادها المعادن الثمينة من قصدير و فضة نشطت فيها صناعة المجوهرات (٦)المرصعة بالأحجار الكريمة كالعقيق و اللازورد (٧) و خلال زمن طويل كان أحد مصادر ثروتها الصوف و المنسوجات المطرزة بخيوط ذهبية (٨).

ج- المزايا :

صور قريبة من عدد كبير من المدن التاريخية ،و أشهر هذه المدن دمشق،التي لم يفصلها عن صور سوى منحدرات جبل عاملة،التي تشكلت مع منطقة الجولان و أهم مدنها بانياس (فيليبوس)

---

(١)كان لاكتشاف النصوص المسمارية في أغاريت (رأس شمرة) من قبل Thureau Dangin في العام ١٩٣٤م أهمية كبيرة فقد أكدت أن الصباغة الأرجوانية كانت راسخة على طول الساحل الكنعاني .
Nina Jidejian.op.cit.p.143

(٢)فقد زارها استرابون في القرن الأول الميلادي و ذكر أعمالها في كتابه الجغرافية ،
Nina Jidejian .op.cit.p.144

(٣)المقدسي ، المصدر نفسه ،ص١٥٥-١٦٥. زكي النقاش ، المرجع نفسه ، ص٩٧.

(٤)هنري لا منس ، المرجع نفسه ،٢١٨/٢.

(٥)محمد السيد غلاب ، المرجع نفسه،ص١٦٣. يوسف الدبس ، المرجع نفسه ،ص٣٤٧/١.

(٦) **Pierre Michel Bikai.op.cit.p.15**

(٧)أنقذوا صور ، صادر عن اللجنة الوطنية العربية السورية لحماية صور الأثرية ، و هو عبارة عن مجموعة مقالات ، دمشق ١٩٨٥م، مقال: جان مريودوسير. تر:ف.ص، ص٤٠.

(٨)المرجع نفسه ، مقال: ح.ف سكاف ، تر: ب.ز، ص٤٢.

الحد الشرقي لصور (١)، لذلك عُدَّت صور ميناءً طبيعياً لدمشق ، لأنها تقع على ساحلها (٢)، و ارتبطت معها بعدة طرق إحداها يصل إلى نهر الأردن الأعلى ، و من ثم إلى الحاصباني ، ثم إلى بانياس ، فدمشق .

و أخرى تصل إلى صفد عن طريق قانا ، فقبر حيرام ، أو عن طريق قانا ، فبنت جبيل ، و بعد أن تصل إلى صفد تتجه شرقاً إلى جبل حرمون (جبل الشيخ) فدمشق (٣).

كما توسطت صور الطريق الساحلية بين صيدا و عكا ، حيث تبعد عن صيدا مسافة ٣٥ كم ، و ٤٢كم عن مدينة عكا (٤)، التي ارتبطت معها بطريق تبدأ من عكا ثم تعبر رأس الناقورة في معبر يضرب المثل بصعوبته ، كان يطلق عليه اسم السلم الصوري أو مرتقى صور (٥) ، ثم تهبط الطريق مارةً بعدة مدن صغيرة حتى تصل إلى خربة الطيبة ثم رأس العين ثم الرشيدية ثم صور (٦).

إذاً فصور كانت تتمتع بموقع متوسط حيث تلتقي سفن البحر بقوافل البر ، مع توفر إمكانيات زراعية و صناعية جعلتها من أغنى مدن ساحل المتوسط الشرقي حتى شمل اسمها البلاد الداخلية فمنها أخذ — كما يقال — اسم سورية(٧).

تحولها من جزيرة إلى شبه جزيرة:

لذلك أدت إمكانيات صور الاقتصادية إلى الطمع باحتلالها ، و محاولة السيطرة عليها ، للاستفادة من مواردها البحرية و الزراعية ، ففي العام ٣٢٣ ق . م . حاول الاسكندر المقدوني احتلالها لكنه أخفق ، مما جعله يستخدم القوة العسكرية في حصارها الذي دام سبعة أشهر ،

---

(١)و قد عرفت هذه المنطقة بالصفقة القبلية المسماة بلاد حوران . ابن فضل الله العمري،المصدر نفسه، ص١١٨. فيتلوس ، المصدر نفسه، ٣٦٧/٣١. سيولف ، رحلة حج سيولف إلى القدس (١١٠٢-١١٠٣)، تر:د.سهيل زكار، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية دمشق ١٩٩٨م، ٢٤٧/٣١-٢٤٨.

(٢)القلقشندي ، المصدر نفسه، ص١٥٨.

(٣)ثيودريك ، المصدر نفسه ،٣٦٩/٣٥-٣٧١. دانيال الروسي ، رحلة دانيال (١١٠٦-١١٠٧) تر:د.سهيل زكار ،من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق١٩٩٨م،٣٢١/٣١. فيتلوس ، المصدر نفسه ، ٣٦٧/١٣.

(٤)ناصر خسرو،المصدر نفسه،ص٤٥.فيتلوس،المصدر نفسه،٣٤٨/٣١.دانيال الروسي،المصدر نفسه،٣١٣/٣١.

(٥)ريموند دي جيل ، تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس ،تر:د.سهيل زكار ،من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق١٩٩٥م، ١٦٠/٢.

(٦)يوانس فوقاس، المصدر نفسه ،٣٩٢/٣٤. محمد السيد غلاب، المرجع نفسه،ص٣٦٥.

(٧)شارل القرم ، المرجع نفسه ، ص١٠٥.

فهدم المدينة البرية أثناء الحصار ، و ردم البحر لإنشاء طريق عرضها ٢٠٠ قدم تربط بين صور الجزرية و صور البرية (١) .

و نتيجة لذلك أصبحت صور تعرف بأنها : المدينة الداخلة في البحر مثل الكف على الساعد ، يحيط بها البحر من كافة جوانبها ، إلا الربع الذي فيه شروع بابها (٢).

فكانت هذه ميزة أخرى أضفت حصانة (٣) أكبر على موقع المدينة ، و جعلت لصور أهمية تجارية و حربية دفاعية ، أثرت فيما بعد على سير الحروب الصليبية ، خاصة في الأحداث التي تلت معركة حطين .

و على الرغم من تدمير المدينة على يد الاسكندر إلا أنها استطاعت في عصر السلوقيين حكام سورية استرجاع مجدها الغابر، ثم أصبحت في عصر الرومان صاحبة سيادة مستقلة ، لكنها خسرت بعضاً من أهميتها التجارية ، بسبب مرفأ الإسكندرية الذي بناه الاسكندر ليزاحم به ملاحة صور في الشرق .

مكانتها المسيحية :

أخذت صور مركزاً هاماً في نشر المسيحية ، لأن بولس الرسول أوجد فيها أول كنيسة للمسيح عليه السلام ، عندما رجع إلى أورشليم ٥٧ ق . م(٤).

لذلك كانت أول مدينة فينيقية تقيم فيها جالية مسيحية ، و عند نهاية القرن الثاني الميلادي أصبحت الجالية في صور من الكثرة و القوة بحيث أنشئ في المدينة كرسي لرئيس الأساقفة ، ثم ألحق به أربع عشرة أسقفية(٥) .

و تحولت صور بذلك إلى قاعدة فكرية ، و اشتهر العديد من أبنائها بعلم الفلسفة منهم الفيلسوف الأفلاطوني مكسيموس الصوري(٦) ، و في حوالي ٣٠٣ م هدمت كنيسة صور أثناء الاضطهاد المسيحي الكبير ، الذي أمر به دوكلتيان ، و لكن المطران بولينوس سنة ٣١٤م

---

(١)بورتشارد ، المصدر نفسه ، ١٥٠/٣٩. فيليب حتي ، المرجع نفسه ، ص١٩٨. هنري .س. عبودي، المرجع نفسه ، ص٥٥٣.

(٢)ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص٤٩٢.

(٣)اليعقوبي، كتاب البلدان ، دار أحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م، ص٨٨.

(٤)شارل القرم ، المرجع نفسه ،ص١٠٩-١١٠.

(٥)بورتشارد ، المصدر نفسه ، ١٥١/٣٩. فيليب حتي ، المرجع نفسه ، ص٢٥٤.

(٦)هنري. س. عبودي ، المرجع نفسه ، ص٥٥٤. شارل القرم ، المرجع نفسه، ص ١١٠.

في عهد قسطنطين الكبير أعاد بنائها و جعلها على مستوى أكبر و أضخم(١) ، و في العام ٣٣٥م عقد مجمع كنسي في صور ، حكم بالهرطقة على أثناسيوس مطران الإسكندرية (٢) .

و ظلت صور تتبع الكرسي الرسولي في إنطاكية ، حتى كانت الحروب الصليبية ، فانتقلت تبعيتها إلى القدس ، و من المؤكد أن رئيس أساقفتها احتل المقام الأول بين رؤساء الأساقفة الثلاثة عشر الذين كانوا خاضعين للمقر الرسولي في إنطاكية ، و لهذا أطلق عليه اسم العرش الأول في الشرق (٣) .

و سبب هذه المكانة سيحدث نزاعاً بين القدس و إنطاكية خلال الحقبة الصليبية حول تبعية رئيس أساقفة صور ، سنذكر تفاصيلها في فصل أخر .

ثانياً : الوضع الإداري:

-الفتح العربي و تبعيتها لجند الأردن:

تمتعت صور خلال الحقبة البيزنطية ببعض الاستقلالية ، و استمر أبناؤها بالقيام بدورهم التجاري عبر المتوسط ، مع الارتباط بصلات تجارية بأسواق الشرق الداخلية ، و أثناء قيام الفتح العربي لبلاد الشام أوكلت مهمة فتح صور إلى قائد قطاع جند الأردن شرحبيل بن حسنة (٤) ، فتمكن من فتحها سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م (٥) لذا فهي تعد أول المدن الساحلية فتحاً ، و يبدو أنها لم تبد مقاومة تذكر أمام الفاتحين ، لهذا لا تجد أي تفاصيل عن ظروف فتحها عند البلاذري ، مما يوحي أنها لم تكن مؤهلة للصمود ، حيث كانت تحصيناتها خربة (٦) .

و خلال العصور الإسلامية حظيت باهتمام كبير لأهمية موقعها ، فتحولت إلى ثغر من الساحل

---

(١)كانت الكنيسة على هيئة صليب ، طولها ٧٥م، و عرضها ٣٥م، وهي تقع قريباً من الزاوية الجنوبية الشرقية من السور القائم الآن ، ويقال إن الملك فردريك الثاني بربروسا دفن فيها سنة٥٨٦هـ/١١٩٠م، و قد نقب د.ساب الألماني سنة ١٨٧٤م بأمر من حكومته في أطلال الكنيسة طامعاً أن يكشف عن شيء من رفات الملك ، لكنه لم يعثر على أي خط أو علامة تدل على دفن الملك . يوسف الدبس ، المرجع نفسه،٢/٢٤٨-٢٤٩.

Pierre Bikai.op.cit.p 28

(٢)فيليب حتي، المرجع نفسه، ص٢٥٥.

(٣)وليم الصوري، المصدر نفسه ، ٢/٦٦٧-٦٦٨.

(٤) شرحبيل بن حسنة(٥٠ق هـ-١٨/٥٧٤-٦٣٩م)صحابي من القادة ، أسلم بمكة و هاجر إلى الحبشة ، وغزا مع النبي صلى الله عليه و سلم ، و أوفد رسولاً إلى مصر ، ثم جعله الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه أحد الأمراء الذين وجههم لفتح الشام ، فافتتح الأردن .خير الدين الزركلي، الأعلام ، بيروت ١٩٩٧م، ١٥٩/٣.

(٥)البلاذري ، البلدان فتوحها وأحكامها، تحقيق: د. سهيل زكار، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ١٣٦.

(٦) عمر عبد السلام تدمري ، المرجع نفسه، ص٣٨

الشامي،و اهتم بها الخلفاء الأمويون و العباسيون فرممها الخليفة الأموي معاوية بن سـفيان ، و أسكن فيها قوماً من فرس بعلبك (١) و حمص و أنطا كية (٢) حتى استعادت المدينة قوتها ، و قدمت خدماتها البحرية (٣) في عملية الفتوحات الإسلامية ضد البيزنطيين (٤) .

و في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان أعيد تجديدها حتى استطاع ابنه الخليفة هشام بن عبد الملك أن ينقل إليها دار صناعة السفن (٥) ، و لا نعتقد أن سبب نقله لهذه الصـناعة إلى صور مجرد خلافه مع أحد أحفاد أبي معيط (٦) ، و إنما الذي دفعه إلى ذلك وفرة الأخشاب و مهارة السكان ، و استمرت بها دار صناعة السفن (٧) طوال المدة من العصـور العباسـية و الطولونية الإخشيدية ، ثم جعل منها الفاطميون قاعدة ثابتة لرسوّ بعض قطع أسطولهم(٨) .

و نتيجة العناية بها أصبحت في حالة جيدة من الغنى و التحصين ، حتى صارت حصانتها مثالاً يحتذى ، لتحصين مدن الساحل الشامي ، فعندما كانت خاضعة لسيطرة الدولة الطولونية زارها ابن طولون (٩) و دهش بمينائها و بنائه العجيب ، و طلب أن تحصن عكا مثلـها ، و ذلـك بإقامة حائط يستدير على الميناء ، وجعل قنطرة على الباب تكون ((من أحد الطرفين إلى الآخر

---

(١)فرس بعلبك : كان أهل مدينة بعلبك من الفرس ، وعندما استلم معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة ٤١هـ/٦٦١م وضع نصب عينيه الاهتمام بتدعيم المدن الساحلية و تكثيف سكانها بعد أن هجرها أهلها من الروم ، فنقل إلى صور قوم من فرس بعلبك . عمر عبد السلام تدمري ، المرجع نفسه ، ص٩١-٩٣.

(٢)البلاذري ، المصدر نفسه ، ص١٣٧.   أ.أشتور، التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى ، ترجمة :عبد الهادي عبلة ، دمشق ١٩٥٨م، ص١٢٢.

(٣)كان أمير البحر في صور الأسود بن بلال المحابي ، وقد أنيط به مهمة الدفاع عن الساحل الشامي كلـه ، فغـزا قبرص سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م ثم زادت سلطته فأصبح أميراً على جيش البحر في ساحل الشام كله .عمر عبـد السـلام تدمري ، المرجع نفسه ، ص ٢٣٣.

(٤)المرجع نفسه ، ص٨٦.

(٥)البلاذري،المصدر نفسه ، ص١٣٨.

(٦)أبي معيط: من أولاده عقبة ، ومن أولاد عقبة الوليد ، وكان من رجال قريش استخدمه الخليفة عثمان بن عفـان رضي الله عنه على الكوفة و أخوته عمارة و خالد و هشام ، ولكننا لا ندري من هو الحفيد الذي اختلف معه الخليفة هشام بن عبد الملك، أبي عبد الله الزبيري،نسب قريش، نشره:ليفي بروفنسال،بدون تاريخ .ج٤_٥/١٣٨-١٤٦

(٧)اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ص ٨٨.

(٨)أحمد علي إسماعيل ، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، الشركة المتحدة ،ط١، ١٩٨٧م، ص١٠٢. أحمد مختـار العبادي ، عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية في بلاد الشام و مصر ، بيروت ١٩٨١م،ص٦٣.

(٩)ابن طولون : أحمد بن طولون تولى مصر من قبل الخليفة العباسي المعتمد سنة ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م ثم تقلد الخراج بمصر و الثغور الشامية .و قد أسس الدولة الطولونية التي استمرت قرابة(٣٨)سنة . سيرة أحمد بن طولون و أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي ، تحقيق: محمد كرد علي ، المكتبة العربية بدمشق ، ١٩٣٩م، ص٧٢.

على قوس واحد ، ليس في جميع البلاد قنطرة أعظم منها))(١)، فالمراكب تدخل كل ليلة الميناء ثم تجر السلسلة(٢).

و لم توصف صور بالعصور الإسلامية بالحصانة فقط ، بل اشتهرت بأنها أغنى مـــدن الشـــام الساحلية ، ويُعَدّ أدق وصف لها موجود في رحلة ناصر خسرو ، حيث قال:

((مبانيها تتكون من خمسة طوابق ، و ستة طوابق يعلو بعضها بعضاً ، و أسواق المدينة عامرة ، والبضائع فيها كثيرة وافرة رائجة ، و اشتهرت مدينة صور بالمال والغنى في جميع مدن الشـــام الساحلية ....و قد أقام أهل المدينة مشهداً أمام مدخلها ، وزينوه بالأثاث الجميل ، والـــريش الثمين ، والسروج الذهبية و الفضية))(٣).

أما من الناحية الإدارية فعلى الرغم من وقوع صور في ساحل دمشق(٤) ، إلا أنها كانت تُعَّـــد من جند الأردن ، لهذا قال ابن الفقيه : ((صور منبرها إلى دمشق و خراجها إلى الأردن))(٥).

-دخولها الصراع السلجوقي الفاطمي:

و في السنوات المتقدمة على الحروب الصليبية لم تتغيّر تبعيتها الإدارية لكنها دخلت في الصراع السلجوقي الفاطمي الذي قضى على الكثير من طاقاتها المالية و البشرية ، ففي عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦_٤١١هـ/٩٩٦_١٠٢٠م) تمكنت الدولة الفاطمية من فــرض ســيطرتها الشاملة على بلاد الشام ، ولكن مع ظهور السلاجقة على مسرح الأحداث فيما بعد تزعزعت هذه السيطرة و دخلت المنطقة قي الصراعات السياسية .

-ظهور أسرة ابن عقيل و تشكيل حكومة مستقلة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م :

فاستغلت مجموعة من المدن هذه الظروف و شكلت إمارات مستقلة كان منها مدينة صور التي أعلنت استقلالها في العام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م عن الدولة الفاطمية، و من المحتمل أن يكون السبب الاقتصادي التجاري وراء ذلك(٦).

---

(١)القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت ، ١٩٦٠م، ص٢١٧.

(٢)المقدسي ، المصدر نفسه ، ص١٤٢.

(٣)ناصر خسرو ، المصدر نفسه ، ص٤٥.

(٤)القلقشندي ، المصدر نفسه ، ص١٥٨.

(٥)ابن الفقيه ، كتاب البلدان ، تحقيق: يوسف عبد الهادي، بيروت ، ط١، ١٩٩٦م، ص١٥٦.

(٦)ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ، تحقيق: سامي الدهان ، دمشق ١٩٦٢م، ١٦٥/٢

Kenneth .m.Setton, A History of crusades.London.1969. 1.p.94

و على هذا لم يبقَ لأمير الجيوش بدر الجمالي(١) الذي قلده الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٥٦٧هـ/١٠٣٥-١١٧١م)على عكا و سواحل الشام سوى عكا و صيدا(٢).

فاستقل في صور قاضيها عين الدولة ابن أبي عقيل(٣) ، ولما كان لا يملك جيشاً قوياً يستطيع الدفاع به عن صور لجأ إلى استخدام التركمان الذين وفدوا إلى بلاد الشام ، فقد غادر (ابن خان) زعيم الناوكية حلب إلى صور ، فأحسن إليه ابن أبي عقيل و إلى أصحابه،و عندما حاصر بدر الجمالي صور سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م نافق ابن خان و خرج إلى بدر ، وعسكر عنده ، فدس ابن عقيل إلى غلمان (ابن خان) و قال لهم: قد عرفتم ما فعلت مع صاحبكم من الجميل ، وما أنفقت عليه من الأموال ، وما صلح لي و ما جازاني على إحساني إليه ، ولكم عليَّ إن قتلتموه كذا و كذا من الأموال .

فوثب عليه اثنان فقتلاه و حملا رأسه إلى ابن أبي عقيل ، فطيف به في صور ، و كان عند ابن أبي عقيل جماعة من الغزّ ففارقوه إلى بدر فقوي بهم و شدد الحصار على صور .

فأرسل ابن أبي عقيل إلى (قرلو)(٤) مقدم الأتراك الناوكية في جنوب بلاد الشام يستنجد به ، فسار الأمير التركماني على رأس قوة تعدادها اثني عشر ألف فارس(٥)لفك حصار صور، و حتى يستطيع قرلو مساعدة صور ضرب الحصار على صيدا حيث يحتفظ بدر بأهله و أمواله و ذخائره مما اضطر بدر إلى ترك حصار صور ، لكن قرلو لم يتابع حصار صيدا و إنما عاد إلى

---

(١)بدر الجمالي : هو أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي المستنصري ، كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة ابن عمار ، ولذلك نسب إليه ، ثم أخذ يتدرج في الرتب العلية و المناصب الرفيعة إلى أن تولى بلاد الشام ، وتقلد إمارة دمشق من قبل المستنصر بالله مرتين : الأولى سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م، و الثانية ٤٥٨هـ/١٠٦٧م، ثم استدعاه الخليفة عندما فسدت الأحوال في مصر فلبى طلبه ، وما أن دخل القاهرة حتى استبد بالبلاد و تحكم في شؤونها توفي ٤٨٧هـ/١٠٩٧م. ابن منجب الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة ، ١٩٢٤م،ص٥٧. أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه ، ص ١٠٤، هامش ٤.

(٢)ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص١٦٢. أحمد مختار العبادي ، المرجع نفسه ، ص٣٤٢.

(٣)عين الدولة ابن أبي عقيل : هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن أبي عقيل ، و يلقب بعين الدولة ، مات سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م. أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٣٩٧/١. علي محمد علي عوده الغامدي ، بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي(٤٦٣-٤٩١هـ/١٠٧٠-١٠٩٨م) المكتبة الفيصلية ، ١٩٨٤م، ص٢٧٩.

(٤)قرلو : مقدم الأتراك الناوكية التي لم تكن اسماً لعشائر التركمان بل كانت اسم أطلق على جماعات محددة من المرتزقة الذين لم يدينوا بالطاعة للسلطان السلجوقي ، وقد شكل التركمان الأكثرية العددية لهذه الجماعات ، فوصف ابن الميسر قرلو : بأنه مقدم الأتراك القادمين من العراق و هو ابن أخ لابن خان . ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص١٦٥. د. سهيل زكار ، المدخل إلى الحروب الصليبية ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٩٧٢م ، ص١٥٤.

(٥)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٢١٧/٨.

فلسطين للعمل لحسابه الخاص ، الأمر الذي أتاح الفرصة من جديد لبدر الجمالي لمعاودة حصار صور ، وحاصرها بدر براً وبحراً حتى ارتفعت بها الأسعار و بلغ ثمن رطل الخبز نصف دينار ، ومع ذلك ظلت صور صامدة ، و أخيراً قرر بدر إنهاء الحصار بسبب ازدياد خطر التركمان في جنوب الشام ، و وقوع الفتنة في مصر ، و هكذا حالت هذه الظروف دون سقوط إمارة ابن أبي عقيل (١).

و تجدر الإشارة هنا إلى أن استقلال ابن أبي عقيل بصور لم يؤدِ إلى قطع الخطبة للدولة الفاطمية فقد ظلت الدعوة للمستنصر بالله الفاطمي قائمة في صور ، كما أن السكة ظلت تضرب باسمه مع الشعار الشيعي(٢) .

ظل عين الدولة ابن أبي عقيل يحكم صور حتى توفي سنة٤٦٥ هـ/١٠٧٣م، فخلفه في الإمارة ابنه نفيس(٣) و معه أخواه ، و قد تمتعوا باستقلالهم عن جميع القوى المتنازعة في بلاد الشام ، لكنه لم يرد في المصادر أي ذكر لدور إمارة ابن أبي عقيل بعد سنة٤٦٥ هـ/١٠٧٣م في حوادث بلاد الشام و لا عن علاقتهم بغيرهم من القوى المختلفة بها، سوى ما ذكره سبط ابن الجوزي من أن أتسز بن أوق الخوارزمي من أمراء السلاجقة حاصر صور سنة ٤٦٨ هـ/١٠٧٦م ، واضطر أبناء أبي عقيل إلى عقد هدنة مع أتسز سُمح للغز بموجبها بالدخول إلى صور يبيعون ويشترون ولا يقيمون بها .

و يفهم مما أورده ابن القلانسي أنه على الرغم من ثراء صور فإن ضعف مواردها البشرية جعلها غير قادرة على الإسهام بدور فعال في حوادث بلاد الشام ، في الوقت الذي أخذت فيه جماعات التركمان تصل تباعاً إلى بلاد الشام ، وحفاظاً على المدينة من خطر التركمان لجأ قاضيها إلى مصانعة الأتراك ((بالهدايا و الملاطفات)) على حد قول ابن القلانسي(٤).

-سوء أوضاعها في ظل الدولة الفاطمية :

و لم تفد سياسة العزلة التي اتبعها أبناء القاضي عين الدولة ابن أبي عقيل في حماية إمارتهم في صور من السقوط سنة ٤٨٢ هـ/١٠٨٩م بيد منير الدولة الجيوشي ، فعادت إلى مصر الفاطمية ،

---

(١) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص١٦٥. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٢١٨/٨، ابن شداد ، المصدر نفسه ، ١٦٥/٢. علي محمد علي الغامدي ، المرجع نفسه ، ص٢٨٠.

(٢)المرجع نفسه ، ص٢٨٠-٢٨١.

(٣)ابن شداد : المصدر نفسه، ص١٦٥.

(٤)ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص١٨٢. علي محمد الغامدي ، المرجع نفسه،ص ٢٨١-٢٨٢.

إلا أن الاضطرابات استمرت تعكر أمنها(١) .

ففي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م حاول منير الدولة الجيوشي الاستقلال عن السيادة الفاطمية ، مستعيناً بأهل صور الذين خذلوه بمجرد وصول القوات المصرية ، فنادوا بشعار المستنصر بالله ، فأسرت القوة الفاطمية منير الدولة ، وحُمل مع أصحابه إلى مصر حيث قتل .

و مع أن أهالي صور كرهوا سياسة منير الدولة الجيوشي ، ونادوا بشعار الخليفة الفاطمي إلا أن الدولة الفاطمية أرغمتهم على دفع ستين ألف دينار كانت السبب في سوء أحوال أهل البلد المالية و فاقة سكانها(٢).

و استغلت صور في العام ٤٩٠هـ/١٠٩٧م الصراع القائم بين دُقاق و رضوان ولدي تاج الدولة تُتش السلجوقي(٣) ، وسوء الأوضاع في مصر الفاطمية و أعلن واليها (كتيلة)(٤) انفصاله و استقلاله عن مصر الفاطمية و السلاجقة ، فأرسل إليه الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي الأساطيل المصرية التي نجحت في اقتحام المدينة و استعادتها عنوة ، و قتلت الكثير من الأهالي ، ونهبت الأموال ، و أُخذ كتيلة أسيراً إلى مصر حيث قتل (٥) ، و عين بدلاً عنه عز الدين أنوشتكين (٦) الذي حاول تحصين المدينة قبل وصول الحملة الصليبية الأولى .

لقد أدى تنازع السلاجقة و الفاطميين على صور إلى تدهور أحوالها ، وخاصة بعد أن عادت إلى الحكم الفاطمي المباشر ، الأمر الذي زاد في ضعفها و جعلها تسير من سيئ إلى أسوأ(٧) ، مما سهل سقوطها بيد الصليبيين و هو موضوع الفصل التالي .

---

(١)ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص١٩٧. ابن الأثير ، المصدر نفسه، ٣٢٩/٨. علي محمد علي الغامدي ، المرجع نفسه ، ص٢٨٢.

(٢)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٠٤-٢٠٥. ابن الأثير المصدر نفسه ، ٣٧٠/٨-٣٧١.

(٣)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢١٥.

(٤)لدى العودة إلى المصادر العربية التي تحدثت عن هذه الحقبة من تاريخ صور لم أعثر على أي توضيح أو أشارة تبين صفة أو نسب هذا الوالي الذي ذكرته هذه المصادر تحت اسم كتيلة ، دون ذكر لمعنى الاسم .

(٥)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢١٧-٢١٨. ابن الأثير ، المصدر نفسه، ٤٠٨/٨. ابن شداد ، المصدر نفسه ، ١٦٦/٢. أحمد مختار العبادي ، المرجع نفسه ، ص١٠٦.

(٦) عز الدين أنوشتكين ا لأفضلي أمير الجيوش ، عُين والياً على صور من قبل الأفضل شاهنشاه الوزير الفاطمي ، و قد ذكر محقق كتاب الأعلاق الخطيرة سامي الدهان أنه هو أبو المنصور الدزبري ، وهناك خطأ حول الاسم إن كان عز الدين أو عز الملك .ابن شداد ، المصدر نفسه، ١٦٧/٢ هامش (١) . أحمد مختار العبادي ، المرجع نفسه، ص١٠٨.

(٧)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٤٣. علي محمد علي الغامدي ، المرجع نفسه، ص٢٨٢.
Setton,op, cit, 1. p. 95.

احتلال الفرنجة مدينة صور في
٢٣جمادى الأولى٥١٨هـ/٧تموز١١٢٤م:

أولاً: محاولات الاحتلال الأولى:

أ-الحصار الأول ٤٩٨هـ/١١٠٥ م.

ب-الحصار الثاني ٥٠١هـ/١١٠٨م.

ج-الحصار الثالث ٥٠٥هـ/١١١٢م :

-مدته و أسبابه .

-أعمال بلدوين الأول و طغتكين أثناء الحصار.

-أسباب إخفاقه.

د-الحصار الرابع ٥٠٦هـ/١١١٣ م.

ه-الحصار الخامس ٥٠٩هـ/١١١٦-١١١٧ م .

ثانياً : احتلال صور :

أ-وضع المدينة قبل الحصار .

ب-وصول الأسطول البندقي.

ج-بنود معاهدة ٥١٨هـ/١١٢٤م الموقعة بين البنادقة و بطريرك القدس

د-أعمال الحصار.

ه-نتائج سقوط صور بيد الصليبيين .

أولاً: محاولات الاحتلال الأولى:

لم يتمكن الفرنجة أثناء توجههم نحو هدفهم الأسمى القدس من احتلال المدن الساحلية(١)، فتحولت هذه المدن إلى مراكز أساسية لرسو الأسطول الفاطمي ، وأصبحت صور بموقعها و مينائها المتميز قاعدة عسكرية نزلت فيها حامية فاطمية تستقبل النجدات القادمة من مصر لمساعدة أية مدينة ساحلية .

و كان أهمها ما جرى سنة٤٩٥هـ/١١٠٣م عندما أرسلت صور و صيدا اثني عشر"غراباً"، و حمالة ضخمة تحمل الأجناد و الآلات لقذف النار اليونانية على الصليبيين المحاصرين لعكا لفك الحصار عنها، وقد تمكنت هذه القوة من تدمير سفن الصليبيين وتحطم آلاتهم و فك الحصار(٢).

كما قامت حامية صور بشن الغارات على الحجاج الفرنجة ، وأسرت العديد منهم ، فعدَّ ملوك القدس اللاتين الاستيلاء على صور أمراً هاماً و ضرورياً (٣) . فقد كان الاستيلاء على الساحل بالنسبة لهم قضية بالغة الحيوية ، إذ كان معناه استمرار الدعم المادي و المعنوي من جانب الغرب الأوربي ، فلطالما شعرت مملكة القدس الناشئة بضرورة ربط نفسها بالبحر، و تأمين اتصالها بالشواطئ لأنها بمثابة الرئة التي تتنفس بها تلك المملكة ، والشريان الذي ربطها بقلب العالم الغربي(٤) .

فلم يكن الشاطئ مجرد جبهة أخرى للتوسع ، إنما كان ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لاستمرار المنشآت الصليبية التي اعتمد وجودها على فيض الإمدادات القادمة من أوربة لجلب موجات جديدة من المقاتلين والمهاجرين المستعدين للسير على درب الحملة الصليبية الأولى(٥). لذلك سعى القادة الصليبيون بعد احتلال القدس ، وتشكيل المملكة اللاتينية فيها إتباع سياسة

---

(١)سلك الصليبيون طريق الساحل لاعتبارات أمنية و دينية في أن معاً ، و لم يحاولوا أثناء مسيرهم إلى القدس حصار أي مدينة ساحلية لحصانة تلك المدن و مناعتها . ريموند دي جيل ، المصدر نفسه، ٢٧٦/٦.

(٢)ابن الأثير ، المصدر نفسه، ٤٧٥/٨. أحمد مختار العبادي ، المرجع نفسه، ص١٠١-١٠٢. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى ، بيروت ١٩٩١م، ص٢٤٠-٢٤١.

(٣) فوشيه دي شارتر ، تر : د. سهيل زكار ، المصدر نفسه، ٤٣٩/٦-٤٤٠. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، تحقيق: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٥م، ١٠٠/٢٥.

(٤)د. سهيل زكار ، حطين مسير التحرير من دمشق إلى القدس ، دمشق ، ط١، ١٩٨٤م، ص٥٥.

أحمد الحريري ، الإعلام و التبيين في خروج الفرنج الملاعين، تحقيق: د. سهيل زكار ، ١٩٨١، ص٣٠.

(٥)يوشع براور ، عالم الصليبيين ، تر: قاسم عبده قاسم ، محمد خليفة حسن ، دار المعارف ، ط ١ ، ١٩٨١م، ص٦٢.

توسعية ركزوا جهودهم فيها بالدرجة الأولى على المدن الساحلية التي تسيطر على حركة التجارة من صادرات و واردات ، و ما يتبع ذلك من الحصول على الأموال الطائلة من عوائد المكوس المفروضة على حركة التجارة بكافة صورها و أشكالها(١).

هذا بالإضافة إلى موقع مملكة القدس الصليبية الذي توسط قلب العالم الإسلامي، و إحاطة المسلمين بها من كافة الجهات(٢)، و لهذا قام الفرنجة بمحاولات مستمرة لاحتلال صور حتى نجحوا في ذلك:

أ-الحصار الأول ٤٩٨هـ/١١٠٥م:

ظهر الصليبيون أول مرة أمام أسوار صور في ٤٩٢هـ/٢٠أيار١٠٩٩م، لكن حامية المدينة لم تورط نفسها بالاشتباك معهم ، مما سمح لهم بقضاء يومين في بساتينها دون متاعب ، ثم غادروا أراضيها بعد وصول بلدوين دي بور(٣).

و كان مصير مدينة صور و قدرتها على المقاومة مرتبطاً –بشكل كبير- بمساعدة مصر الفاطمية ، وبقوة المدن الداخلية في بلاد الشام ، و لذلك بعد انهزام دُقاق بن تُتُش صاحب دمشق في معركة نهر الكلب سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، أمام بلدوين الأول(٤٩٣-٥١١هـ/١١٠٠-١١١٨م) عمدت حامية صور إلى تقديم الزاد والميرة للجيش الصليبي (٤).

و مما زاد في هيبة الصليبيين أعمال بلدوين الأول العسكرية ، وتمكنه من مهاجمة قافلة عربية كانت تعبر نهر الأردن في ربيع سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م، فما كان من المدن الساحلية مثل : عسقلان و قيسارية و عكا وصور إلا إرسال مندوبين في ٤٩٤هـ آذار ١١٠١م إلى ملك القدس تحمل إليه الهدايا و الجزية ، وتطلب منه المهادنة لتتمكن من ممارسة نشاطها الاقتصادي ، وخاصة الأعمال التجارية(٥) .

---

(١)محمد مؤنس عوض، المرجع نفسه، ص٤٦. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٤، ١٩٨٦م، ٣٠٢/١.

(٢)جاك دي فيتري، المصدر نفسه، ١٣١/٣٤.

(٣)ريموند دي جيل، المصدر نفسه ، ٢٨٠/٦. مؤلف مجهول ، يوميات صاحب أعمال الفرنجة ، تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٥م، ١٦٦/٦. ستيفن رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة:السيد الباز العريني، بيروت ، ١٩٨١م، ٤١١/١. Setton,op, cit,1 . p 331

(٤)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٢٥. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٣٨٦/٦.

(٥) روجر أوف ويندفر ، ورود التاريخ ، ترجمة: سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ٢٠٠٠م، ١٠٥/٣٩. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات ، المرجع نفسه ، ص٢٣١.

و على الرغم من ذلك لم يتمكن بلدوين الأول من احتلال المدن الساحلية لضعف إمكانيتــه العسكرية ، لذلك لجأ إلى حاكم إمارة الجليل : هيو أوف سانت أومــر (Hugh of st omer) (١)ليتولى عملية السيطرة على الأجزاء المحيطة بإمارته ، و شجعه على انتهاج سياسة عدوانية مع المسلمين ،و أخذ هيو أوف سانت أومر يوسع حدود إمارته باتجاه الشمال الغــربي حيث مدينة صور ، و باتجاه الشمال الشرقي حيث إقليم السواد ، و كان هدفه بالدرجة الأولى الاستيلاء على صور لأهميتها التجارية (٢).

و بدأ فعلاً بشن غارات مستمرة و مفاجئة على المدينة ، و لكن المسافة بينها و بــين مركــز إقطاعية الجليل– طبرية –جعل تلك الغارات عديمة الجدوى ، فكان الجنود الصليبيون يتعرضون لخطر الجنود المسلمين في ذهابهم و إيابهم ، و ذلك لعدم وجود أي قلعة أو موقع بين المــدينتين يتم اللجوء إليه في حال أخفقت الغارة الصليبية على المدينة .

لهذا عمد هيو أوف سانت إلى بناء حصن تبنين عام ٤٩٨هــ/ ١١٠٥(٣)في مواجهة ســاحل صور على الطريق الذي يربط بين صور و بانياس و دمشق ، على بعد سبعة عشر مــيلاً مــن بانياس و عشرة أميال من مدينة صور ، و قد عاد الحصن بفائدة كبيرة لها و للمنطقة بأســرها بسبب : تربته و تحصيناته الشهيرة (٤)، و سيطرته على النشــاط الاقتصــادي الزراعــي و

---

(١)هيو أوف سانت أومر (Hugh of st omer)تولى إمارة الجليل بعد تانكرد الذي غادر إلى أنطاكية ، وكان هيو من المحاربين الفرنج الذين قدموا إلى بيت المقدس في الحملة الصليبية الأولى ، لكنه لم يستمر طويلاً في حكم الجليل بسبب موته في أحد المعارك ضد مدينة دمشق . وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٥٢٥/١. روجــر أوف وينــدفر ، المصدر نفسه ، ١٠٥/٣٩. ر.س. سميل ، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣م) تــر: وليد الجلاد، دمشق ط١، ١٩٨٥م، ص٣٠٨.

(٢)ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص٢٤١. سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط١، ١٩٥١م، الجزء الثامن القسم الأول ص١٦.

(٣)هناك اختلاف حول تشييد الحصن فيقرر وليم الصوري أنه بني في العام ٤٩٧هــ/١١٠٤م، بينما اعتقد ألبرت الأكس أن عام ٥٠٠هــ/١١٠٧م هو التاريخ المحدد لذلك ، وهناك رأي أخر اعتقد به الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور إذ أن حصن تبنين ارتبط بحصن عال و هو الذي بناه الصليبيين في المنطقة نفسها عام ٤٩٨هـــــ/١١٠٥م، و قد أخضعت هيئة الاسبتارية الحصن لسيادتها في العام ٥٥٢هــ/١١٥٧م و حرره المسلمون في ٥٨٣هــ/١١٨٧م، غير أنه عاد لسيطرة الصليبيين ، و لم يحرر بصورة نهائية إلا في العام ٦٦٤هــ/١٢٦٦م بعهد بيبرس . وليم الصوري ، المصدر نفسه، ٥٢٥/١. محمد مؤنس عوض ، المرجع نفسه، ص١١٦، هامش٢٠ .

(٤)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٥٢٦/١. جاك دي فيتري ، المصدر نفسه، ١٤٨/٣٤. ابن فضل الله العمري ، المصدر نفسه ، ٢٠٧.

التجاري بفرض المكوس على تجارة العبور المارة بتلك المنطقة (١).

و على الرغم من إتمام بناء الحصن ، إلا أن الحصار الأول الذي ضرب على مدينة صور باء بالإخفاق .

ب- الحصار الثاني ٥٠١ هـ/ ١١٠٨ م :

مات هيو أوف سانت أومر أثناء معاركه مع أهالي دمشق ، فأصبحت المهمة الملقاة على عاتق ملك القدس بلدوين الأول صعبة بعض الشيء لخلو المملكة من رجال أكفاء يقومون بمساعدته. لذلك استغل والي صور مع المسلمين الموجودين في عسقلان و صيدا و بيروت فرصة انشغال بلدوين الأول بأعمال الجليل لتسويتها ، وهاجموا طريق يافا بيت المقدس حيث خرج سبعة ألاف فارس من حاميات تلك المدن إلى سهل نهر العوجة بين أرسوف و يافا ، و أوغلوا حتى الرملة ، فقتلوا قرابة خمسمائة من الحجاج و قوة استطلاعية من بعض الفرسان الفرنج ، وحين علموا بقدوم بلدوين الأول إليهم انسحبوا إلى مدنهم وتحصنوا بها .

و في نهاية العام ترافقت غارة حاكم دمشق على طبرية مع غارات والي صور على حصن تبنين و قتله الحامية الموجودة فيه (٢).

فوضعت هذه الهجمات مملكة القدس بين نارين : الحاميات الفاطمية على الساحل ، و حامية دمشق في الداخل ، مما جعل بلدوين الأول يوافق على عقد هدنة مع حاكم دمشق طغتكين ليتفرغ بعدها للمدن الساحلية (٣).

فبعد قيامه ببعض الاستعدادات الحربية ، و جمعه لأكبر عدد من جنده قصد مدينة صور لمحاصرتها ، و حتى يستطيع شل حركة أهلها قام ببناء حصن على تل المعشوقة قبالة السور الشرقي للمدينة ، و حاصر صور لمدة شهر لكنه اضطر فيما بعد إلى قبول جزية حاكم صور و

---

(١)محمد مؤنس عوض ، المرجع نفسه ، ص١١٦-١١٧، هامش ٢٠. مصطفى الحياري ، صلاح الدين القائد و عصره ، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص٣٠٥.

(٢)يذكر المقريزي أن هذه الأحداث كانت في عهد الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله . المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر نفسه، ص٩٦. ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص٢٤٣. سبط ابن الجوزي المصدر نفسه ، ١٩/٨. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات، المرجع نفسه، ص٢٤٦. **Sotton,op, cit,1. p385.**
أحمد الشنتاوي ، دائرة المعارف الإسلامية ، ١٩٣٣م، ٣٦٦/١٤.

(٣)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٥٧١/٨.

قدرها سبعة ألاف دينار ، أخذها و ترك أعمال الحصار (١).

تخلى بلدوين الأول عن حصار مدينة صور بسبب حصانتها ، و إمكانياته العسكرية الضئيلة . لذلك قررت مصر الفاطمية تدعيم مدينة صور و الدفاع عنها ببعض قطع الأسطول المصري الذي أقلع في أواخر عام ٥٠٣هـ ١١٠٩ م متخذاً من صور قاعدة له .

و اتفق في ربيع الأخر سنة ٥٠٤هـ ١١١٠ م أن قدم إلى ساحل الشام أكثر من ستين مركباً مشحونة بالرجال من النرويج بقيادة سيجرورد الذي يعد أول ملك متوج يقدم لزيارة مملكة بيت المقدس ، و وافق سيجرورد على أن يبذل المساعدة للفرنج لفرض الحصار على صيدا ، و بدأ الحلفاء بإلقاء الحصار على المدينة في تشرين الثاني و المعروف أن صيدا كانت مدينة منيعة و السفن النرويجية كاد يبددها كلها أسطول فاطمي صغير ، قدم من صور ، و لم ينقذ الصليبيين إلا وصول أسطول البنادقة يقوده الدوج (أورد يلا فوفالبيري) ،فعاد الأسطول الفاطمي إلى صور و قرر مقدمه عدم مجابهة الأسطول الصليبي لأن في ذلك مغامرة خطيرة قد تنتهي بكارثة للمسلمين ، فلما يئس أهل صيدا من قدوم النجدة خاطبوا الصليبيين في تسليم بلدهم بالأمان فدخلها الصليبيون بعد حصار دام ٤٧ يوماً (٢).

و كان لسقوط صيدا بيد الصليبيين و تردد الأسطول المصري الموجود في صور عن إنقاذها أسوأ الأثر عليها و على مدن الساحل الأخرى ، ((فعظم خوف المسلمين من الفرنج ،و أيقنوا باستيلائهم على سائر الشام لعدم الحامي له و المانع عنه)) (٣).

لذلك أقدم والي صور أنوشتكين على طلب الهدنة من الصليبيين ،و امتنع بلدوين الأول عن

---

(١)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٥٥. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٥٦١/٨. محمد العظيمي الحلبي ، تاريخ العظيمي، تحقيق : د. سهيل زكار ، من خلال كتاب الحروب الصليبية، ط١، ١٩٨٤م، ٦٦٦/٢. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه، ٥٢/٨. المقريزي، المصدر نفسه ، اتعاظ الحنفا، المصدر نفسه، ص٩٦. بدر الدين العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ،، تحقيق: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٥م، ٣٤/٢٤. ابن ميسر ، أخبار مصر ، تحقيق: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٥م، ١٦/٢٥-١٧. فيتلوس، المصدر نفسه، ٣٨٧/٣١.

(٢)ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص٢٧٦-٢٧٤. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٢٨٣/٨. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ١٥١/٢. أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص١٦.

(٣)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٢٨٤/٨.

الإجابة إلا على قطيعة قدرها سبعة ألاف دينار تحمل إليه في مدة سنة و ثلاثة أشهر(١).

ج- الحصار الثالث ٥٠٥هـ/١١١٢ م :

-مدته وأسبابه:

كان هذا الحصار الأشد من نوعه على مدينة صور حيث استمر قرابة أربعة أشهر و نصف الشهر من ٢٥ جمادى الأولى حتى ١٠ شوال ٥٠٥هـ/ ٢٨ تشرين الثاني حتى ٢١ نيسان ١١١٢ م(٢).

فحين أحس أهالي صور بحرج موقفهم و صعوبته ، و ضعف القوة المصرية ، لجأوا إلى طغتكين يطلبون منه إرسال كتيبة من الأتراك تقوم بحماية البلد ، فأرسل طغتكين كتيبة مؤلفة من ٢٠٠ من الرماة (٣) على أن يؤدي عنها عز الملك عشرين ألف دينار ، مما دفع بلدوين الأول لاتخاذ قرار باحتلال المدينة (٤) فجمع القوات البرية و الناس من جميع أنحاء المملكة و زحف إلى صور ، و وضع جنده في دائرة حولها ، و انصب قلباً و قالباً على مضايقة المدينة (٥).

-أعمال بلدوين الأول و طغتكين أثناء الحصار:

بدأت أعمال الحصار في ٢٥ جمادى الأولى هـ/ ٢٨ تشرين الثاني ١١١١م ،و أقدم بلدوين الأول على قطع أشجار النخيل ،و بنى دوراً للإقامة أثناء الحصار .

و علم طغتكين بوضع صور، فقام بعدة محاولات لإبعاد الخطر الفرنجي عنها ، و اتخذ من بانياس معسكراً له للانطلاق نحو الأراضي الصليبية ، و بث سراياه في أعمال المدن الفرنجية ،و أطلق لرجاله النهب و السلب و الحرق(٦).

---

(١)ابن الأثير، المصدر نفسه، ٢٨٥/٨. المقريزي ، اتعاظ الحنفا، المصدر نفسه، ١٠٤. ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص٢٧٥. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: محمد محمد أمين، محمد حلمي محمد أحمد، ١٩٩٢م،٢٦٩/٢٨.

(٢)ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص٢٨٨. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه، ٤٤٢/٦. بدر الدين العيني ، المصدر نفسه ، ٤٢/٢٤.

(٣)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٤. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٥٩٠/٨، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه ، ص١٠٥.

(٤)ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة، المصدر نفسه ، ١٦٧.

(٥)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٥٤٥/١-٥٤٦.

(٦)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٤. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٨/٨. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه، ص١٠٥.

لكن ذلك لم يجدِ نفعاً ، فاستأذنه عز الملك أنوشتكين أن يرسل أعيان صور مع أمتعتهم و أموالهم، و وافق طغتكين و أرسل طائراً فيه رقعة ليعلم عز الملك ،و يأمره أن يقيم مركباً بمكان ذكره لحضور الرجال إليه ، فوقع الطائر على مركب للصليبيين و أخذه رجلان مسلم و فرنجي.

قال الفرنجي :

((نطلقه لعل فيه فرجاً لهم ، و لم يرضَ المسلم وحمله إلى الملك بلدوين الأول ، ولما عرف ما بداخله سير مركباً إلى المكان الذي ذكره طغتكين.

فوجد جماعة من المسلمين ،فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم ،فأخذوهم أسرى،وحملوهم إلى الفرنج فقتلوهم ،وزاد طمعهم بالاستيلاء على صور))(١).

أما الرواية الثانية فتذكر:

((أن عز الملك استأذن طغتكين في إرسال من في صور من الأعيان مع أمتعتهم وأموالهم ،ووافق طغتكين ،وكان على القافلة اجتياز بعض الأراضي الفرنجية ، فبذل عز الملك الرشوة لأحد الفرسان الفرنج كي يرشد القافلة و يكمل لها الأمن ، و وافق الفارس الصليبي وبادر بإخطار بلدوين الأول الذي انقض على رجال صور وسلبهم ثرواتهم))(٢).

ساءت الأحوال في مدينة صور بسبب أعمال الحصار ، مما دفع طغتكين إلى حصار حصن حبيس جلدك في السواد (٣)، و امتلاكه بالسيف ، و قتل من فيه (٤) و مع ذلك لم يتخلَ الصليبيون عن الحصار بل شرعوا في عمل برجين من خشب لتقريبهم إلى سور المدينة .

هاجم طغتكين الجيش الصليبي ليشغله عن صناعة الأبراج ، و أدرك الصليبيون خطته ، فحفروا خندقاً حول معسكرهم ، و لم يهتموا بما يجري على أعمالهم من تخريب .

---

(١)ذكر هذه الرواية ابن الأثير لكننا لا ندري مدى صحتها ، خصوصاً أن ابن القلانسي الذي تحدث بشكل مفصل عن هذا الحصار لم يأتِ على ذكرها أبداً ، وهو معاصر لهذه الأحداث أكثر من ابن الأثير . ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٥٩٠/٨ .

(٢)هذه الرواية ذكرها ستيفن رنسمان و هي دراسة متأخرة حول الحقبة الصليبية . ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ١٥٢/٢.

(٣)حصن حبيس جلدك : يوجد هذا الحصن قُرب درعا، و هو أشبه بالقلعة يدعوه السكان هناك "الكرك" أي الحصن . ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ٢٨٤، هامش ١. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٣٨/٨، أخبار سنة ٥٠١٢.

(٤)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٤. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٢٩١/٨. سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه ،٣٨/٨. بدر الدين العيني ، المصدر نفسه ، ٤٢.

و هجم الشتاء و لم يضر بالفرنج لأنهم كانوا نزولاً بأرض صلبة ، و الأتراك بالضد من ذلك ، و قد كابدوا من مقامهم هذا شدة عظيمة و مشقة مؤلمة (١) و على الرغم من ذلك تمكنوا من قطع الجسر الواصل بين صيدا و صور لمنع وصول الميرة إلى الصليبيين براً (٢) .
مما دفع بلدوين إلى الاستعانة بأسطول البيزنطيين المؤلف من اثنتي عشرة سفينة تخضع لسلطة الوكيل البيزنطي في القدس بوتوميتس ، لكن البيزنطيين لم يكونوا مستعدين للقيام بعمل عدائي ضد الدولة الفاطمية ما لم ينالوا تعويضاً مجزياً ، فطلبوا من بلدوين الأول أن يساندهم في استعادة ما سلف أن استولى عليه أمراء أنطا كية من المدن .
تردد بلدوين في الاستجابة لطلب الوكيل البيزنطي بوتوميتس فلم يقدم الأسطول البيزنطي سوى المؤن للجيش الصليبي (٣) .
و علم طغتكين بذلك فنهض في فريق من عسكره إلى ناحية صيدا و أغار على ظاهرها ، و قتل جماعة من البحرية ، و أحرق نحو عشرين مركباً على الشاطئ ، و هو مع ذلك لا يهمل إصدار الكتب إلى أهل صور بتقوية قلوبهم،و تحريضهم على الصبر، و الاستمرار في قتال الفرنج (٤) و أنهكت أعمال الحصار سكان المدينة ، و تحطمت الأسوار و الأبراج نتيجة الضربات العنيفة التي أصابتها من الآلات الحربية (٥) .
و بعد مضي شهرين و نصف من هذه المناوشات أكمل الصليبيون صناعة البرجين و وضعوهما على شيء يسمى اسقلوس و هو : فخذان ملقيان على الأرض ، و في كل برج من أسفله عشرون فرنجياً يدفعونه جميعهم ، فيسبح على ألواح عظيمة تجعل بين يديه ، فأصبح كل برج كأنه بلد يزحف (٦) و بذلك تم تقريبهم من سور البلد ، و قد كان يتسع كل برج لألف رجل ، و كانا أطول من أبراج المدينة الحجرية بكثير فطول البرج الصغير نيف

---

(١) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٥. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٨/٨.

(٢) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٢٩١/٨.

(٣)ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ١٥٢/٢.

(٤) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٥. ابن الأثير المصدر نفسه ،٥٩١/٨. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٩/٨. ابن شداد ، الأعلاق، المصدر نفسه ، ص١٦٧.

(٥)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٤٥٤٦/١.

(٦) المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه ، ص١٠٥.

و أربعون ذراعاً ، و طول البرج الكبير يزيد على خمسين ذراعاً (١) ،و أمكن النظر إلى المدينة من هذين البرجين (٢) .

اشتد الحصار على صور أكثر و ضيق على أهلها الذين خرجوا من المدينة في أول شهر رمضان و حاولوا حرق البرج الصغير فلم يستطيعوا ، فلجأوا إلى وضع النفط و الحطب و القطران و آلة الحرق بالقرب منه، بحيث لم يتمكن الفرنج من دفعها ، فهبت ريح و ألقت النار على البرج الصغير ، فاحترق بعد الاحتدام الشديد عليه ، و المكافحة العظيمة عنه ، ونهب منه الشيء الكثير من سلاسل حديدية و مطارق و غيرها(٣) .

و اتصلت النار بالبرج الكبير و وصل الخبر إلى المسلمين بأن الصليبيين قد تخلوا عن مهاجمة المدينة للاشتغال بحريق البرج ، فترك أهالي صور حماية الأسوار ، وحاولوا إحراق البرج الكبير و ضيق الفرنج عليهم ، و أبعدوهم عن البرج ، و أطفأوا ما علق به من النار و رتبوا عدداً كبيراً من رجالهم لحفظ البرج و المنجنيقات من جميع الجهات ، و واصلوا الزحف على المدينة حتى شهر رمضان ، ثم قدموا البرج نحو بعض أبراج البلد و ودموا الخنادق الثلاثة التي أمامه و عمد أهل صور إلى تعليق (٤) حائط البرج بإزاء برج الصليبيين و أشعلوا النار فيه فاحترق ، و سقط الحائط في وجه البرج ، فأعاق تقدمه و أصبح السور قصيراً ، و أبراج البلد تشرف عليه ثم لجأ الإفرنج إلى إزالة الحجارة المتحطمة ، و قربوا البرج من برج أخر من أبراج البلد و دفعوه إليه ، وصدموا السور بالكباش فزعزعوه و وقع منه شيء من الحجارة ، و شارف أهل البلد على الهلاك .

فعمد رجل من مقدمي البحرية عارف بأمور الحرب من أهل طرابلس إلى عمل كلاليب حديد لمسك الكبش إذا نطح السور من رأسه و من جانبيه بحبال يجذبها الرجال حتى يكاد البرج الخشبي أن يميل من شدة جذبهم له ، فتارة تحطمه الإفرنج خوفاً على البرج ، و تارة ينكسر بصخرتين تلقيان عليه من البلد مشدودة إحداها إلى الأخرى .

---

(١) يذكر ابن الأثير في كتابه الكامل أن طول البرج الكبير كان سبعين ذراعاً . ابن الأثير ، المصدر نفسه و ٥٨٩/٨. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٩/٨. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه و ص١٠٥.

(٢)وليم الصوري ، المصدر نفسه و ٥٤٦/١. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٤٢/٦.

(٣)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٧.

(٤)التعليق :هو حشو النفق الذي يحفر من قبل النقابين بالحطب و الخشب و المواد الأخرى الجافة التي تتميز بسهولة الاحتراق ، ثم يتم إشعال النار فيها مما يؤدي بنتيجة الحرارة الشديدة إلى تمدد الهواء و خلخلة الحجارة فوق النفق و سقوطها . مصطفى الحياري و المرجع نفسه ، ص٣٠٠.

و عَمَلوا عدة كباش و هي تتحطم على هذه الصفة ، و كان طول كل واحدة منها ٦٠ ذراعاً ، و وزنه ٢٠ رطلاً ، فلما طال تدمير الكباش قربوا البرج من السور فعمد هذا الرجل إلى خشبة طويلة و قوية أقامها في برج البلد الذي بإزاء برج الفرنج ، و في رأسها خشبة على شكل صليب طولها ٤٠ ذراعاً تدور على بكر بلولب كالتي في الصواري البحرية ، و في طرف الخشبة سهم من حديد ، و في طرفها الأخر حبال تدار بها كيفما أراد متولّوها .

و كان يرفع بها جرار القذارة و النجاسة ليشغلهم بطرح ذلك عليهم في البرج عن الكباش ، وضاق الأمر بالناس ، و شغلهم ذلك عن أمورهم ، و عمد البحري المذكور إلى السلال و القفاف يجعل فيها الزيت و القير و السراقة(١) و قشر القصب ، و يطلق فيها النار ، فإذا عُلقت بالخشبة الطويلة وقعت فوق برج الفرنج ، فتشتعل النار فيه ، فيبادر الصليبيون إلى إطفائها ، ثم تليها أخرى و معها قدور الزيت المغلي التي تصب على البرج فيعظم الوقيد .

فلما اشتدت النار و استعرت قهرت الرجلين المتولين لرأس البرج ، فقتل أحدهم و انهزم الآخر ، و تمكنت النار من رأس البرج و نزلت إلى الطبقة الثانية ، ثم إلى الوسطى ، و عملت في الخشب و قهرت من كان حوله ، و هرب كل من كان فيه من الصليبيين ، و خرج أهل صور إليه فنهبوا سلاسله ، وغنموا الكثير من السلاح والعتاد (٢).

بذلك استطاع أهل صور برأي فوشيه :((أن يهزموا البراعة بالبراعة ، ويعارضوا الدهاء بالدهاء ، و يتصدوا للشجاعة بالشجاعة))(٣).

توقف الحصار بإحراق البرج الكبير ، و دب اليأس في نفس بلدوين الأول و انقطعت لديه أخر حبال الأمل ، فغادر صور إلى عكا (٤) بعد أن فقد من ١٥٠٠إلى ٢٠٠٠من رجاله (٥) ، و أحرق المراكب التي كانت على الساحل لأنهم أخذوا صواريها و آلاتها للأبراج ، و كانت عدتها نحو ٢٠٠ مركب كباراً و صغاراً ، منها ثلاثون مركباً حربياً ، و حملوا في بعضها ما خف من أثقالهم و رحلوا في ١٠ من شوال٥٠٥هـ/٢١ نيسان ١١١٢م.

---

(٣)السراقة : لعل المراد منها نشارة الخشب . ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٧٨، هامش ٢.

(١)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٦-٢٨٧. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٥٨٩/٨. ابن شداد ، الأعلاق ، المصدر نفسه ، ١٦٧. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٩/٨.. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه ، ١٠٥. بدر الدين العيني ، المصدر نفسه ، ٤٢. النويري ، المصدر نفسه ، ٢٧٠/٢٨-٢٧١.

(٢)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٤٢/٤.

(٣) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٧. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٥٩١/٨. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٩/٨. ابن شداد ، الأعلاق ، المصدر نفسه ، ١٦٧. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٤٢/٦.

(٤) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٨. المقريزي ، المصدر نفسه ، ١٠٥.

أما قوة الأتراك فقد عادت إلى دمشق بعد أن فقدت عشرين رجلاً (١) ، و رمم أهل صور ما خربه الصليبيون من سور البلد و أعادوا الخنادق إلى حالها ، و لم يقدموا لطغتكين ما وعدوه به من مال ، فأكد لهم أنه لم يكن راغباً في ((مال و لا مملكة إنما فعل ذلك لله و للمسلمين ، ثم غادر واعداً أهل البلد بالمساعدة متى هاجمهم الصليبيون))(٢) .

-أسباب إخفاقه :

يُعدُّ حصار ٥٠٥هـ/١١١١-١١١٢م الأشد من نوعه لأن بلدوين الأول استخدم كافة إمكانياته البحرية و أوقف نفسه و جنده لإنجاح أعمال الحصار ،و قد خرج بنتيجة مفادها أنه بدون مساعدة بحرية لا يمكنه الاستيلاء على صور مهما بلغت قواته البرية من الحجم و الاستعدادات .

و نستطيع القول أن أسباب إخفاق الحصار تعود إلى سببين رئيسيين :

الأول : حصانة المدينة التي بإمكانها قهر أية قوة برية تضرب عليها الحصار ما لم تكن هذه القوة مدعمة بمساعدة بحرية .

الثاني : تقديم طغتكين المساعدات للمدينة أثناء الحصار ، من إرسال قوة من الأتراك تدافع مع أهل البلد ، إلى قيامه ببعض الغارات على الأراضي الصليبية ، و قطع الإمدادات عن المعسكر الصليبي.

د-الحصار الرابع ٥٠٦هـ/١١١٣م:

لم يمنع إخفاق بلدوين الأول في حصار ٥٠٥هـ/١١١٢م من إعادة المحاولة مرة أخرى في العام ٥٠٦هـ/١١١٣م. مما دفع أهل صور إلى مراسلة أتابك دمشق طغتكين كي يتولى الدفاع عنها ، وقد وصلت رسلهم إلى والي بانياس الأمير سيف الدولة مسعود بن سلار ، الذي اتفق مع ولد طغتكين تاج الملوك بوري النائب عن والده (٣) في دمشق على أن يتولى حفظ صور و يتم تسليم بانياس إلى من يعتمد عليه من العسكر الشامي ، وبعد وصول مسعود بن سلار إلى صور دعم طغتكين وجوده فيها بإرسال قوة من الأتراك لحفظ الأمن في المدينة .

---

(١)المقريزي ،المصدر نفسه ، ص١٠٥-١٠٦.

(٢) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٨٨. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٥٩١/٨.. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٩/٨.

(٣) كان طغتكين في حماة لتقرير الحال بينه و بين فخر الملوك رضوان صاحب حلب . ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٩٠. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٤١/٨.

و بذلك انتقل حكم صور من الدولة الفاطمية إلى دمشق و ولكن بقيت إقامة الدعوة و السكة باسم صاحب مصر الفاطمي ،و لعل معرفة صور بعجز مصر الفاطمية عن حماية المدن الساحلية الأخرى هو الذي جعلها تراسل طغتكين ، و لكن طغتكين كان حريص على الارتباط بعلاقات جيدة مع مصر ، فراسل الوزير الفاطمي الأفضل و شرح له غرضه من حماية صور ، و أنه على استعداد لتسليم صور إلى من تعينه مصر من الولاة (١) ، و وافق الأفضل على ذلك ، لحنكته السياسية و رغبته بالاحتفاظ بصور ـ و لو اسمياً ـ فجهز أسطولاً بالغلة و الميرة و النفقة للأجناد العسكرية ، فوصلت القوة البحرية إلى صور في آخر صفر ٥٠٧هـ/١١١٤م بقيادة شرف الدولة بدر بن أبي الطيب الدمشقي والي طرابلس عندما احتلها الصليبيون .

و تأكيداً من الأفضل على ولاية مسعود لصور أرسل خلعاً فاخرة إلى طغتكين و ولده تاج الملوك ، وخواصه و لمسعود أيضاً ، و بقي الأسطول مقيماً في صور حتى العشر الأخير من ذي الحجة .

و بسبب وصول الإمدادات المصرية إلى صور تحسنت الأحوال داخل المدينة ، فرخصت الأسعار و استقامت الأمور (٢) ، و ظل الأمر كذلك في حياة الأفضل الذي لم يكن يضن عليها بمساعداته باعتبارها أخر ثغور الشام التابعة للفاطميين ، وإن كانت هذه التبعية اسمية .

و من سوء الطالع أن الأفضل اغتيل في ليلة عيد الفطر سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، فخلفه في الوزارة المأمون أبو عبد الله محمد بن أبي شجاع فاتك البطائحي الذي كان —على الرغم من شجاعته- أقل دراية بشؤون السياسة من الأفضل (٣) ، بدليل أن مصر خسرت مدينة صور بسبب سوء تصرفه كما سنرى لاحقاً .

أثر التعاون بين مصر و دمشق سلباً على ملك القدس بلدوين الأول الذي أرسل إلى مسعود والي صور يطلب المهادنة و الموادعة ، لتحسم أسباب الأذية عن الجانبين ، و تم الاتفاق بينهما، مما أعاد أوضاع المدينة إلى حالتها الماضية من توفر الأمن و شروع الأعمال التجارية مع الأقطار

---

(١) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٢٩١. العظيمي ، المصدر نفسه ، ص٦٦٨. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٩٣/٨. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٤٢/٨. ابن شداد ، الأعلاق ، المصدر نفسه ، ص١٦٩. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه ، ص١٠٧. بدر الدين العيني ، المصدر نفسه ، ص٤٣، النويري ، المصدر نفسه ، ٢٧١/٢٨. ابن ميسر ، المصدر نفسه و ٢٦/٢٥.

(٢)سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٤٥/٨. بدر الدين العيني ، المصدر نفسه، ص٤٤. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه ، ص١٠٧. محمد الذهبي ، تاريخ الإسلام و وفيات مشاهير الأعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، ط١، ١٩٩٤م، حوادث ٥١٨،ص٣٠٣.

(٣)أحمد مختار العبادي ، المرجع نفسه ، ص١١٨-١١٩.

الأخرى ، وتردد المسافرين بينها و بين باقي الولايات(١).

٥-الحصار الخامس٥٠٩هـ/١١١٦-١١١٧م:

لم يلغِ بلدوين الأول فكرة الاستيلاء على صور ، فقد كان تواقاً لجعلها تحت سيطرته ، لذلك أقدم بعد عودته من سواحل البحر الأحمر على التوجه إلى صور لفرض الحصار عليها .

فشيد على الطريق البري بينها وبين عكا قلعة أطلق عليها اسم اسكانداليون و تعني أسد الحقل أو ميدان الأسد ، وتلفظ أحياناً اسكنديليوم نسبة إلى الاسكندر المقدوني الذي بنى في الموقع ذاته قلعة و للغرض نفسه ، و هي تبعد مسافة ١٠كم عن صور (٢) ، حيث الطريق الساحلي في ارتقاء إلى جانب الصخور شديدة الانحدار و المعروف بسلالم صور أو درج صور .

و بتشييد هذه القلعة في العام ٥٠٩هـ/١١١٦-١١١٧م أصبحت صور محاصرة من كافة الجهات ، فصيدا تسيطر على المنافذ المؤدية إلى المدينة من الجهة الشمالية ، بينما تشرف تبنين على الطريق المؤدي إليها من الجهة الشرقية ، وتم تطويق المدينة من الجهة الجنوبية ببناء قلعة اسكانداليون(٣) ، فلم يبقَ سوى توفر القوة البحرية ليكتمل الحصار و يتم الاستيلاء على صور .

ثانياً: احتلال صور :أ- وضع المدينة قبل الحصار:

نعمت صور ببعض الهدوء قرابة عشر سنوات (٤) بعد حصار ٥٠٩هـ/١١١٦-١١١٧م ، حيث تمكن واليها مسعود من حفظ الأمن في المدينة ، و يبدو أن سوء الأوضاع الداخلية لمملكة القدس الصليبية أدى إلى التقليل من هجمات الصليبيين عليها ، و تمثلت هذه الأوضاع بموت بلدوين الأول (٥) ، و الظروف الصعبة التي مَّر فيها حكم بلدوين الثاني دي بورغ (٥١١-٥٢٥هـ/١١١٨-١١٣١م) و التي جعلت من التفكير في احتلال صور مهمة صعبة ، زاد في

---

(١) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٠١. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٤٥/٨. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه ، ص١٠٧. بدر الدين العيني ، المصدر نفسه ،ص ٤٦.

(٢) فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٥٨/٦. وليم الصوري و المصدر نفسه ، ٥٦١/١. يعقوب الفيتري ، تاريخ بيت المقدس ، تر: سعيد البيشاوي ، الأردن ١٩٩٨م، ص٥١. مارينو سانوتو ، المصدر نفسه ، ٢٦٠/٣٦. بورتشارد ، المصدر نفسه ، ١٤٩/٣٩.

(٣) ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ١٦٠/٢.

(٤)الذهبي، المصدر نفسه ، أحداث سنة٣٠٣/٥١٨. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٦٩/٢.

(٥)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٥٩/٤. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٤٧/٨. روجر أوف ويندوفر ، المصدر نفسه ، ١٢٨/٤٤.

و اضطرب وضع الصليبيين إثر هذه الهزيمة إلى حد كبير ، فبعد وفاة الوصي (يوستاس غرنت) صاحب قيسارية و صيدا (١) في ٥١٧هـ/تموز ١١٢٣م حل محله في الوصاية (وليم دي بور) صاحب طبرية –أمير الجليل(٢)–.

ب–وصول الأسطول البندقي :

و دفعت سوء الأوضاع في مملكة القدس البطريرك (غرموند) و الوصي على العرش (وليم دي بور) إلى إرسال رسالة مستعجلة إلى الأسطول البندقي الذي ضرب حصاراً على جزيرة "كورفو"(٣) بعد خروجه من البندقية ، عندئذ رفع الدوج "دومنغوميشيل" قائد البندقية الحصار عن الجزيرة و اتجه إلى عكا ، و بالقرب من مياه عسقلان استطاع تدمير سفن للفاطميين بلغ تعدادها أربعين شينياً (٤).

مما دفع الصليبيين إلى إجراء مقارنة بين صور و عسقلان قبل الإقدام على حصار صور فانقسموا إلى فريقين:

أ– أمراء القدس الذين قالوا: بمهاجمة عسقلان كونها بوابة مصر و حاجزها الأمني .

ب–أما الوصي على مملكة القدس و صاحب طبرية _أمير الجليل_ (وليم دي بور) فقد قال: بحصار صور كونها الميناء التجاري الهام لمنطقة الجليل ، وخشية أن تتحول إلى ثغر في أراضي المملكة يتم عن طريقها استرداد المنطقة(٥)، و لا ننسى هنا أن الاستيلاء على صور كان دائماً من مهمة أمراء الجليل ، و أيده في ذلك أسقف القدس (أودو)،فهو قبل مدة وجيزة كان أسقفاً لصور(٦)، ولا يخفى ما لمنصبه الجديد من تأثير على أن ترجح كفة أمراء الجليل .

---

(١) فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٧٥/٦. روجر أوف ويندوفر ، المصدر نفسه ، ١٣٤/٤٤.

(٢)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٨٢/٦.

(٣)كورفو : اشتعلت نار الحرب بين البنادقة و الإمبراطورية البيزنطية بسبب الإمبراطور البيزنطي (مانويل) الذي حاول الحد من نشاط البنادقة التجاري في إمبراطوريته ، مما جعل دوج البندقية يوجه حملة إلى جزيرة كروفو ، و قد دام الحصار ستة أشهر ، بينما الصليبيين في الشرق ينتظرون النجدة الموعودة . يوحنا كيناموس ، أعمال يوحنا و مانويل كومينوس ، تر : د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٧م، ٢٦٦/٢٩. سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع نفسه ، ٤٠٦/١.

(٤)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٧٩/٦–٤٨٠. ابن القلانسي ، المصدر نفسه ،ص٣٣٣. العظيمي ، المصدر نفسه ، ٦٧٤/٢. ابن الميسر ، المصدر نفسه ، ٢٧/٢٥. النويري ، المصدر نفسه ، ٢٩١/٢٨. المؤرخ الرهاوي المجهول ، المصدر نفسه و ٤٨٧/٢.

Howard L .Adelson. Medival commerce , 1962, p. 165 .

(٥)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٠١/١

(٦)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٧١/٦.

و أيد البنادقة هذا الرأي لأنه كان وسيلة لتحقيق رغباتهم و مصالحهم التجارية ، فميناء صور كان خير الموانئ الواقعة على امتداد الساحل الشامي ، وهو الميناء الذي ترد إليه خيرات بلاد دمشق ، و يفوق في أهميته و مركزه التجاري ميناء عسقلان ، و كان يتميز بضآلة الأراضي الزراعية حوله ، و انفتاحه على البحر بحيث تستطيع السفن اجتيازه إلى الشاطئ(١).

و كان لانتصار الرأي الثاني أسبابه المشجعة التي ألمت بمدينة صور و تمثلت باغتيال الوزير الفاطمي الأفضل شاهنشاه و استلام المأمون أبي عبد الله محمد بن أبي شجاع البطائحي ، فما كاد يستلم الوزارة و يستبد بأمور البلاد حتى عزم على إزالة نفوذ طغتكين من صور ، و الإطاحة بولاية مسعود الذي كان يتولاها من قبل طغتكين .

ففي بداية سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م أرسل المأمون الأسطول المصري إلى ثغر صور و قد شحنه برجال البحرية و طائفة من العساكر(٢) كما شحنه بكميات كبيرة من الغلال تقدر بخمسة عشر ألف إردب ، و أقوات كثيرة ، فلما وصل الأسطول إلى صور ، خرج واليها مسعود لاستقبال مقدم الأسطول ، فطلب منه هذا النزول بسفينته ، فاستجاب مسعود لرغبته ، و ما كاد ينزل بمركب مقدم الأسطول المصري حتى أمر هذا باعتقاله ، وصدر الأمر على الفور إلى العسكر بالنزول إلى المدينة و السيطرة عليها ، ثم أقلع الأسطول من ميناء صور حاملاً الأمير مسعود إلى مصر ، فلما وصل إلى القاهرة ، بولغ في إكرامه ، وأنزل في دار ، و أطلق له ما يحتاج ، ثم أعيد إلى دمشق بعد ذلك .

و يعلل ابن القلانسي هذا التصرف من جانب السلطات المصرية بأن أهل صور شكوا إلى الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله و وزيره تصرفات مسعود مع الرعية من مخالفتهم و الإضرار بهم ، و يعلق ابن القلانسي على عزل مسعود عن ولاية صور بقوله : ((و كانت عاقبة خروجه منها ، و سوء التدبير فيها ، خروجها -أي صور- إلى الإفرنج ، وحصولها في ملكتهم)).

و لما علم الصليبيون بالانقلاب الذي تم في صور ، و خروجها عن حماية دمشق تحركت أطماعهم في الاستيلاء عليها ، فشرعوا في الأعداد لأخذها(٤) ، و أدرك والي صور الجديد

---

(٢) ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٦٧/٢.

(٣)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٢٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص٣٢٩. العظيمي ، المصدر نفسه ،٦٧٣/٢. ابن الأثير، المصدر نفسه ، ٦٩٤/٨. ابن شداد . الأعلاق ، المصدر نفسه ، ص١٧٠. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ١١١/٨. ابن الميسر ، المصدر نفسه ، ٢٧/٢٥. النويري ، المصدر نفسه ، ٢٧٢/٢٨. الذهبي ، المصدر نفسه ، ص٣٠٣. أحمد مختار العبادي ، المرجع نفسه ، ص١١٩-١٢٠.

عجزه عن حمايتها لقلة ما لديه من الجند و الميرة فأرسل إلى الخليفة الآمر يطلب المساعدة ، فرد عليه الآمر قائلاً: ((قد رددنا أمرها إلى ظهير الدين طغتكين ليتولى حمايتها ، وكتب له بذلك و فخم فيه و عظم ، ونعته بسيف أمير المؤمنين ، وجهز إليه خلعة فاخرة))(١)، فكان هذا الرد اعترافاً صريحاً من الدولة الفاطمية بعجزها عن حماية صور ، و تنازلها عن المدينة لطغتكين(٢).

و بذلك أصبحت الظروف داخل مدينة صور مهيأة لسقوطها بيد الصليبيين ، و هذا ما دفع أمراء الجليل ، و أمراء القدس إلى حل خلافهم حول اختيار صور أو عسقلان بتوسط بعض الشخصيات التي أنهت هذا الجدل بالقرعة و قد وصفها وليم بالنزيهة :

((كانت طريقة تحديد القرعة نزيهة تماماً ، وضعت قصاصتان من الورق احتوت إحداهما على اسم صور ، و احتوت الثانية على اسم عسقلان على المذبح ، ثم قدم غلام يتيم بريء ، و سمح له أن يختار إحدى القصاصتين حيث فهم أن الجيش سيقدم دون نقاش إلى المدونة في القصاصة المسحوبة ، و وقع الاختيار على صور))(٣) .

ج–بنود معاهدة ٥١٨هـ/١١٢٤م الموقعة بين البنادقة و بطريرك القدس :

تألف الأسطول البندقي من مئة و عشرين سفينة عدا القوارب و الزوارق الصغيرة ، و بعض هذه السفن كانت من ذوات المناقير (الغلايين) ، و بعضها ذات ثلاثة صفوف من المجاديف ، بالإضافة إلى المراكب التجارية ، و قد جهز الأسطول البندقي بالآلات الحربية ، و حمل البنادقة الأخشاب اللازمة لصنع آلات الحصار و تسلق الأسوار .

و قد بلغ تعداد المقاتلين البنادقة خمسة عشر ألف راجل و ٣٠٠ فارس(٤) لكن البنادقة لم

---

(١)الخلعة عبارة عن بدلة طميم منديلها (أي المنديل المستخدم لشد االوسط) طولها مئة ذراع شرب ، فيه ثمانية و عشرون ذراع مرقومة بذهب عراقي ، وثوب طميم جميعه برقم ذهب عراقي ، ثمن المنديل و الثوب ألف دينار ، و ثوب دبيق وسطاني ، و ثوب سقلاطون (من أنواع الحرير الملون الفاخر) داري و ثوب عتابي و شاشية دبيق و لفافة ، وجميع ذلك في تخت مبطن عليه لفافة دبيقي ، و غير ذلك من الكساوي برسم نسائه و أصحابه . المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه ، ص١٥٥.

(٢)ابن القلانسي ، المصدر نفسه و ص٣٣٦. ميخائيل السوري الكبير ، الحملتان الأولى و الثانية ، تحقيق : د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٥م، ١٣١/٥. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٩٤/٨. ابن شداد ، الأعلاق ، المصدر نفسه و ص١٧٠. النويري ، المصدر نفسه ، ٢٧٢/٢٨.

(٣) وليم الصوري و المصدر نفسه ، ٦٠١/١ .

(٤) فوشيه دي شارتر و المصدر نفسه ، ٤٧٤/٦–٤٧٥. وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٥٩٧/١. لكن يوحنا كيناموس يقول إن تعداد الأسطول البندقي كان ١٠٠ سفينة . يوحنا كيناموس ، المصدر نفسه ،٢٢٧/٢٩.

يقدموا خدماتهم البحرية دون أخذ الثمن الذي تمثل بحصولهم على فوائد جديدة و امتيازات من الأمراء المسيحيين الجدد في الشرق ، و التي كانت أهم من الامتيازات البيزنطية و العربية فيما مضى(١) .

و تمكنوا من توقيع معاهدات تجارية تضمن حقوقهم في مملكة القدس ، فحين و صل البنادقة إلى ميناء عكا بدأوا بالمفاوضات مع بطريرك القدس ، و استمرت طوال فصل الخريف ، و في عيد الميلاد لقي البنادقة حفاوة كبيرة و أدوا الطقوس الدينية في بيت لحم(٢) .

و في أوائل سنة ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م تم توقيع المعاهدة في عكا بين ممثلين عن جمهورية البندقية ، و بين البطريرك (غورموند) ، و (وليم) مستشار المملكة بصفتهم نواب الملك بلدوين الثاني الأسير ، و كان نص المعاهدة يتضمن ما يلي :

١- سيحصل البنادقة على كنيسة و شارع كامل ، و ساحة و حمام و فرن ، و يحتفظون بها بحق وراثي إلى الأبد مع إعفائهم من الضرائب ، و ذلك في كل مدينة تابعة للملك و في جميع مدن باروناته.

٢- إذا رغب البنادقة أن يقيموا في حيهم بعكا فرناً و طاحونة و حماماً و موازين و مكاييل فينبغي أن يسمح بذلك ، و دون اعتراض ، و لكل شخص مقيم هناك الحرية أن يطبخ و يطحن ،كما يسمح بذلك بحرية في كل ممتلكات الملك .

٣- يمكنهم استخدام المكاييل و الأوزان على النحو التالي :

عندما يتاجر البنادقة مع بعضهم بعضاً فعليهم استخدام مكاييلهم الخاصة ، و عندما يبيعون سلعهم إلى الشعوب الأخرى عليهم أن يبيعوا بمكاييلهم الخاصة أي مكاييل البنادقة ، إلا أنهم عندما يشترون أو يتلقون أي شيء بالمتاجرة من شعب أجنبي – من غير البنادقة – فيسمح لهم أن يأخذوه بالمكيال الملكي و بسعر محدود .

٤- لا يحتاج البنادقة إلى أن يدفعوا أية ضريبة مهما كان نوعها ، سواء أكان ذلك وفقاً للعرف أو لأي سبب أخر ، و ينطبق ذلك على الدخول و البقاء أو الشراء أو البيع ، فيما عدا ذلك عندما يذهبون و يجيئون و هم يحملون حجاجاً على مراكبهم ، و في هذه الحالة عليهم دفع الثلث للملك نفسه (٣) .

---

(١) **Gino Lazzatto , An economic, History of Italy , London, 1967, p 72**

(٢) فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ،٤٩١/٦. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٦٧/٢.

(٣)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ١١\٦٠٢. **Howard Ladelson, op .cit. p. 166**

٥- على البنادقة أن يدفعوا من عائدات صور في يوم عيدي الرسولين بطرس و بولس ثلاثمائة قطعة ذهبية إسلامية في كل يوم .

٦- عدم أخذ شيء إضافي من الشعوب الأخرى التي تتاجر مع البنادقة بشكل يتجاوز ما اعتادوا أن يعطوه (١) ، لكن تنفيذ هذا البند لقي تحفظاً من قبل الملك بلدوين الثاني بعد عودته من الأسر ، لأن فيه التزام مملكة القدس بموضوع الجمارك مع البنادقة و مع غيرهم من التجار(٢) مما يؤدي إلى التقليل من إيرادات الصندوق الملكي .

٧- منح دوج البندقية مساحات إضافية في مدينة عكا .

٨- إذا تعرض أحد البنادقة لدعوى قضائية ضد أي بندقي أخر فيجب أن يتم الفصل في هذه الدعوى في محكمة البنادقة ، و أي شخص لديه نزاع أو دعوى قضائية ضد أي واحد من البنادقة ، فيجب أن يتم الفصل في المملكة ذاتها ، و لكن إذا ما تقدم أي بندقي بشكوى ضد أي إنسان من غير البنادقة فيجب أن تحسم الدعوى في المحكمة الملكية ، و عندما يموت البندقي سواء ترك وصية أم لم يترك تصبح ممتلكاته تحت إشراف البنادقة .

٩- أخيراً إعطاء البنادقة ثلث كلّ من مدينتي صور و عسقلان مع توابعها ، و ثلث جميع الأراضي التابعة لهما ، مع الاحتفاظ بها كحق وراثي إلى الأبد ، و بحرية و بسلطات ملكية ، بشرط اشتراك البنادقة في الاستيلاء على أي من هاتين المدينتين (٣) .

تعد هذه الوثيقة واحدة من أهم الوثائق أهمية في التاريخ الاقتصادي لغربي أوربة ، ذكرت فيها جميع التفاصيل الدقيقة لحقوق البنادقة ، فقد بدأت الإمبراطوريات التجارية الاستعمارية — دول إيطالية التجارية — قبل حقبة الحروب الصليبية بقليل تولي اهتماماً بالغاً لصيانة حقوقها التجارية في الشرق العربي (٤).

و قد وقعت هذه الوثيقة من بطريرك القدس ، و من قبل السلطات الدينية في المملكة تأكيداً على ما ورد فيها من بنود ، و حفاظاً على ما جاء فيها من شروط (٥) .

---

(١) وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٠٣/١.

(٢) ف. هايد ، تاريخ التجارة في العصور الوسطى ، تر: أحمد محمد رضا ، ١٩٨٥م، ١٥٧/١.

(٣)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٠٤/١. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٦٨/٢.

(٤)وليم الصوري، المصدر نفسه ، ٦٠٤/١ هامش ٢.

(٥) وقع عليها بطريرك القدس ، و أسقف الناصرة ، و أسقف بيت لحم ، و أسقف القديس جورج ، و راعي دير القديسة ماري ، و المشرف القانوني على القبر المقدس ، و المشرف على هيكل الرب و المشرف على جبل صهيون ، و قائد القوات الملكية . وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٠٥/١. Howard ladelson.op. cit.p.169.

ء- أعمال الحصار :

تغلب الصليبيون بفضل وجود القوة البحرية المتمثلة بالأسطول البندقي على كافة العقبات لتنفيذ أعمال الحصار ، فذكر فولتشر أن افتقارهم للأموال كان السبب في عدم محاصرة المدينة قبل هذا الوقت ، لكن بوجود الأسطول البندقي اقترضوا الأموال من الناس ، بهدف دفعها للفرسان و الرجالة المأجورين فبدون دفع الأموال لا يستطيعون تنفيذ الحصار .

أما بطريرك القدس- بما أنه نائب الملك -فقد لجأ إلى رهن أَنْفَسِ مقتنيات كنيسة القدس للحصول على القروض من المسلفين (١) ، هذا بالإضافة إلى ما قدمه البنادقة من أموال بلغت ألف دينار ذهبي بيزنطي (٢) .

أتم الصليبيون كل التجهيزات لحصار مدينة صور ،و اجتمعوا من كافة أنحاء المملكة ، فجاء جوسلين(٣) أمير الرُها ، و وليم دي بور قائد القوات الملكية ، و الوصي على عرش القدس ، بالإضافة إلى رجال الدين و الأساقفة و على رأسهم بطريرك القدس غررموند ، عدا أهل أنطاكية الذين لم يشتركوا في هذا الحصار (٤) .

بدأ الحصار في ربيع الأول ٥١٨هـ(٥)/ ٦ شباط ١١٢٤م(٦) فاستولى الجيش الصليبي على البساتين الواقعة بالقرب من المدينة ، و جعلوا المعسكر على شكل دائرة حولها ، ثم حفروا خندقاً عميقاً من البحر في الشمال إلى البحر في الجنوب ، و طوقوا بذلك الجيش بأسره ، و أمنوا له الحماية ، و توجه الأسطول البندقي إلى الميناء حيث رسا في مكان محمي ، باستثناء شيني واحد بقي على أهبة الاستعداد تحسباً لوقوع أي طارئ .

---

(١)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٩٢/٦.

(٢)ف.هايد ، المرجع نفسه ، ١٥٦/١.

(٣)تقع خرتبرت في منطقة أرمينية و معظم أهلها كانوا من الأرمن ، وجوسلين أمير الرُها كان محبوباً جداً لذلك أقدم أهالي خرتبرت على تدبير مؤامرة للاستيلاء على القلعة ، و أطلاق سراح جوسلين و رفاقه ، و فعلاً تمكنوا من مباغتتها و السيطرة عليها ، فغادر جوسلين لطلب النجدة بعد أن رفض بلدوين الثاني المغادرة معه ، و حين بدأ حصار مدينة صور شارك جوسلين في أعمال الحصار . ابن العديم ، المصدر نفسه ، ٨٣/١٦-٨٤. ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٣٣. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٦١/٢-٢٦٢. عماد الدين خليل ، المرجع نفسه ، ص٢٦٩.

(٤)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٤/٦.

(٥)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ،ص٣٣٧. أحمد الشنتاوي ، المرجع نفسه ، ص٣٦٨.

(٦)معظم المصادر تذكر أن الحصار بدأ في ١٥شباط لكن سنة ١١٢٤م كانت سنة كبيسة لذلك فإن التاريخ الصحيح للحصار كان في ٦ شباط . فوشيه دي شارتر ، تر: زياد العسلي ، المصدر نفسه ، ص٢٠٧، هامش ١١٩. روجر أوف ويندوفر ، المصدر نفسه ، ١٣٥/٤٤.

و رتب الصليبيون أمتعتهم بنظام ، و أعدوا جميع الترتيبات : فجلبت المواد المناسبة لإنشاء الآلات الحربية من المخزونات الضخمة التي احضرها البنادقة ، و استدعوا الصناع لإنشائها(١)،و لإحكام الحصار سد الصليبيون سقاية الماء التي تجري من الأراضي المحيطة بالمدينة لإروائها ، حيث لم يكن بشبه جزيرة صور بئر تستمد منه الماء فكانت هذه نقطة ضعف فيها على الرغم من استحكاماتها التي شيدت على طراز سليم ، غير أن مياه الأمطار كانت قد ملأت الصهاريج في صور ، فلم يحس السكان بوطأة الحصار و قلة الماء إلا بعد زمن(٢).

وكانت مدينة صور قد اكتظت باللاجئين الذين غادروا مدهم قيسارية و عكا و صيدا و جبيل و مدن ساحلية أخرى و كان معظم هؤلاء من الأعيان و الأغنياء البارزين ، حيث اشتروا منازل بسعر مرتفع في صور ظناً منهم بعدم سقوطها بيد الفرنجة(٣).

و حين اشتد حصار الصليبيين لصور طلب أهلها المساعدة من مصر الفاطمية ، فتقاعس مأمون البطائحي عن نجدها ، فأغاثها ظهير الدين طغتكين صاحب دمشق ، و أرسل إليها سبعمائة من الترك ، و مقادير وافرة من المؤن لمواجهة الحصار(٤) ، لكن ابن القلانسي كان مجحفاً بحق هؤلاء الأتراك حين وصفهم :

((بعدم الكفاية و الشهامة ، و أنهم السبب في فساد أمر صور)) (٥).

و أنصفهم وليم الصوري حين قال:((أمثولتهم ألهبت سكان المدينة بشجاعة للمقاومة ، و زودهم بالمساعدة التي كانوا يحتاجونها بشدة)) (٦).

و أتم الفرنجة أعمال الحصار ، و بنوا برجاً ذا ارتفاع كبير(٧)تمكنوا بوساطته من رؤية المدينة بأسرها،و حصلت بسببه اشتباكات بين المدافعين عن أسوار صور و بين المقاتلين الموجودين في

---

(١)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦١٨/٢. المؤرخ الرهاوي المجهول ، المصدر نفسه ، ٤٨/٦. ميخائيل السوري الكبير ، المصدر نفسه ، ص١٣١. ابن العبري ، تاريخ الزمان ، تحقيق : د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٥م، ٣٤١/٥.

(٢)ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٧٠/٢.

(٣)المؤرخ الرهاوي المجهول ، المصدر نفسه ، ص٤٧. وليم الصوري ، المصدر نفسه ،٦١٧/٢.

(٤)الذهبي ، المصدر نفسه ،ص٣٠٣.

(٥)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٣٦. ابن شداد ، الأعلاق ، المصدر نفسه ، ص١٧٠. المؤرخ الرهاوي المجهول ، المصدر نفسه، ص٤٨. النويري ، المصدر نفسه ، ٢٧٢/٢٨. ابن الميسر ، المصدر نفسه ، ٢٨/٢٥.

(٦)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦١٩/٢.

(٧)تألف البرج من سبع طبقات ، و بلغ طوله ١٠ أذرع و قد حفظ بأنواع قوية من شجر البلوط الذي لا يتأثر بنيران النفط . المؤرخ الرهاوي المجهول ، المصدر نفسه ، ص٤٨

قمة البرج، و قذفت الآلات الحربية الحجارة الضخمة ، فحطمت الأسوار و الأبراج ، و بنى البنادقة آلات أخرى وضعوها في أماكن استراتيجية تمكنوا بوساطتها من إنهاك السكان داخل المدينة و إلحاق الخراب بها .

و عمل أهالي صور و المدافعون ما بوسعهم لصد هجمات الصليبيين فبنوا الآلات الحربية ، و قذفوا صخوراً على الأبراج الفرنجية ، فتمكنوا من السيطرة على أعمال القتال ، و لم يعد الصليبيون يستطيعون البقاء في المنطقة المجاورة إلا بالتعرض للخطر القادم من الصخور المقذوفة (١) إلا أنهم تمكنوا من الرد على هذه الضربة بضربة أشد ضراوة عجز المدافعون عن أسوار المدينة عن تحملها ، فتحطم السور مع بعض الأبراج ، و حيل بين المقاتلين في صور و بين الصليبيين في الخارج بساتر من الغبار الناتج عن تحطيم الملاط المتفكك ، و تجاوزت القذائف المتطايرة سور المدينة إلى داخلها فضربت الأبنية العالية التي تحولت مع سكانها إلى شظايا صغيرة ، و حاربت قوة المشاة و الفرسان في الريف خارج المدينة بشجاعة كبيرة ، وخاضت اشتباكات يومية تقريباً .

و هكذا استمرت أعمال القتال و شن الهجمات من كلا الجانبين ، لكن قوة الصليبيين تجددت بوصول (بونز) كونت طرابلس .

أما المدافعون الأتراك داخل المدينة فقد أصابهم الوهن و التعب بسبب تزايد المساعدات للجيش الصليبي بينما موارد المدينة في تناقص مستمر ، و قل خروج الصوريين إلى القتال بعدما أرهقتهم أعمال الحراسة المستمرة ، و المناوشات المتكررة ، فأرسلوا إلى صاحب دمشق طغتكين يطلبون المساعدة ، و إلى مصر كي ترسل نجدة بحرية(٢).

فخرج طغتكين من دمشق لمساعدة صور و جعل معسكره على بعُد أربعة أميال من المدينة بالقرب من بانياس عند منبع نهر الأردن(٣)، و انتظر وصول أكبر عدد من الجنود الاحتياطيين ،و استعدت مصر لمهاجمة عاصمة المملكة الصليبية بيت المقدس ، و بلغ الجيش المصري أرباض المدينة المقدسة ، فبادر سكانها من المدنيين و التجار و رجال الدين للدفاع عن أسوارها ، فلم

---

(١)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦١٨/٢.

(٢)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦١٨/٢-٦١٩. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٧١/٢.

(٣)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦١٧/٢-٦١٨. ابن القلانسي ، المصدر نفسه ،ص٣٣٧. ابن الأثير ، المصدر نفسه ،٦٩٤/٨. ابن شداد ، الأعلاق ، المصدر نفسه ، ص١٧٠، النويري ، المصدر نفسه ، ٢٧٢/٢٨. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٧٢/٢.

يخاطر القائد المصري بمهاجمتها ، بل اكتفى بنهب مدينة صغيرة على مسافة بضعة أميال شمال مدينة بيت المقدس (١).

غير أن هذه الغارات لم تنقذ مدينة صور بل دفعت القادة الصليبيين للتشاور و تقسيم الجيش إلى ثلاثة أقسام :

الأول : عليه التوجه إلى بانياس للاشتباك مع الجيش الدمشقي في حال اقترب طغتكين من صور وكان هذا الجزء من الجيش الصليبي بقيادة كونت طرابلس(بونز)و كافل المملكة(وليم دي بور)

الثاني : عليه التوجه إلى اسكاندليون لمواجهة الأسطول المصري ، و كان بقيادة دوج البندقية (دو منغو ميشيل)(٢).

الثالث : عليه الاستمرار بالقتال أمام أسوار صور ، و حراسة الآلات الحربية و الأبراج المتحركة ، وقد تألف من باقي الجنود البنادقة ، و الجنود القادمين من أنحاء المملكة .

و فعلاً انطلق كونت طرابلس و كافل المملكة لملاقاة طغتكين ، وحين اقتربا من بانياس عزم طغتكين على عدم المغامرة في معركة ضدهم ، و تراجع إلى دمشق .أما البنادقة فقد أبحروا إلى اسكاندليون ، وبقي أسطولهم في عرض البحر تجاه صور لعدة أسابيع ، لكن الأسطول الفاطمي الذي وصلت أخباره إلى مسامع الصليبيين لم يغادر الشواطئ المصرية بسبب الخراب و التدمير الذي لحق به قُرب عسقلان قبل عدة أشهر (٣).

و هكذا رجع كل من الأسطول البندقي ، وكونت طرابلس و كافل المملكة لمتابعة الحصار ، و أثناء غيابهم اغتنم الصوريون الفرصة و فتحوا أبواب المدينة ، و انقضوا بشدة على القوات الفرنجية (٤)،و خسر الصليبيون ثلاثين رجلاً، كما ألحق بهم أهل صور خسائر جمة من خلال الرشقات المتتالية بالنبال و الحراب ، و الحجارة الملقاة من أعالي الأسوار .

لكن الصليبيين لاحظوا أثناء فتح أبواب المدينة وجود آلة حربية تقوم بقذف حجارة ضخمة على الأبراج في المعسكر الفرنجي ، و قد أصابت هذه الآلة الأبراج بأضرار بالغة(٥)، فأرسل

---

(١)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٦/٥٠٠.

(٢)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦١٩/٢.

(٣)المصدر نفسه ، ٦٢٠/٢. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ص٤٩٧-٤٨٠. ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٣٣. المؤرخ الرهاوي المجهول ، المصدر نفسه ، ٤٨٧/٢. النويري ، المصدر نفسه ، ٢٩١/٢٨. ابن الميسر ، المصدر نفسه ، ٢٧/٢٥. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٧٢/٢.

(٤)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٦/٥٠٠.

(٥)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٢٢/٢.

الصليبيون في طلب أحد الأرمن و اسمه (هافدك) من أنطاكية لديه مهارة و خبرة في توجيه الآلات الحربية و تدمير جميع الأهداف بدون صعوبة ، و قد منح في حال وصوله إلى الجيش الصليبي راتباً محترماً من الخزينة المالية ((و انكب جدياً على العمل ، و أظهر براعة فيه ، لدرجة أن الحرب بدت و كأنها ستسير بقوة متجددة ، حيث زاد قدومه من كوارث الصوريين كثيراً))(١).

و بسبب تقاعس مصر و طغتكين عن نجدة صور لم يبق للمدينة المحاصرة أمل في المساعدة سوى بلك بن بهرام صاحب خرتبرت الذي اشتهر بأسر ملك القدس بلدوين الثاني ، فجرت المراسلات بين صور و بلك ،و كان بلك عازماً على استخلاف ابن عمه تمرتاش بن إيلغازي على حصار منبج و أن يأتي إلى صور لنجدتها ، وبينما هو قائم يأمر و ينهي و يستعد للتوجه إلى صور جاءه سهم من الحصن ، فوقع في ترقوته اليُسرى ، فمات إثر ذلك و تفرق عسكره(٢).

و حمل نبأ موته الفرحة للصليبيين المحاصرين لصور (٣) ، و بالعكس من ذلك بالنسبة لأهل صور الذين راسلوا طغتكين ثانيةً يطلبون النجدة .

و بدأت المراسلات بواسطة الحمام الزاجل لأنه لم يكن باستطاعة أي إنسان الدخول إلى المدينة أو الخروج منها ، و جمع طغتكين جيشاً قوياً و أرسل إلى أهل صور رسالة تقول :

((أنا قادم بعد أيام لمساعدتكم ، و بصحبتي جيش عظيم ، كونوا أقوياء ، استمروا في المقاومة ، و لا تهنوا و لا تضعفوا)) .

لكن الرسالة وقعت بيد الفرنج ، فقرؤوها و كتبوا رسالة أخرى ذات معنى معاكس نصها :

((لقد كتبتم لنا بأن نأتي لنجدتكم ، نحن لا نستطيع القدوم لعدم وجود أعداد كافية من الجنود تقاوم هؤلاء الذين يحاصرونكم ، فسلموا المدينة ، و تأكدوا من الحفاظ على أرواحكم))(٤).

و ربطوا الرسالة بجناح الحمامة و أطلقوها ، و عندما قرأها أهل صور فقدوا الأمل بأي

---

(١)وليم الصوري ، المصدر نفسه، ٦٢٣/٢.

(٢)ابن العديم ، المصدر نفسه ، ٨٥/١٦. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٩٢/٨. الذهبي ، المصدر نفسه ، ص٣٠٢. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٧٢/٢. عماد الدين خليل ، المرجع نفسه ، ص٢٧٤.

(٣)مؤلف رهاوي مجهول ، المصدر نفسه ، ٤٩٩/٢.

(٤)مؤلف رهاوي مجهول ، المصدر نفسه ،٤٨٨/٢.

مساعدة ، و نفدت لديهم المؤن (١)، فتفاوضوا مع دوج البندقية ، و بطريرك القدس للخروج من المدينة بسلام.

أما طغتكين فقد خرج من دمشق تنفيذاً لوعده ، و جعل معسكره بالقرب من بانياس و تأهب الصليبيون استعداداً لخوض معركة حاسمة معه ، لكن طغتكين حين علم ببدء المفاوضات بين الطرفين تخلى عن خوض المعركة ، و تابع التفاوض مع الصليبيين الأمر الذي انتهى بوجوب تسليم المدينة إلى الصليبيين بالشروط التالية :

١- أن يسمح للسكان الذين يرغبون بمغادرتها بالرحيل بحرية مع زوجاتهم و أولادهم و جميع ممتلكاتهم.

٢- أن يؤذن للذين يفضلون البقاء فيها بالبقاء ، و أن تضمن لهم منازلهم و ممتلكاتهم ، و يحتفظون بحقهم كرعية .

و قَبل القادة الفرنجة و البنادقة هذا العرض على الرغم من اشتداد ثائرة الجنود و البحارة حين سمعوا بأنه لا مجال للنهب و السلب (٢).

و في يوم الاثنين ٢٣ جمادى الأولى ٥١٨هـ(٣) /٧تموز ١١٢٤م(٤) فُتح باب البلد ، و وقف طغتكين في عسكره بالقرب من الصليبيين ، و أُذن للناس بالخروج ، فحمل كلٌ منهم ما خف حمله ، و هم يخرجون بين الصفين و ليس لأحد من الصليبيين أن يتعّرض لأحد منهم ، و لم يبقَ في المدينة إلا ضعيف لا يطيق الخروج ، و بذلك انتقلت آخر مدينة إسلامية على الساحل شمالي عسقلان إلى الصليبيين .

و تولى الجيش الفرنجي أمر صور ، فرفعت راية الملك على البرج الواقع فوق المدينة كإشارة

---

(١) مؤلف رهاوي مجهول ، المصدر نفسه ،٤٨٨/٢. ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٣٧. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٩٤/٨. ابن شداد ، الأعلاق ، المصدر نفسه ، ص١٧٠. النويري ، المصدر نفسه ، ٢٧٢/٢٨.

(٢)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٣/٦. وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٢٦/٢. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٧٢/٢.

(٣) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٣٧ . ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٩٤/٨. العظيمي ، المصدر نفسه ، ٦٧٥/٢. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ١١٣/٨. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، المصدر نفسه ، ص١٦٠. ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق : د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥م، ١٠٢/٢١. ابن الميسر ، المصدر نفسه ، ٢٩/٢٥. النويري ، المصدر نفسه ، ٧٢٠/٢٨. الذهبي ، المصدر نفسه ، ص٣٠٣.

(٤)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٣/٦. روجر أوف ويندوفر ، المصدر نفسه ، ١٣٥/٤٤.

للنصر ، و وضع علم دوج البندقية فوق البرج المسمى بالبرج الأخضر ، بينما ارتفعت راية كونت طرابلس فوق برج ترااناريا(١).

٥-نتائج سقوط صور بيد الصليبيين :

من خلال ما تقدم نلاحظ أن أسباب سقوط صور بيد الصليبيين تمثلت بما يلي :

١- محاصرتها من كافة الجهات البرية و البحرية ، فقد دُعمت القوة البرية بوصول الأسطول البندقي .

٢- عدم التنسيق بين مصر و دمشق أدى إلى ضياع صور نهائياً ، و كان هذا واضحاً أثناء خروج مسعود بن سلار من صور ، ((كانت عاقبة خروجه -أي مسعود-منها و سوء التدبير فيها خروجها -أي صور- إلى الإفرنج و حصولها في ملكتهم))(٢).

و حين سقطت صور قال ابن الأثير : ((كان أخذه وهناً عظيماً على المسلمين))(٣) ، ففقدت مصر قواعدها البحرية نهائياً في بلاد الشام ، و ضاق محيط العمليات التي تقوم بها السفن الخارجة من الموانئ المصرية (٤)، و كانت الصدمة شديدة على مصر إذ فقدت هيبتها التي كانت إلى أمد قريب سنداً لها ، و أسفت على أسطولها الذي كانت تسيره كل عام ضد الصليبيين (٥).

٣- و نتيجة لسقوط صور بيد الصليبيين استقرت حدود مملكة القدس الصليبية بشكل نهائي ، على الرغم من احتفاظ المسلمين بمدينة عسقلان حتى العام ٥٤٨هـ/١١٥٣م، إلا أن ذلك لم يؤثر على تحديد الهيكل النهائي لحدود المملكة (٦).

٤-اكتسبت مملكة القدس ميناءً هاماً يعَدُّ من أحصن الموانئ البحرية على طول الساحل الشامي

---

(١)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٢٦/٢. ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٣٧. محمد بن إبراهيم الجزري ، حوادث الزمان و أبنائه و وفيات الأكابر و الأعيان من أبنائه ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م، ٤٧/١. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٢/٦. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٧٢/٢.

(٢)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٢٩.

(٣)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٩٤/٨.

(٤)الباز العريني ، الشرق الأدنى في العصور الوسطى ،(١)الأيوبيون ، بيروت ، ١٩٦٧م، ص١٧١.

(٥)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٢/٦.

(٦)سعيد البيشاوي ، الممتلكات الكنسية في مملكة القدس الصليبية ، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص١٧١.

فاتخذه الصليبيون قاعدة للانطلاق نحو مصر الفاطمية (١)و نحو بلاد الشام أيضاً ، ((حين ملك الفرنج صور طمعوا ، وقويت نفوسهم ، و قرروا الاستيلاء على حلب))(٢) .

٥- لم تكن صور مجرد ميناء بحري هام ، بل كانت مدينة حصينة تتمتع بموقع استراتيجي ، و لها أهميتها الدينية لذلك حين استولى عليها الصليبيون قال فوشيه : ((حق للقدس أن تفرح مثل الوالد ، و تسر بينتها صور ، و قد جلست عن يمينها))(٣).

باحتلال صور من قبل الفرنج أصبحت المدينة صليبية ، و كان على الإفرنج تدبير أمورها الداخلية ، و هو موضوع الفصل المقبل .

(١)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٣٠/٦.

(٢)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٩٥/٨. عماد الدين خليل ، المرجع نفسه ، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٣)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٢/٦.

صور من الاحتلال حتى صلح الرملة :
٥١٨-٥٨٨هـ/١١٢٤-١١٩٢م:

أولاً: صور في ظل ملوك القدس اللاتين قبل حطين:

أ-المشكلة الكنسية .

ب-الوضع السياسي لمدينة صور .

ثانياً: صور أثناء معركة حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م.

أ-وصول (كونراد دي مونتفرات) إلى صور في :

٥ جمادى الأولى ٥٨٣هـ/١٤ تموز ١١٨٧م.

ب- أسباب إخفاق الحصار الأول.

ج- الحصار الثاني في ٢٢ رمضان ٥٨٣هـ/ ٢٥ تشرين الثاني ١١٨٧م

و أسباب إخفاقه .

ثالثاً : صور أثناء الحملة الصليبية الثالثة :

أ- مساعدة كونراد لغي في حصار عكا .

ب- وصول كلٍّ من ملكي فرنسة و إنكلترة .

ج- زواج كونراد من إزبيلا و انقسام الصليبيين إلى معسكرين .

ء- محاولة كونراد توقيع صلح منفرد مع صلاح الدين الأيوبي .

ك- مقتل كونراد على يد فرقة الحشيشية .

و- صلح الرملة و بقاء صور بيد الصليبيين .

أولاً : صور في ظل حكم القدس اللاتين قبل حطين :

أ- المشكلة الكنسية :

بدأت صور عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م مرحلة جديدة من تاريخها ، فأصبحت مدينة صليبية ، و كان على الفرنج تنظيم أمورها الداخلية ، فمن الناحية الإدارية أُلحقت بمملكة القدس على أساس أنّ احتلالها كان من قبل بطريرك القدس ، و بمساعدة البنادقة ، فقسمت المدينة إلى ثلاثة أقسام خصص قسمان منها للملك ، و الثالث للبنادقة ، و كان القسم المخصص للبنادقة داخل المدينة و حول المرفأ (١) .

أما من الناحية الكنسية : فقد مات (أودو) رئيس أساقفتها أثناء حملة احتلالها (٢) ، فتوجب على الصليبيين تعيين رئيس أساقفة جديد إلا أن هذه المشكلة لم تحل إلا في العام ٥٢١هـ/ ١١٢٧م عندما عقد بلدوين دي بورغ ملك القدس مع البطريرك غرموند ، و رجال الدين و الأمراء اجتماعاً تقرر فيه تعيين وليم الأول رئيساً للأساقفة (٣) .

أما فيما يتعلق بالاقطاعات و المنح الكنسية فقد كان بلدوين الثاني حريصاً على حقوق و أملاك الكنائس و الأديرة ، لذلك عقد اجتماع في القصر الملكي في مدينة صور خلال المدة الواقعة بين شهري صفر ربيع الأخر ٥١٩هـ/ آذار – أيار ١١٢٥ م تقرر فيه منح كنيسة القيامة القرية المسماة ديرينا (Derina) الواقعة في حدود مقاطعة صور ، ثم منحها أيضاً بستاناً يقع في مواجهة ساحل البحر المتاخم لمجموعة القرى المسماة بالأرض العظمى ، و التي يمكن زراعة مساحة كبيرة منها من عامٍ لأخر (٤) .

و في المدة الواقعة بين شهري ربيع الأخر – جمادى الأخر ٥٢٣هـ/ نيسان – حزيران ١١٢٩م منح وليم رئيس أساقفة صور كنيسة القديسة مريم – الواقعة في مدينة صور – لرجال الدين في كنيسة القيامة ، وقد تمت هذه المنحة في أحد الاجتماعات التي عقدت في عكا بوساطة وليم رئيس أساقفة صور ، و ستيفن بطريرك القدس ، و الملك بلدوين الثاني ، و لا غرابة أن يقدم رئيس أساقفة صور هذه المنحة لرجال الدين في كنيسة القيامة ، لأنه قبل أن يتولى منصب

---

(١)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٢٨/٢. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٦/٦.

(٢)ميخائيل السوري « الكبير ، المصدر نفسه ، ص٩٤. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٤٧١/٦. وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٢٧/٢.

(٣)ميخائيل السوري الكبير ، المصدر نفسه ، ص١١٣. وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٤١/٢.

(٤)سعيد البيشاوي ، المرجع نفسه ، ص١٨٢-١٨٣.

رئيس أساقفة صور كان رئيساً لكنيسة القيامة ، و من الطبيعي أن يقدم هذه المنح و الاقطاعات لزملائه في هذه الكنيسة (١) .

لكن هذه المنح كانت تتوقف على حسن العلاقة بين الملك و الكنيسة ، فحين حدث خلاف بين الملك بلدوين الثاني و بين رهبان دير القديسة مريم في وادي شعفاط قام الملك باستغلال الأراضي الواقعة في منطقة تبنين ، و بعض الأراضي المجاورة لقرية بيت فيلا (Beth Felle) في مقاطعة صور .

هذا بالإضافة إلى الأراضي التي استثناها الملك لنفسه في قرية ساردانس الواقعة مقابل صور (٢).

بقيت مشكلة التبعية الكنسية لرئيس أساقفة صور ، و هي المشكلة الوحيدة التي تنتظر الحل .

ظهرت هذه المشكلة في عهد بلدوين الأول ، عندما نشب نزاع بين بطركية القدس ، و بطركية أنطاكية حول أسقفية صور ، عرض بلدوين الأول الأمر على البابا باسكال الثاني الذي قرر أن تتبع جميع الكنائس في البلاد التي يسيطر عليها الملك إلى بطريرك القدس ، و تكون له الألوية على أنطاكية ، و كان هذا القرار من البابا نتيجة جهود بلدوين الأول السياسية ، الذي لم يتقاعس عن مؤازرة بطريركية القدس حليفته المخلصة ، و من ثم توسيع اختصاصاتها الدينية ، و زيادة نفوذها على حساب أنطاكية (٣) .

و مع هذا بقيت مشكلة التبعية الكنسية لرئيس أساقفة صور قائمة لم تحل ، و نتيجة لهذا الخلاف تم انقسام الأسقفية في صور فاحتفظ بطريرك أنطاكية بالجزء الذي يقع خارج المملكة من المواقع المعروف باسم ممر الكفرة ، بينما احتفظ بطريرك القدس بالجزء الذي يقع داخل المملكة (٤) .

و حين عُين وليم رئيساً للأساقفة في صور سافر إلى أوربة لاستلام طيلسان الأسقفية ، و عاد يحمل رسالة من البابا(هونوريس الثاني) إلى معاوني الأساقفة في صور يطلب منهم فيها تقديم الخضوع و الطاعة لرئيس الأساقفة وليم ، و ذيلت الرسالة بتاريخ ٨ تموز ١١٢٨ م :

((أمرنا معاوني الأساقفة في كنيسته أن يقدموا له الخضوع و الطاعة ، و التوقير كما يقدموه لمطرانهم .   صدر في باري ٨ تموز ١١٢٨ م.))

---

(١)سعيد البيشاوي، المرجع نفسه ، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢)سعيد البيشاوي ، المرجع نفسه ، ص١٩٧-١٥٣.

(٣)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٤/٦-٥٠٥. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات، ص٢٧٣

(٤)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٧٢/٢.

ثم أرسل جايل أسقف توسكولوم- ممثل المقر البابوي – و حمله رسالة إلى بطريرك أنطاكية يحضه فيها على إعادة معاوني الأساقفة التابعين لكنيسة صور يقول فيها :

((فإننا نأمرك في الرسالة الرسولية ، و بأخينا جايل أسقف توسكولوم ممثل المقر البابوي أن تعيد إلى وليم معاوني الأساقفة العائدة لكنيسته في مدينة صور ، بحيث إذا لم يظهروا الطاعة الموائمة خلال أربعين يوماً من قراءة الرسالة التي أرسلناها لكم، فإننا سنفصلهم في ذلك الوقت من المنصب الأسقفي))(١) .

لكن بطريرك أنطاكية رفض ذلك ،و بلغت المشكلة ذروتها في عهد فولك كونت أنجو(٥٢٥-٥٣٧هـ/١١٣١- ١١٤٣م) ، و رئيس الأساقفة الجديد (فولتشر) الذي تولّى الرئاسة بعد وفاة (وليم الأول) في ٥٢٩هـ/١١٣٥م ، فتزامن استلام (فولتشر) منصبه الجديد مع ازدياد وضع أسقفية صور سوءاً ، بسبب تسلط بطريرك أنطاكية على طرطوس و طرابلس و جبيل .

و استند بطريرك القدس في دعواه على رسالة البابا (باسكال الثاني) إلى ملك القدس (بلدوين الأول)(٢). أما بطريرك أنطاكية فقد استند على الوضع أيام الدولة البيزنطية ، و كان يأمل بعد أخذ صور أن يقدم رئيس أساقفتها الطاعة المطلوبة لأنطاكية ، لذلك جاء سفر (فولتشر) إلى روما هاماً ، ليضع حداً لهذا النزاع ، و ليعيد إلى صور مكانتها المسيحية ، فكانت رسائل البابا (أنوست الثالث) التي أكد من خلالها أهمية أسقفية صور ، و بين سياسته في حل النزاعات الكنسية .

فوجّه البابا رسالته الأولى إلى بطريرك القدس ، و طلب منه أن يعيد إلى (فولتشر) مكانته و تبجيله ، و في نهاية الرسالة وجّه له تهديداً بأنه سيجعل مقاطعة صور تعتمد على الكرسي الرسولي في روما بدلاً من تبعيتها لسلطان بطريرك القدس :

((و إلا فسيكون لديهم سبب للخوف من أن نحرره مع معاونيه من الالتزام بطاعتكم ، و نبقيه في ظل رعايتنا . صدر في اللاتيران ١٧تموز ١١٣٨م.))(٣) .

كما وجّه رسائله الأخرى إلى كلٍّ من أساقفة عكا و صيدا و طرابلس و طرطوس و جبيل يطلب منهم فيها التخلي عن كل الاعتذارات و إظهار الطاعة لأسقف صور :

---

(١)وليم الصوري، المصدر نفسه ، ٦٤٣/٢.

(٢)فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٥٠٥/٦. سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ العلاقات ، ص ٢٧٤.

(٣)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٦٩/٢.

((من أنوست الثالث ....إلى إخوانه المبجلين جيراد أسقف طرابلس ، و ر. أسقف طرطوس ، وهـ. أسقف جبيل ، ....نوجه إليكم الكتاب الرسولي أن تظهروا الطاعة التي تدينون بها لأخينا المبجل فولتشر)) .

((من الأسقف أنوست الثالث ....إلى إخوانه المبجلين بلدوين أسقف بيروت ، و برنارد أسقف صيدا ، و يوحنا أسقف عكا ،.......نأمركم و نوجهكم من جديد بمقتضى سلطتنا الرسولية أن تتخلوا من الآن فصاعداً عن جميع المعاذير ، و أن تطيعوا أخانا فولتشر في جميع النواحي))(١).

استردت أسقفية صور بعد هذه الرسائل مكانتها ، و أصبحت في المرتبة الثانية بعد القدس ، فتملَّكَ المركز الأسقفي فيها الكثير من الثروات لدرجة أن رئيس أساقفتها امتلك وحده (٢٠٤٠)شجرة زيتون في الأسقفية ، و كان من الطبيعي مقابل هذه الثروات أن تكون حصة رئيس أساقفة صور من تقديم خدمات الفرسان و السرجندية (١٥٠)سرجندي (٢).

و قد حظيت مدينة صور مع أسقفيتها بمكانة خاصة في عهد الملك عموري الأول (٥٥٧-٥٦٩هـ/١١٦٢-١١٧٤م) ، فاحتفل بزواجه فيها سنة (٥٦٢هـ/٢٨ آب ١١٦٧م)(٣)، و نال رئيس شمامستها مكانة مميزة ، فخصص له الملك دَخْلاً أعلى مما كان مألوفاً لذلك المنصب ، و كلّفه بكتابة تاريخ أعماله في مصر ، فقد خيل إليه أنَّ إنجازَه في أخذ مصر سيكون بالمترلة الثانية للاحتلال الصليبي لمدينة القدس (٤).

و لتحقيق هذا الهدف جرى الاتفاق مع بيزنطة لتمويل أعمال عموري العسكرية في مصر عن طريق البحر، و وقع الاختيار على (وليم الصوري) ليقابل إمبراطور بيزنطة للتوقيع على المعاهدة التي جرت بين الطرفين (٥)..

و فعلاً بدأ وليم بكتابة أعمال عموري في مصر ، لكنه أجرى عليه تعديلات كثيرة حتى أصبح كتاباً يضم تاريخ الحركة الصليبية مُنذ بدايتها في مجمع كليرمونت و خروج بطرس الناسك حتى وفاة وليم في ربيع ٥٨٠هـ/١١٨٤م(٦)، و يُعَدّ هذا الكتاب من أهم ما كُتب في الحقبة الصليبية

---

(١)وليم الصوري، المصدر نفسه ، ٦٧١/٢. روجر أوف ويندوفر ، المصدر نفسه ، ٩٣/٣٩.

(٢)ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٤٩٨/٢-٤٩٩. سعيد البيشاوي ، المرجع نفسه ، ص٩٦.

(٣)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٩٢٤/٢.

(٤) المصدر نفسه ، ٧٩/١.

(٥)يوحنا كيناموس ، المصدر نفسه ، ٢٦٥/٢٩. وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٩٣٧/٢-٩٣٨.

(٦)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٩١/١.

من كتابات لاتينية .

و لم يُكلف وليم بكتابة تاريخ أعمال عموري الأول فقط بل عُهد إليه بتعليم بلدوين الرابع بن عموري الأول ، و تربيته تربية عقلية و بدنية منذ بداية عام ٥٦٥هـ/١١٧٠م. عندما كان بلدوين في السابعة من عمره و من خلال هذا الاحتكاك بالأمير عرف وليم للمرة الأولى أن بلدوين مصاب بداء خطير تبين فيما بعد أنه مرض الجذام (١).

لم تأتِ أهمية صور في هذه المدة من خلال أسقفيتها فقط بل كانت بسبب مواردها الزراعية و الصناعية ، لذلك أصبحت مع مدينة عكا من أهم المدن عند ملوك القدس اللاتين ، و نظراً لهذه الأهمية مُنحت مع عكا إلى (فولك كونت أنجو) في العام ٥٢٢هـ/١١٢٨م كمهر (لميلساند) بنت بلدوين الثاني (٢) ، و قد احتفظ (فولك) بهاتين المدينتين مدة ثلاثة أعوام تقريباً حتى وفاة بلدوين الثاني .

و في العام ٥٧٤هـ/١١٧٩م مُنحت صور إلى (غي لوزنغنان) كمهر زوجه (سبيلا) بنت عموري الأول (٣)، و بعد تعيين (غي) وصي على عرش مملكة القدس أصر على الاحتفاظ بصور ، و رفض طلب (بلدوين الرابع) بأن يتبادلا مدينتي بيت المقدس و صور ، و كان بلدوين قد لجأ إلى هذا الطلب لأن صور أكثر تحصيناً من القدس ، و مجهزة بشكل أفضل لتلبي طلبات بلدوين ، كما أن مناخها ألطف لصحته من رياح مرتفعات بيت المقدس(٤).

بهذا نجد أن مدينة صور حازت على اهتمام ملوك القدس اللاتين لموقعها الجغرافي الجيد ، و بسبب مينائها المحمي و الكبير الذي يُعدُّ من أفضل موانئ الساحل الشامي .

ب–الوضع السياسي لمدينة صور :

هذا عن وضع صور الكنسي ، أما بالنسبة لوضعها السياسي ، فنلاحظ أن أعمال القوات العربي لاسترجاعها قليلة جداً لا تكاد تُذكر ، فهي كمدينة ساحلية و بعد احتلالها أصبحت معزولة عن المدن الداخلية ، فشكلت مواقع أخرى حداً فاصلاً بينها و بين مراكز المواجهة الأساسية في بلاد الشام .

---

(١)وليم الصوري، المصدر نفسه ، ٨١/١ . المصدر نفسه، ٩٧٢/٢.

(٢)المصدر نفسه ، ٦٥٦/٢. John Marmoutier, أصول الأسرة الانجيفية ، تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م، ٣٠/القسم الأول ص٣٨.

(٣) وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ١٠١٦/٢.

(٤)المصدر نفسه ، ١٠٦٨/٢. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٧٠٩/٢–٧١٠.

فكانت مدينة بانياس الداخل خط الدفاع الأول عن صور ، و قد توسطت المسافة بينها وبين دمشق ، و كانت تتلقى ضربات الصليبيين بصفتها بوابة دمشق ، و ركز عليها المسلمون للوصول إلى الساحل .

و مما يؤكد أن بانياس كانت خط الدفاع الأول لصور و دمشق ما جرى سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م عندما كانت بانياس بيد إسماعيل الباطني ، ويسانده في دمشق الوزير أبو علي طاهر بن سعيد المزدقاني ، الذي اتفق مع الصليبيين على أن يسلمهم دمشق و يأخذ صور .

و تقرر الموعد بينهم في يوم جمعة ، و حين علم تاج الملوك بوري صاحب دمشق بهذا أقدم على قتل وزيره ، و قتل الباطنية (١) في دمشق ، و ذلك في منتصف رمضان ٥٢٣هـ/١١٢٩م ، فما كان من إسماعيل إلا مغادرة بانياس إلى الصليبيين بعد أن سلمهم المدينة (٢).

و ترافقت هذه الأحداث مع وصول الكونت (فولك الأنجوي) إلى القدس ، فجهز الصليبيون أنفسهم للقيام بحملة على دمشق بعد أن استلموا بوابتها بانياس ، لكن الحملة أخفقت (٣) .

أما بالنسبة للاتفاق بين الصليبيين و طاهر بن سعيد المزدقاني فلا نعتقد أن الفرنج كانوا جادين في تسليم صور مقابل دمشق ، فهم لا يمكن أن يُقدموا على التفريط بها و هي الميناء البحري الذي كلّفهم الاستيلاء عليه حروباً استمرت قرابة خمسة و عشرين سنة ، و لكنها كانت مناورة منهم لأخذ دمشق .

و كانت ردات الفعل عند المسلمين عبارة عن بعض الغارات على المقاطعات التابعة لمدينة صور ، و لكن هذه الغارات لم تتجاوز حد الاستيلاء على الميرة و الأقوات ،و مضايقة الصليبيين ، ففي يوم الجمعة ٢٤محرم ٥٢٨هـ/١١٣٤م أخذ شمس الملوك بوري (شقيف تيرون) من الضحاك ابن جندل رئيس وادي التيم ، مما أزعج الفرنج ، لأن الضحاك لم يكن يتعرّض لبلادهم المجاورة(٤)، فأغاروا على حوران لمضايقة شمس الملوك الذي ردَّ على هذا العمل بغارته

---

(١)نُشرت عدة أبحاث حول هذه الطائفة ، و يُعد كتاب الحشيشية أو الدعوة الإسماعيلية الجديدة أهمها ، تأليف : برنارد لويس ، تر: د. سهيل زكار ، بيروت، ١٩٧٠م.

(٢)المؤرخ الرهاوي المجهول ، المصدر نفسه ، ٤٩٢/٢. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ١٧/٩. النويري ، نهاية الأرب ، تحقيق: د.سعيد عبد الفتاح عاشور،مر:محمد مصطفى زيادة و فؤاد عبد المعطي الصياد،مصر ١٩٨٥م، ٧٩/٢٧-٨٠

(٣)العظيمي ، المصدر نفسه ، ٦٧٩/٢. ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٣٤٠. وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٦٤٧/٢. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ١٨/٩. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ١٣٠/٨. النويري ، المصدر نفسه ، ٨٠/٢٧-٨١.

(٤)ابن القلانسي،المصدر نفسه ، ص٣٨٢.ابن الأثير،المصدر نفسه،٥٠/٩.النويري ، المصدر نفسه،٨٤/٢٧.

على سواحل صور و عكا و طبرية(١).

و كانت الغارة الثانية على نواحي صور في العام ٥٣٤هـ/١١٣٩م، من قبل والي بانياس إبراهيم ابن طرغت الذي أغار على بلاد صور ، فصادفه (ريموند) صاحب أنطاكية القادم لمساعدة ملك القدس (فولك الأنجوي) و حليفه معين الدين أنر في فك حصار عماد الدين زنكي عن دمشق ، و كان من ضمن شروط التحالف بين دمشق و القدس :

أن يدفع معين الدين أنر عشرين ألف دينار كل شهر نفقات للقوات الصليبية التي أتت لنجدته، و يعيد حصن بانياس بعد انتزاعه من واليه إبراهيم بن طرغت التابع لزنكي ، و تسليم عدد من كبار الأمراء كرهائن لضمان حسن التنفيذ .

و لكن حين التقى (ريموند) مع إبراهيم بن طرغت في ضواحي صور كسره ، و قُتِلَ مع عدد يسير من أصحابه ، و عاد من بقي منهم إلى بانياس ، فتحصنوا بها ، و جمعوا رجال وادي التيم و غيرهم للذود عنها فنهض إليها معين الدين أنر في عسكر دمشق و حاصرها حتى نفدت فيها الميرة ، فأعلنت استسلامها إلى معين الدين الذي سلمها للصليبيين في شوال ٥٣٤هـ/أيار١١٣٩م، و وفى بالشرط(٢).

من الملاحظ أنّ غارة إبراهيم بن طرغت على ضواحي صور ترافقت مع حصار عماد الدين زنكي دمشق ، و ربما كان هذا التوقيت متفقاً عليه بين عماد الدين و إبراهيم ، و الهدف منه التضييق على دمشق ، و إشغال الصليبيين بالدفاع عن أراضي صور ، و يبدو أن قوة إبراهيم لم تكن كافية ، فاستطاع (ريموند) القضاء عليها بسهولة .

أما الغارة الثالثة: فقد كانت من قبل معين الدين أنر صاحب دمشق ، و ذلك بسبب فساد الإفرنج المقيمين بصور و عكا و الثغور الساحلية بعد رحيلهم عن دمشق _في الحملة الصليبية الثانية_ و نقض شروط الهدنة المستقرة بينهم وبين معين الدين ، فشرعوا في الإغارة على الأعمال الدمشقية ، و اقتضت الحال نهوض معين الدين في العسكر الدمشقي إلى أعمال المدن الصليبية صور و عكا مغيراً عليها و عابثاً فيها ،إلى أن ألجأهم إلى طلب المصالحة ، وتجديد الهدنة، و ترددت المراسلات في تقرير هذا الأمر و إحكام شروطه في محرم٥٤٤هـ/١١٤٩م، حتى

---

(١)سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ،١٤٨/٨. النويري ، المصدر نفسه ، ٨٥/٢٧.

(٢)ابن القلانسي ، المصدر نفسه، ص٤٢٦-٤٢٧. وليم الصوري ، المصدر نفسه ،٧٠٧/٢-٧٠٨. ابن العديم ،المصدر نفسه ، ص١١٦-١١٧. ابن الأثير،المصدر نفسه ، ١٠٦/٩. النويري ، المصدر نفسه ،٨٩/٢٧. محمد سهيل طقوش ، تاريخ الزنكيين في الموصل و بلاد الشام ، بيروت ،ط١، ١٩٩٩م، ص١٢٦.

تقررت الهدنة لمدة سنتين(١).

أما الغارة الرابعة: فكانت سنة ٥٥٠ هـ/١١٥٦م من قبل الفاطميين ، و كانت الثانية و الأخيرة من قبلهم ، و يعود ذلك إلى سببين :

الأول : أن الأسطول البندقي دمر الأسطول المصري في عسقلان سنة ٥١٨ هـ/١١٢٤م(٢) ، و استطاعت هذه المعركة إنهاء السيادة المصرية على الشواطئ الشامية .

أما السبب الثاني : فيعود إلى سوء الأحوال الداخلية في مصر بسبب الصراعات الدائرة بين الوزراء(٣).

لذلك لم تحدث سوى غارتين من قبل الفاطميين على مدينة صور ، الأولى كانت في ٥٢٠هـ/١١٢٦م، و هي لم تكن غارة بالمعنى الصحيح و إنما كانت عملية استطلاع من قبل الأسطول المصري لشواطئ المدن الصليبية في بلاد الشام ، حيث خرج الأسطول و قوامه اثنتان و عشرون سفينة ثلاثية المجاديف ، و ثلاث و خمسين سفينة من أنواع أخرى ، و قد مرَّ أولاً بالفرما ثم العريش فغزة و عسقلان و يافا و قيسارية و عكا وصور و بيروت ، استطلع رجاله المنطقة بحثاً عما يعود عليهم بالمنفعة ، و نزلوا إلى اليابسة في بيروت ، فهاجمهم الصليبيون و قتلوا منهم مئة و ثلاثين رجلاً ،و ألحقوا بهم هزيمةً دفعتهم إلى الإبحار من بيروت إلى طرابلس ثم قبرص(٤).

أما الغارة المصرية الثانية: كانت ٥٥٠ هـ/١١٥٦م، حيث لجأ الأسطول الفاطمي إلى اتخاذ خطة تجنبه الاشتباك مع السفن الصليبية(٥) ، ففي عهد الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك خرج الأسطول المصري بإمرة الأمير الأوحد بن تميم من((أمراء البحرية ، كان شديد البأس ، اختار جماعةً من رجال البحر يتكلمون بلسان الإفرنج ، وألبسهم لباس الإفرنج و حملهم في عدد من المراكب الأسطولية ، و أقلع في البحر لكشف الأماكن و المكامن ، و المسالك المعروفة لمراكب الروم ، فتعرف أحوالها ثم قصد ميناء صور ، و قد ذُكَرَ له أنَّ في الميناء زورقاً كبيراً فيه رجال و مال وفير ، فهجم عليه و ملكه و قتل من فيه ، و أقام ثلاثة أيام ، ثم أحرقه و عاد إلى البحر

---

(١) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ،ص٤٧١-٤٧٢.

(٢)المصدر نفسه ، ص٣٣٣. فوشيه دي شارتر ، المصدر نفسه ، ٦/٤٧٩-٤٨٠. العظيمي ، المصدر نفسه، ص٦٧٤. ابن الميسر ، المصدر نفسه ، ص٢٧. Howard L.Adelson,op,cit.p. 165

(٣)عصام شبارو، السلاطين في المشرق العربي، بيروت ،١٩٩٤م، ص ٦٤.

(٤)فوشيه دي شارتر، المصدر نفسه ، ٦/٥٣٢.

(٥)السيد الباز العريني ، المرجع نفسه ، ص١٧١.

، وظفر بمراكب حجاج إفرنج فهاجمها و قتل و أسر و عاد إلى مصر بالغنائم و الأسرى)).

و قد كان هدف طلائع بن رزيك من هذا كله إثارة القلق في مملكة القدس الصليبية ، و لم يكن يرغب في أخذ الأرض(١).

أما الغارة الخامسة: فقد كانت في عهد صلاح الدين الأيوبي ، الذي كان هدفه توحيد المسلمين في تلك المرحلة ، و لم تكن لديه القوة الكافية لتوجيه ضربة قاضية ضد الصليبيين ، فاتبع سياسة الأرض المحروقة التي تقوم على تدمير المدن و حرق المحاصيل.

و تنفيذاً لهذه السياسة قام بعدة غارات على أراضي الصليبيين ، كان منها غارة على مدينة صور ، فطلب من أخيه العادل إرسال قوة مختارة تقدر ب(١٥٠٠)فارس لمساعدته، و في أوائل ذي الحجة ٥٧٤هـ/١٧ أيار ١١٧٩م نصب خيمته على تل القاضي المشرف على المنطقة الممتدة بين بانياس و حصن بيت الأحزان و الجليل و بلاد صور ، و أقام في هذا المخيم قرابة الشهر إلى يوم الأحد ٨ محرم ٥٧٥هـ/٢ حزيران ١١٧٩م.

و استغل هذه المدة للقيام بغارات على مختلف الجهات : الجليل و صيدا و صور ، و كان الهدف منها الاستيلاء على المحاصيل التي كانت في أوان حصادها (٢) قبل تخزينها ، بالإضافة إلى استكشاف تحصينات بيت الأحزان (٣).

و عندما علم بلدوين الرابع بالخراب الذي حلّ بالجليل و بلاد صور و صيدا جمع قواته وأرسل رسلاً إلى صاحب طرابلس طالباً المساعدة ، ثم توجه إلى طبرية ليصل إلى تبنين ، و يعسكر بالقرب من المخيم السلطاني ، و عندما جرت المعركة بين الطرفين خسر الصليبيون وأسر العديد من رجالهم(٤).

من خلال ما تقدم نلاحظ أنّ وضع مدينة صور في المرحلة الممتدة من عام ٥١٨هـ/١١٢٤م حتى عشية معركة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م كان مستقراً من الناحية السياسية ، حيث تحولت

---

(١)ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، ص٥١٠. أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٣٢١/١. ابن الميسر ، المصدر نفسه ، ص٧١. المقريزي ، المصدر نفسه ، ص٢٥٠. مصطفى الحياري ، المرجع نفسه ، ص٤٩.

(٢)وليم الصوري ، المصدر نفسه ،١٠٣٧/٢. سبط ابن الجوزي ،المصدر نفسه،٣٥١/٨. ابن الأثير، المصدر نفسه ،٤٣٩/٩. أبو شامة ، المصدر نفسه ،٣٥/٣. النويري ، المصدر نفسه ،٣٩٤/٢٨. حسين محمد عطية، إمارة أنطاكية الصليبية و المسلمون ، دائرة المعارف الجامعية، ط١، ١٩٨٩م، ص١٩٤

(٣)سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٥٣/٨. مصطفى الحياري ، المرجع نفسه ، ص٢٢١.

(٤) وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ١٠٣٩/٢. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٤٣٩/٩. أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٤٦/٣. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٦٧٧/٢.

المدينة بعد احتلالها إلى مركز إقطاعية صليبية ، و ميناءً هاماً لرسو السفن الفرنجية(١)، و لم يعكر أمنها إلا بعض الغارات القليلة على الأراضي التابعة لها ، و التي لم يكن الهدف منها تحرير المدينة ، و إنما إثارة القلق عند الصليبيين ، و الحصول على غلات المحاصيل الزراعية .

ثانياً: صور أثناء معركة حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م:

غلب على سياسة صلاح الدين الأيوبي قبل حطين الطابع الدفاعي ، إلى أن حقق وحدة الجبهة الإسلامية بين مصر و بلاد الشام ، و عندها انصرف بكل طاقته إلى الجهاد ضد الصليبيين ، استغل أوضاعهم الداخلية السيئة ، و انقسام صفوفهم(٢)، و تمزقهم إلى أحزاب ، و خاض بالقرب من حطين في ٢٤ ربيع الأخر ٥٨٣ هـ/٤تموز١١٨٧م معركة رهيبة ، انتصر فيها الجيش الإسلامي انتصاراً عظيماً ، و في المعركة أيقن (ريموند الثالث) كونت طرابلس أن المعركة ستنتهي لصالح المسلمين ، فبذل جهده لينجو بنفسه من الموقعة ، و فعلاً استطاع الفرار ، و اتخذ طريقه إلى صور(٣) ، و تبعه (باليان إبلين) و (رينالد) صاحب صيدا و صور(٤).

و بعد المعركة شرع السلطان صلاح الدين بفتح المدن و الحصون الصليبية ، فاستطاع فتح طبرية و عكا ، ثم بث سراياه لفتح مدن الجليل ، فوجه ابن أخته حسام الدين لاجين إلى سبسطية و نابلس(٥)، و وجه ابن أخيه تقي الدين عمر إلى حصن تبنين فحاصره و قطع التموين عنه و عن مدينة صور(٦).

أما صلاح الدين فقد تحرك على طول الساحل موجهاً ضرباته المباشرة نحو الموانئ الهامة ليحرم الصليبيين من قواعدهم البحرية الأساسية في بلاد الشام ، ففتح قيسارية و يافا(٧).

و كان (باليان إبلين) صاحب الرملة يقيم هذه المدة في صور ، فطلب الأذن من صلاح الدين

---

(١)وليم الصوري ، المصدر نفسه ، ٢/١٦٠.

(٢) محمد سهيل طقوش ، تاريخ الأيوبيين في مصر و بلاد الشام و إقليم الجزيرة ، بيروت ، ط١، ١٩٩٩م،ص١١٧

(٣)أرنول ، ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤-١١٩٧م)ترجمة : د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية دمشق ، ١٩٩٣م، ٨/٣٠٢. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ١٠/٢٦. العماد الأصفهاني ، المصدر نفسه . ص١١٨. أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٣/٢٩٥. ابن العديم ، المصدر نفسه ، ص١٩٨. النويري ، المصدر نفسه ، ٢٢/٤٨٥.

(٤)أرنول،المصدر نفسه٨/٣٠٧. الأصفهاني ، المصدر نفسه، ص١٠٨.

(٥)الأصفهاني ،المصدر نفسه، ص٩٥. ابن الأثير،المصدر نفسه١٠/٢٩.ابن واصل ،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق: جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٧م، ٢/٢٠٢.

(٦)الأصفهاني ، المصدر نفسه ،ص٩٩. أبو شامة، المصدر نفسه ، ٣/٣٢١.

(٧)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ١٠/٢٨-٢٩. الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص٩٧.

للذهاب إلى القدس لإحضار زوجته و أولاده ، أما ريموند الثالث فقد غادر صور إلى طرابلس ، و لم يبقَ سوى (رينالد) صاحب صيدا ليتولى أمر الدفاع عن صور بمساعدة (وليم دي شابل Chapelle) و الأخوة الطبرانيون(١).

لكن رينالد كان عاجزاً عن حماية المدينة ، فأرسل إلى صلاح الدين في حصن كوكب يريد تسليم صور ، ويطلب منه شاراته و أعلامه لتوضع فوق القلعة ، فأرسل له صلاح الدين الشارات و الأعلام ، لكنّ رينالد خاف من سكان المدينة ، فأرسل إلى صلاح الدين يخبره بعدم استطاعته رفع الشارات و الأعلام فوق أبراج القلعة أن لم يكن حاضراً بنفسه (٢)، و هذا دليل أن حامية المدينة كانت ضعيفة لا تستطيع الصمود بوجه قوات صلاح الدين ـ على الرغم من تجمع أعداد كبيرة من الصليبيين فيهاـ فقد صارت ((عش غشهم ، و وكر مكرهم، و ملجأ طريدهم ، و منجى شريدهم ، و مأمن غاشيهم ، و مكمن عاشيهم))(٣).

عسكر صلاح الدين قرب صور التي لم تفتح أبوابها، و لم يكن السبب في ذلك تهاون صلاح الدين في الوصول إليها و إنما البحر الذي ما فتئ يحمل الإمدادات العسكرية و البشرية للمدن الصليبية ، ((و ما دام البحر يمدهم ، و البر لا يصدهم ، فبلاء البلاد بهم دائم ، و مرض القلوب بأدوائهم و أسوائهم ملازم))(٤).

أ–وصول(كونراد دي مونتفرات)إلى صور في٥جمادى الأولى ٥٨٣هـ/ ١٤تموز١١٨٧م:

فبينما المدينة على وشك الاستسلام ، وفتح الأبواب إذ رست في مينائها سفينة في ٥ جمادى الأولى٥٨٣هـ/١٤ تموز ١١٨٧م، أي بعد عشرة أيام من حطين ، و كان على متنها (كونراد دي مونتفرات)، و كان كونراد يقيم في القسطنطينية غير أنه تورط بجريمة قتل وقعت فيها ، فأبحر مع جماعة من بيزة للحج إلى الأماكن المقدسة ، لكنه لم يكن يعلم ما حَّل بفلسطين ، فاتخذ طريقه إلى عكا(٥) ، و لما اقتربت السفينة من الميناء دُهش قائدها أنه لم يسمع ما اعتاد أن يسمعه من دقّ الناقوس كلّما لاح في الأفق شراع سفينة ، فأدرك أنَّه حدث مكروه، لذا لم

---

(١)الأخوة الطبرانيون: هيوج و وليم و أوستي و رالف صاحب طبرية أولاد (ولتر دي سينت أومر) و (اشيفي) صاحبة طبرية التي كانت متزوجة من ريموند الثالث ، و كان أولادها مع ريموند يوم حطين ، و قد قصدوا مدينة صور و ساعدوا في الدفاع عنها . أمبرويز، المصدر نفسه ،١٨٦/٣٢ هامش ١.

(٢)أرنول، المصدر نفسه ٣٠٧/٨.

(٣) الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٠٨.

(٤) الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص٣١٦.

(٥)أرنول ، المصدر نفسه،٣١٠/٨.مؤرخ مجهول،حملة الملك رتشارد إلى الأراضي المقدسة ،تر:د.سهيل زكار، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٨م، ٣٢/٣١.

يلقِ مراسيه ، و لم يلبث أن اقترب قارب صغير يستقله أحد موظفي الميناء المسلمين ، فـادّعى كونراد أنه تاجر ، وتساءل عما حدث ، فأجابه أن صلاح الدين فتح عكا قبل أربعة أيام ، وأنه لم يبقَ للصليبيين سوى صور و عسقلان (١).

و كان الأفضل علي بن صلاح الدين صاحب عكا قد أعطى الأمان لكونراد (٢) الذي انتظر ريحاً مواتية ليتجه إلى صور ، حيث لقي ترحيباً شديداً بصفته منقذ المدينة ، فاشترط أن تكون إيرادات صور بحوزته ، و بحوزة أولاده من بعده ، مقابل دفاعه عنها و تحصينها(٣) .

و نتيجة لموافقة أهل صور أخرجَ رينالد صاحب صيدا ، و حصن صور بمساعدة الجنوية(٤)، و حين أتى صلاح الدين بناءً على طلب (رينالد) خرج كونراد إلى الأسوار ، و وقـف مقابـل معسكر صلاح الدين ، و ألقى ببعض قوات المسلمين الموجودين في صور من أعلى الأسوار إلى الخنادق ، كما ألقى الشارات التي أرسلها صلاح الدين إلى رينالد .

فأحضر صلاح الدين المركيز (بونيفيس) ليطلب من ولده تسليم صور مقابل أطلاق سراحه من الأسر مع مال جزيل، لكن كونراد رفض قائلاً :

((لن أعطيه _أي صلاح الدين_ أصغر حجر من صور من أجل أبي ، و لكن أربطـوه بوتـد لأكون أول من يطلق سهماً عليه ، لأنه شيخ طاعن في السن و لا قيمة له)).

و فعلاً بدأ كونراد بإطلاق السهام نحو أبيه ، و عندما علم صلاح الدين بذلك تخلى عن حصار المدينة لفتح تبنين(٥).

ب-أسباب إخفاق الحصار الأول:

كان هذا الحصار الأول الذي ضربه صلاح الدين على مدينة صور ، و سبب إخفاقه فيه يعود إلى :

---

(١)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٣١/١٠. روبرت دي كلاري، سقوط القسطنطينية للصليبيين ، ترجمة : د. سـهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥م، ٢٣١/١٠. أمبرويز، المصـدر نفسه ، ١٨٣/٢٣. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٧٦٢/٢-٧٦٣.

(٢)أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٣٢٥/٣. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٣٢/١٠. بدر الدين العيني ، المصدر نفسـه، ص٢٩٠. ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، المصدر نفسه ، ص٧٣.

(٣)أرنول ، المصدر نفسه ، ٣١١/٨. ميخائيل السوري الكبير ، المصدر نفسه ، ص٣٠٢. ابن العبري ، المصـدر نفسه ، ص٤٢٣. أمبرويز ، المصدر نفسه ، ١٨٨/٣٢. الأصفهاني ،المصدر نفسه ،ص١٠٩. ابن الأثير، المصـدر نفسه ، ٣٢/١٠.

(٤)روبرت دي كلاري ، المصدر نفسه ، ٢٣٠/١٠.

(٥)أرنول ، المصدر نفسه ، ٣١١/٨-٣١٢.

أولاً: حصانة المدينة الطبيعية التي ازدادت بوصول قوة كونراد البحرية ، و عناده و حماسه للحرب الصليبية فقد تم إنقاذ صور بضربة حظ تمثُلت بالوصول المفاجئ لفارس نشيط من المرتبة العالية(١) معزِّزاً قوته بالأسطول الجنوي(٢).

ثانياً: وجود مدن كثيرة بحاجة إلى فتح ، و ذات أهمية أكبر من صور ، خصوصاً بعدما وصلت إلى صلاح الدين رسل أخيه تقي الدين عمر تطلب منه المساعدة في فتح تبنين ، فوصلها في ١١ جمادى الأولى /٢٠ تموز ، و استلمها بالأمان بعد خمسة أيام (٣).

و كان من الطبيعي و المنطقي أن يتوجه صلاح الدين و قوات الجبهة الشمالية بعد ذلك إلى مدينة صور لإعادة حصارها ، لكن من يعرف تاريخ المدينة و حصانتها يتردد في الأقدام على هذا العمل ،إلا بعد إعداد التجهيزات اللازمة ، و خاصة التجهيزات البحرية (٤) ، و قد رأينا في الفصل الثاني كيف قام الصليبيون بمحاولات عديدة لاحتلالها ، لكنهم أخفقوا بسبب نقص القوة البحرية ، و لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها إلا بوصول الأسطول البندقي ، فكيف لصلاح الدين الآن أن يُحكم حصاره على المدينة ، وهو يفتقر للأسطول البحري ؟

كما أن توقفه عندها في ظل الظروف التي يمر بها كان سيؤدي إلى نتائج أسوأ، فقد بدأت باقي المدن الصليبية بأعمال التحصين لمقاومة الفتح الإسلامي ، لذلك غادر صلاح الدين تبنين ليفتح صرفند و صيدا وبيروت (٥) .

و كان كونراد أثناء ذلك ((يحفر الخندق و يحكمه ، ويعقد المواثيق و يبرمها، و يجمع المفرق و ينظمه))(٦)و عندما فرغ صلاح الدين من((فتح بيروت و جبيل مَّر على صيدا و صرفند و جاء إلى صور ناظراً إليها ، و عابراً عليها غير مكترث بأمرها ،و لا متحدث في حصرها .... و دلته الفراسة على أن محاولتها تصعب ، و مزاولتها تتعب ، و ليس بالساحل بلدٌ أحصن منها ،

---

(١) **Setton. Op. Cit. 2 p . 46**

(٢)روبرت دي كلاري، المصدر نفسه، ٢٣/١٠. د. سهيل زكار ، مدخل إلى الحروب الصليبية، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق، ١٩٩٨م، ٣٨٥/٣.

(٣)ابن شداد ، النوادر السلطانية ، المصدر نفسه ، ص٨٠.ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٣٠/١٠. ابن واصل ، المصدر نفسه ، ٢٠٥/٢.

(٤)د. سهيل زكار ، المدخل ، المرجع نفسه ، ٣٨٥/٣. مصطفى الحياري ، المرجع نفسه ، ص٣٠٧.

(٥)ابن شداد ، النوادر ، المصدر نفسه ،ص٨٠. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٣٠/١٠. مؤرخ مجهول ، حملة رتشارد، المصدر نفسه ، ٢٣/٣١.

(٦)الأصفهاني ، المصدر نفسه ،ص١١١.

فعطف الأعنة إلى ما هو منها أهون))(١).

هذا ما قاله العماد الأصفهاني عندما مَّر صلاح الدين بصور ذاهباً إلى عسقلان، و نعتقد أن أمر عسقلان لم يكن أسهل من صور بل كان أهم منها ، فقد امتازت عسقلان بصفات جعلتها تفوق صور بالأهمية عند صلاح الدين:

أولاً : هي ذات حصانة كبيرة ، و إذا تمكن قائد صليبي من الوصول إليها قبل فتحها فإن ذلك سيؤدي إلى نتيجة أسوأ من نتيجة صور .

ثانياً: كان صلاح الدين يريد استغلال ورقة الملك المأسور ، فسقوط عسقلان كان يعني سقوط جنوب فلسطين كله(٢).

ثالثاً: قرب عسقلان من القدس جعلها مفتاحاً لهذه المدينة التي كانت شغل صلاح الدين الشاغل ، فكل ما خاضه من معارك من أجل القدس، ((و ألهي عن طلبها_يعني صور_ ما هو أشرف ، و العزم بفتحه أشغف، و هو البيت المقدس))(٣).

رابعاً: إضافة إلى ذلك كانت عسقلان قاعدة هدد الصليبيون من خلالها مصر ، و قطعوا المواصلات بينها و بين بلاد الشام ، فإذا فُتحت ((أمنت الطريق ، و اتصلت القوافل))(٤).

لهذا أصبح فتح عسقلان ضرورة حتّمت على صلاح الدين تغيير خطته بترك صور و الاتجاه إلى عسقلان ، ثم إلى القدس ، و التفرغ بعدها لإخضاع صور بالقوة (٥).

ج-الحصار الثاني في ٢٢رمضان٥٨٣هـ/٢٥تشرين١١٨٧م و أسباب إخفاقه:

استغل كونراد انشغال صلاح الدين بفتح القدس و المدن المجاورة لها ، و قام بإحكام تحصينات صور و أبراجها ، و حفر الخندق حول المدينة في الجهة الشرقية حتى تحولت صور إلى جزيرة (٦)، و أصبح المكان الذي يمكن مهاجمتها منه قصيراً جداً ، بحيث تكفي أعداد قليلة من

---

(١) الأصفهاني، المصدر نفسه ، ص١١٢. ابن شداد ، النوادر، المصدر نفسه ،ص٨٠. أبو شامة، المصدر نفسه ، ٣٢٦/٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان ، المصدر نفسه ،١٧٢/٢١.مؤرخ مجهول ، حملة رتشارد، المصدر نفسه، ٢٣/٣١.

(٢)مؤرخ مجهول ، حملة رتشارد، المصدر نفسه ،٢٤/٣١.أمبرويز ، المصدر نفسه، ١٨٤/٣٢. مصطفى الحياري، المرجع نفسه ، ص٣١٠.

(٣)الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١١١.

(٤)ابن واصل ، المصدر نفسه ، ٢٠٩/٢. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٣٢/١٠.

(٥)محمد سهيل طقوش ، المرجع نفسه ، ص١٧٠. زكي النقاش ، المرجع نفسه، ص٥٦.

(٦)الأصفهاني، المصدر نفسه ، ص١٥٢. أبو شامة ، المصدر نفسه، ٤١١/٣. ابن واصل،المصدر نفسه،٢٤٢/٢.

Stanley lane-Poole,Saladin and the fall of the kingom of Jorusalem, London, 1985, p. 239

الصليبيين للدفاع عنها(١)، وهذا ما جعل كونراد يدخر طاقاته القتالية لأية مفاجأة هجومية قد يقوم بها صلاح الدين .

كان كونراد يعلم أن صور تستطيع الصمود بوجه القوات الإسلامية بسبب مناعة موقعها ، لكنه كان يدرك إن لم تأتيها تعزيزات من الغرب الأوربي فإنها لن تصمد طويلاً ، لذلك استغل فرصة الهدوء التي حلت بعد أول حصار ضربه المسلمون على صور،و أرسل في خريف ٥٨٣هـ/١١٨٧م أشد الأساقفة تديناً(٢)(جوسيه) ليخبر البابا و ملوك الغرب بالحاجة الماسة لمساعدتهم(٣) و حتى يثير حماس رجال الدين المسيحي ، و سكان أوربة ((صور القدس في ورقة عظيمة ، و صور القبر و عليه فارس مسلم ، و قد وطئ قبر المسيح ، و بال الفرس على القبر ، و أبدى هذه الصورة وراء البحار في الأسواق و المجامع ، و القسيسون يحملونها و رؤوسهم مكشوفة ، و عليهم المسوح ، و ينادون بالويل و الثبور))(٤).

كما خص كونراد أسقف (كانتربري) برسالة تحدث فيها عن تدمير المسلمين لكنيسة القيامة، و الاستخفاف بقبر المسيح عليه السلام ، و أخبره بتطور العلاقة بين السلطان الأيوبي صلاح الدين و القسطنطينية التي تقاعست عن مساعدة المسيحيين في الأرض المقدسة ، و فضلت الاتفاق مع المسلمين مقابل ممارستها الطقوس المسيحية وفقاً للعادات الإغريقية في كنائس أرض الميعاد ، و طلب كونراد من أسقف كانتربري تذكير ملوك أوربة ، و حث ذوي الإيمان الصحيح على القدوم إلى الأرض المقدسة لطرد المسلمين(٥).

بالإضافة إلى رسائل كونراد هذه أرسل فرسان الداوية رسالة إلى الغرب الأوربي شرحوا فيها وضع القدس ، و الأحداث التي تلت معركة حطين ،و يتضح من فحوى الرسالة أنها كتبت أثناء حصار صلاح الدين لصور ، و لا ندري تاريخاً محدداً لكتابتها لأن (Ralph of Diceto) ذكرها دون تذييلها بتاريخ(٦).

---

(١)ابن الأثير ، المصدر نفسه، ٣٩/١٠.

(٢) **Setton ,op, cit.2p.47.**

(٣)أرنول ، المصدر نفسه ، ٣٣٨/٨. مؤرخ مجهول ، حملة رتشارد، المصدر نفسه ، ٣٢/٣١. ابن واصل ، المصدر نفسه ، ٢٨٨/٢. بدر الدين العيني ، المصدر نفسه ، ص٣٢٣.

(٤)ابن شداد ، النوادر ، المصدر نفسه ، ص١٢٣. ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٦٩/١٠. د. سهيل زكار . المدخل، المرجع نفسه ، ٣٨٦/٣.

(٥)روجر أوف ويندوفر ، المصدر نفسه ، ٣٣٠/٣٩.

(٦) **Ralph of Diceto**، صورة التاريخ، ترجمة : د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٨م، ٢٠٦/٣٠. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٢٠/٣.

غادر جوسيه رئيس أساقفة صور ٥٨١- ٥٩٨ هـ/ ١١٨٦ – ١٢٠٢م ميناء المدينة على مركب طلي كله باللون الأسود ، و كان الهدف من طليه بهذا اللون أنه عندما يصل المركب إلى الشواطئ الأوربية يعرف الناس أنه يحمل أخباراً سيئة بل مميتة (١).

و عندما وصلت السفينة إلى صقلية ، و علم ملكها وليم الثاني بما حل في الشرق جهز أسطولاً من خمسين أو ستين شينياً و مائتي فارسٍ (٢)، و قد وصل الأسطول إلى صور ثم تابع سيره إلى طرابلس ، فحالت هذه المبادرة من وليم الثاني دون سقوط صور و طرابلس بيد صلاح الدين(٣).

و عندما وصلت هذه القوة إلى شواطئ صور أرسل والي صيدا و بيروت الأمير سيف الدين المشطوب(٤)إلى صلاح الدين في القدس يستعجله لفتح صور، فأرسل صلاح الدين ابنه الأفضل ، و سار هو من القدس يوم الجمعة ٢٥ شعبان ٥٨٢ هـ/ ١ تشرين الأول ١١٨٧م فذهب أولاً إلى عكا أطمأن على أحوالها ، و توقف خارج أسوارها حتى وصلته القوات ، والأثقال ، و الآلات ، ثم سار إلى صور ، فوصلها يوم الجمعة ٩ رمضان / ١٢ تشرين الثاني مع أخيه العادل ، وابن أخيه تقي الدين عمر ، و خيم بالقرب من نهر الليطاني مدة ثلاثة عشر يوماً حتى اكتمل العدد ، و استحضرت آلات الحصار ، و المجانيق الصغار و الكبار ثم نقل المخيم الميداني إلى تلة قريبة من الأسوار في يوم الخميس ٢٢ رمضان / ٢٥ تشرين الثاني (٥) ، بحيث يرى القتال الذي قسمه على جميع المعسكر لديه لكل منهم وقت معلوم ، فيتصل بذلك القتال على الصليبيين داخل المدينة (٦) ، و قد شدد صلاح الدين حصاره مستخدماً كافة أنواع الأسلحة

---

(١)أرنول ، المصدر نفسه ، ٣٤٠/٨.

(٢) **Setton. Op. Cit 2. p. 38**

(٣)أرنول ، المصدر نفسه ، ٣٤٣/٨. الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص٣٠. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه، ٢٩/٣.
Setton. Op. Cit. 2 . p. 25

(٤)الأمير سيف الدين المشطوب: هو علي بن أحمد الهكاري ملك الهكارية ، و المشطوب لقب لُقب به إثر طعنة في وجهه ، دخل مع أسد الدين شيركوه إلى مصر في المرات الثلاث ، ثم عاد بعد سلطنة صلاح الدين ، توفي سنة ١١٩٢/٥٨٨م. الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٥١.

(٥)ابن شداد ، النوادر ، المصدر نفسه ، ص٨٣. الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٥٤. أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٤١٢/٣. سبط ابن الجوزي ، ٤٠٠/٨. ابن العديم ، المصدر نفسه ، ص٢٠١. ابن أبي الدم الحموي ، التاريخ المظفري ، تحقيق :د.سهيل زكار ،من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ١٩٩٥م، ٢٦٥/٢١-٢٦٦. النويري ، المصدر نفسه ، ٤٩١/٢٢.

(٦)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٣٩/١٠.

من المنجنيقات ، والأبراج ، و الدبابات .

و وصل في تلك الأثناء ابنه غياث الدين غازي ، فنصب خيمته خلف خيمة أبيه ، و جد في استخدام القوة لإنهاك من في صور من الصليبيين (١).

و على الرغم من تناوب أمراء صلاح الدين القتال على صور مثل ولده الأفضل ، و ولده الظاهر غازي ، و أخيه العادل (٢) إلا أن المدينة لم تستسلم ، فجمع صلاح الدين أمراء الجيش الذين استقر رأيهم على وجوب استكمال المعدات ، و تقريبها من الأسوار ، بغية إحكام الحصار (٣)،وخصوصاً أن الصليبيين كانوا يستغلون ضيق المكان الذي يحارب فيه المسلمون ، و يشنون الغارات من السفن على جانبي الجيش المسلم المرابط في الجهة الشرقية ، هذا بالإضافة إلى المقاتلين الموجودين فوق الأسوار ، فجرح الكثير من المسلمين و قتل بعضهم ، و لم يتمكنوا من الدنو من السور (٤)،فكان لابد من استخدام القوة البحرية لإكمال الحصار ، و للاستفادة من رقعة الأرض الضيقة التي لا تسمح باستخدام المنجنيق بحرية ، فاستدعى صلاح الدين عشر سفن من عكا رابطت بالقرب من الميناء ، و تراقب سفن الصليبيين ، و تمنعها من الخروج لقتال المسلمين (٥)،و بقي رجالها ليلة ٢٧ شوال / ٢٩ كانون الأول (٦) يحرسون ميناء صور مع مقدمهم عبد السلام المغربي (٧)، لكنهم عند السحر تركوا أعمال الحراسة ، و خلدوا إلى النوم ، فاستغل الجنوية الفرصة للانقضاض عليهم ، فأسروا و قتلوا ، و فر الباقون تاركين سفنهم ، عدا سفينة واحدة نجت إلى بيروت .

يذكر عماد الأصفهاني سبب هذه الخسارة فيقول:

((أن نواب مصر حشدوا في هذه المراكب مجموعةً مجهولةً غير عارفة، و لا معروفة،و مستضعفة

---

(١)الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٥٥. أبو شامة، المصدر نفسه ، ٤١٢/٣. ابن شداد ، النوادر ، المصدر نفسه ، ص٨٣.

(٢)ابن الأثير ، المصدر نفسه ،١٠/٤٠. النويري ، المصدر نفسه ، ٤٩١/٢٢.

Stanley lane Poole , op . cit. P. 239.

(٣)الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٥٧.

(٤)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ١٠/٤٠. زكي النقاش ، المرجع نفسه ، ص٥٨.

(٥)يذكر ابن العبري و روبرت دي كلاري أن صلاح الدين استعان بألف سفينة ، و هذا رقم مبالغ فيه . الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٦١. ابن شداد ، النوادر ، المصدر نفسه ، ص٨٤. أبو شامة،المصدر نفسه،٤١٢/٣.

(٦)ابن شداد ، النوادر ، المصدر نفسه ، ص٨٥. ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ١٨١/٢١.ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٧٦٤/٢.

(٧)أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٤١٢/٣.

غير ألفة و لا مألوفة ، فلما شاهدوا الورع ارتاعوا ، و لما ألزموا الطاعة ما استطاعوا))(١).

و في اليوم التالي طمع الصليبيون بالقوات المرابطة قرب الأسوار ، فخرجوا من المدينة متأملين القضاء عليها ، و حين نشبت المعركة بين الطرفين كانت الهزيمة من نصيب الصليبيين (٢)، مما يؤكد أن قوات صلاح الدين كانت لا تزال تملك القوة ، و تستطيع الصمود حتى يتم فتح المدينة .

لكن أمراء جيش صلاح الدين ضجروا من طول الحصار ، و قد حل فصل الشتاء بإمطاره الغزيرة (٣)و زاد على ذلك خوفهم من أن يقترض صلاح الدين منهم الأموال للإنفاق على الجيش (٤)، فطالبوه بالانسحاب متعللين بكثرة الجراحات ، و قلة الأقوات ، و العلوفات ، فعقد صلاح الدين مجلسه الحربي و قد صمم مع بعض قُواده حسام الدين طمان (٥) و عز الدين جورديك النوري (٦) على البقاء و متابعة الحصار (٧).

لكن باقي الأمراء أصبحوا مقيمين بغير قتال ، فلم يردوا على الرمي بالمنجنيق بمثله ، معتذرين بجراح رجالهم مما اضطر صلاح الدين إلى الرحيل في يوم الأحد ، ذي العقدة ٥٨٣هـ/ ١ كانون الثاني ١١٨٨م إلى عكا(٨).

كان هذا الإخفاق الأول الذي تعرضت له قوات صلاح الدين بعد حطين ، و قد عده بعضهم نقطة انعطاف في انتصارات صلاح الدين ، و خطأ عضال قاتل (٩).

---

(١)الأصفهاني ،المصدر نفسه،ص١٦٢. ابن شداد ، المصدر نفسه، ص٨٤. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٤٠٠/٨. ابن العديم ، المصدر نفسه ، ص٢٠١. النويري ، المصدر نفسه ، ٤٩١/٢٢. العمري ، مسالك الأبصار ، المصدر نفسه ، ص٧٥.

(٢)الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٦٥. روبرت دي كلاري ، المصدر نفسه ،١٣٤/١٠.

(٣)الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٧١. ابن شداد ، النوادر ، المصدر نفسه ، ص٨٤. ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ١٨١/٢١. Stanley lane Poole, op. Cit. P.241

(٤)ابن الأثير ، المصدر نفسه ، ٤٠/١٠.

(٥)حسام الدين طمان : هو الأمير حسام الدين طمان بن غازي صاحب الرقة ، كانت وفاته في تل العياضية قرب عكا في شعبان سنة ٥٨٥هـ/١١٩٠م. الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٧٢ هامش١. ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة ، تقديم : محمد شمس الدين بيروت ،ط١، ١٩٩٢م، ١٠٩/٦.

(٦)عز الدين جورديك : هو جورديك بن عبد الله النوري من أكابر رجال الملك العادل نور الدين ، توفي سنة ١١٩٨/٥٩٤م. الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٧٢هامش ٢. ابن تغري بردى ، المصدر نفسه ، ١٤٣/٦.

(٧)الأصفهاني ، المصدر نفسه ، ص١٧٢. أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٤١٣/٣.

(٨)ابن العديم،المصدر نفسه،ص٢٠٢.ابن خلكان،المصدر نفسه، ٢١/.ابن شداد،النوادر،المصدر نفسه، ص٨٤.

(٩) Stanley lane Pool,op.cit.p241.

و حمله ابن الأثير المسؤولية كاملة ، فلم يكن ــبنظره ــ لأحد ذنب في أمرها غير صلاح الدين : ((فهو من جهز جنود الفرنج إليها ، و أمدها بالرجال و الأموال من أهل عكا و عسقلان و القدس ، و غير ذلك كان يعطيهم الأمان ،و يرسلهم إلى صور))(١).

و هذا الكلام مبالغ فيه لمجموعة من الأسباب :

أولاً : صلاح الدين لم يختر صور ليتجمع فيها الصليبيين ، بل اختارها ريموند ، و باليان دي إبلين و رينالد صاحب صيدا (٢) ، ولا ندري هل كان الاختيار اعتباطياً أم أنه هدف رسمه أحد هؤلاء ؟ و ربما لأنها كانت الأقرب إلى حطين! . و كان من الطبيعي أن يلحق بهم باقي الصليبيين الخارجين من المدن المحررة ، ليس فقط لحصولهم على سلامة أنفسهم بل لحاجتهم إلى رجل صاحب قيادة يعيد تنظيمهم ، و مع ذلك لم يستطيع أحد من هذه الشخصيات إعادة تنظيم الصليبيين ، بل كان رينالد على استعداد لتسليم المدينة عندما أنقذها قوة بحرية بقيادة كونراد دي مونتفرات(٣).

ثانياً : و إذا كان صلاح الدين أمن وصول الفرنج إليها بعد أن تجمعت فيها الفلول الأولى المغادرة لأرض حطين فلغاية في نفسه كان يريد تحقيقها و هي إبعادهم عن القدس أكبر مسافة ممكنة ، ليستعدوا للرحيل إلى بلادهم فيما بعد .

ثالثاً: لام كثير من المؤرخين صلاح الدين في فتح المدن و منهم ابن الأثير خصوصاً سماحه للكثير من سكان هذه المدن بالخروج سالمين إلى صور لكنه لم يسأل أحد منهم نفسه : أين يمكن أن يحشر الفرنج لو أسروا ، و لا يوجد أسطول ينقلهم إلى بلادهم(٤).

فكان جوابهم : أن الطريق الواضح الذي كان يجب على صلاح الدين أتباعه هو حملهم سجناء حرب إلى دمشق ، و بذلك تنتهي الحملة الصليبية (٥)، هذا ما قاله أحد المؤرخين الأوربيين .

أما سبط ابن الجوزي فقد عرض حلاً أخر فقال:

((كان الواجب عرضهم على الإسلام فإن أبو فالسيف))(٦).

---

(١)ابن الأثير، المصدر نفسه ، ٤١/١٠. سبط ابن الجوزي ، المصدر نفسه ، ٣٩٨/٨.

(٢)ابن الأثير ، المصدر نفسه ،ص١٠٨. أرنول ، المصدر نفسه ،٣٠٧/٨.

(٣)أرنول، المصدر نفسه ،٣١١/٨. مؤلف مجهول، حملة رتشارد ، المصدر نفسه ،٢٣/٣١. أمبرويز، المصدر نفسه ، ١٨٨/٣٢. الأصفهاني ، المصدر نفسه ،ص١٠٩. ابن الأثير ، المصدر نفسه، ٣٢/١٠.

(٤)د.شاكر مصطفى، صلاح الدين الفارس المجاهد و الملك الزاهد المفترى عليه ،دمشق، ط١، ١٩٩٩م،ص٢٧٨. د.سهيل زكار ، المدخل ، المرجع نفسه ، ص٣٨٥.

(٥) Stanley laned Poole.op.cit.p.243.

(٦)سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه ، ٣٩٨/٨.

لإضعاف من في صور من الصليبيين (١)خصوصاً بعد قيامهم بإعداد فرق عسكرية لإنقاذ المدن المحاصرة .

فأثناء حصار كوكب خرجت فرقة عسكرية مؤلفة من مئتي رجل من أشجع رجال الصليبيين لإنقاذ كوكب ، فكشف أمرها من قبل صلاح الدين ، و تم القضاء عليها (٢) .

و فيما كان صلاح الدين يحاصر شقيف أرنون عزم غي (٣) على أن يدير شؤون ما بقي من مملكته السالفة ، و قيادة الجموع في مدينة صور التي أغلقت أبوابها بوجهه بأمر من كونراد ، الذي رأى أن الملك فقدَ مملكته في حطين أثناء أسره حيث كادت تضيع المملكة أجمعها لولا تدخله هو ، و عدَّ نفسه مسؤولاً عن صور نيابةً عن ملوك أوربة القادمين لإنقاذ الأرض المقدسة ، و ينبغي على إمبراطور ألمانية فردريك بربروسا ، و ملكي فرنسة فيليب أغسطس و إنكلترة رتشارد أن يقرروا أيهما يجب أن تعهد إليه أمر الحكومة (٤) ، و رفض كونراد السماح لغي بدخول المدينة متعللاً بالغلاء الشديد داخلها ،و خاطب غي قائلاً :

((أنت لم تعد ملكها و لا صاحبها ، و لن تستطيع الدخول إليها ، لأنك لطخت كل شيء بالعار ، و أضعت الأرض كلها ، زد على هذا أن الغلاء شديد جداً ، ولو دخلت أنت و رجالك مات الناس جميعاً جوعاً ،و إنه لأقل خسارة أن تموت أنت و رجالك ، فهذا لا يهم كثيراً ، و لكن المهم ألا نهلك نحن الذين في المدينة و تهلك المدينة معناً))(٥) .

و مع ذلك لم ييأس غي بل عاد في أوائل شهر ربيع الأخر ٥٨٥ هـ/ منتصف أيار ١١٨٩م مع زوجته سبيلا لمطالبة كونراد بحكومة صور ، و لكن كونراد رفض الاعتراف بالحقوق الملكية لغي في صور ، فلم يبق أمام غي سوى الاعتراف بالأمر الواقع ، و العمل على تسوية خلافاته مع كونراد لعله يستطيع إعادة ما ضاع منه في حطين ، فشكل تحالفاً معه ضد حكومة

---

(١)ابن شداد، المصدر نفسه ، ص٩٧.أبو شامة، المصدر نفسه،٥٠/٤.مصطفى الحياري، المرجع نفسه،ص٣٧٧

(٢)أبو شامة ، المصدر نفسه ،٥١/٤.ابن الأثير، المصدر نفسه ،٦١/١٠.شاكر مصطفى،المرجع نفسه،ص٢٧٦

(٣)أسر غي في معركة حطين ثم أطلق سراحه مقابل تسليم عسقلان شرط أن لا يشهر سيفاً بوجه المسلمين ،لكنه نكث بالعهد و جمع جموعاً و أتى إلى صور يطلب الدخول إليها . ابن شداد، المصدر نفسه، ص٩٨.مؤرخ مجهول، حملة رتشارد، المصدر نفسه ،٢٦/٣١. روجر أوف ويندوفر، المصدر نفسه،٣٢٧/٣٩. أمبرويز، المصدر نفسه، ١٨٥/٣٢.

(٤)ابن شداد، المصدر نفسه ،ص٩٨. أمبرويز، المصدر نفسه،١٩٠/٣٢-١٩١. بدر الدين العيني، المصدر نفسه ،٣١٩. الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٢٨٩. أرنول، المصدر نفسه،٣٤٨/٨. Setton.op.cit.p51

(٥)روبرت دي كلاري، المصدر نفسه،٢٣٣/١٠.

صلاح الدين (١) .

و نصَّ هذا التحالف على إبقاء كونراد في صور ، وتقديمه المساعدات العسكرية من أسلحة و ميرة إلى غي لمهاجمة أي مدينة ساحلية ، و إعادة السيطرة عليها (٢).

و فعلاً بدأت المحاولات الأولى لتنفيذ ما اتفقا عليه ، فعبر غي يوم الاثنين ١٧ جمادى الأولى ٥٨٥هـ/٣تموز١١٨٩م الجسر الواصل بين أرض صور ،وأرض صيدا ،وتصدت له قوات صلاح الدين التي تركها بالقرب من أرض صور تراقب تحركات الصليبيين ،فارتد عائداً إلى صور ،وكان هدفه من هذه المحاولة احتلال صيدا (٣).

تكررت هذه المحاولة مرة أخرى في ١٩ جمادى الأولى /٥تموز لكن قوات المسلمين اشتبكت معهم بالقرب من أرض صور ،فقتل منهم الصليبيون قرابة ٨٠ رجلاً ،فقرر صلاح الدين محاصرة صور مرةً أخرى لكن جاءه الخبر بعودة الصليبيين إليها ، و تحصينهم فيها (٤) .

وهذا دليل أنّ القوة الصليبية لم تكن واثقةً من قدرتها على مواجهة المسلمين على الرغم من انتصارها في هذه المعركة .

عاد صلاح الدين بعد ذلك إلى متابعة حصار شقيف أرنون ،ولم يرغب بترك حصار الحصن و التقدم بقواته كلها نحو صور ،لأنّ ذلك كان سيجعل الحصن وراء ظهره ، مما يؤدي إلى قطع الميرة عنه ، خصوصاً أنّ صاحب الشقيف (رينالد) كان يقوم بتحصين القلعة خلال أيام الهدنة انتظاراً لوصول إمدادات من الصليبيين في صور (٥) .

لذلك دعم صلاح الدين بقاءه على حصار الحصن بوضع الكمائن للفرنج الخارجين من صور ،ومنع فرقهم من تقديم المساعدة لأيّ مدينة محاصرة في الداخل ،لكن رجاله لم يلتزموا بتعليماته ، فخرجوا من مكامنهم للاشتباك مع الصليبيين و كانت النتيجة خسارة المسلمين العديد من

---

(١)ابن العديم، المصدر نفسه،٢٠٨/١٦.ابن شداد،المصدر نفسه،ص٩٨.د.سهيل زكار، المدخل. المرجع نفسه،ص٣٨٧.زكي النقاش،المرجع نفسه،ص٦١. Setton.op. cit. P. 51

(٢)الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٢٨٩.ابن الأثير، المصدر نفسه، ٦٦/١٠.بدر الدين العيني،المصدر نفسه،ص٣١٩

(٣)ابن شداد،المصدر نفسه،ص٩٨.ابن الأثير، المصدر نفسه، ٦٧/١٠. الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٢٨٩. النويري، المصدر نفسه،٤٩٩/٢٢. بدر الدين العيني، المصدر نفسه، ٣٢٠/٢٤.

(٤)الأصفهاني، المصدر نفسه،ص٢٩٢. ابن شداد، المصدر نفسه،ص٩٩-١٠٠. ابن الأثير، المصدر نفسه ،٦٧/١٠. النويري، المصدر نفسه، ٤٩٩/٢٢. بدر الدين العيني، المصدر نفسه، ٣٢١/٢٤.

(٥)ابن الأثير ، المصدر نفسه ،٦٦/١٠.ابن العديم ، المصدر نفسه ،ص٢٠٧.النويري، المصدر نفسه،٤٩٧/٢٢. زكي النقاش، المرجع نفسه ، ص٦١.

رجالهم (١) ، وإذ استطاع جيش صلاح الدين تحجيم فعّالية الجيش الصليبي المرابط قُرب صور في أول الأمر إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، فالملك (غي) كان ينتظر فرصةً مواتية للانطلاق نحو أي مدينة ساحلية لاحتلالها ، و تمثلت هذه الفرصة بوصول أسطول للبيازنة مؤلف من خمس و عشرين سفينة بقيادة (يبالدور) رئيس أساقفة بيزة الذي تشاجر مع (كونراد) مما دفعه إلى الانحياز (لغي) و مساعدته للتوجه نحو عكا لمحاصرتها بحراً ، بينما يحاصرها (غي) براً ، في ١٢ رجب ٥٨٥ هـ/ ٢٧ أب ١١٨٩م (٢).

بالإضافة إلى قوة (جفري دي لوزنغنان) شقيق الملك الذي لم ينتظر لا ملك فرنسة و لا ملك إنكلترة بل أسرع باجتياز البحر و معه العديد من الفرسان والأموال ،لتقديم المساعدة لأخيه بعد سماعه بأخبار الهزيمة في حطين ، وقد وصل إلى صور ثم اتجه إلى طرابلس ، و يبدو أنه قام بأعمال تجميع للقوات و الفلول الصليبية في طرابلس ، ثم انضم لجيش أخيه المرابط قُرب صور (٣) ، والملاحظ أن وصول (جفري)مع قواته يمثل أول الفرص لتكوين قوة ذهبت إلى عكا .

ب–وصول كلٍّ من ملكي فرنسة و إنكلترة:

حاصر (غي) مدينة عكا و انتظر أمام أسوارها وصول الإمدادات الأوربية وقد أتت سفارة (جوسيه) رئيس أساقفة صور إلى أوربة بنتائج مثمرة ، فخرج ثلاثة من ملوك أوربة بحملة صليبية لإنقاذ الشرق ، فغادر إمبراطور ألمانية فردريك بربروسا بلاده في ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م سالكاً طريق البر عبر بيزنطة ، للوصول إلى بلاد الشام بعد أن أرسل رسالة تهديد إلى صلاح الدين يعطيه فيها مهلة اثني عشر شهراً كي يعيد بيت المقدس للمسيحيين ، و إلا فهي الحرب :

((.... و لكي لا نظهر بإثارة حرب غير شرعية ، فإننا نعطيك مهلة من الأول من تشرين الثاني ، مقدارها اثني عشر شهراً ، و إنك بعدها سوف تجرب حظ الحرب .))

و قد رد عليه السلطان صلاح الدين الأيوبي برسالة مماثلة ذكر فيها قوة المسلمين و تفوق أعدادهم على الصليبيين، و إصرارهم على تحرير بلاد الشام ـبمشيئة اللهـ ثم عبور البحر لفتح

---

(١)ابن شداد ، المصدر نفسه . ص١٠١. ابن الأثير ، المصدر نفسه و ٦٨/١٠. أبو شامة ، المصدر نفسه ، ٧٦/٤–٧٧. بدر الدين العيني ، المصدر نفسه ، ٣٢٣/٢٤.

(٢)أمبرويز، المصدر نفسه،١٩٢/٣٢.مؤرخ مجهول، حملة رتشارد، المصدر نفسه،٢٦/٣١. الأصفهاني، المصدر نفسه ، ص٢٩٨. ابن العديم ، المصدر نفسه ،ص٢٠٩. النويري، المصدر نفسه، ٥٠٠/٢٢. العمري، مسالك ، المصدر نفسه ، ٧٩/٢٣. **Ralph of diceto.** المصدر نفسه ، ٢٢٥/٣٠. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه، ٥١/٣. **Setton.op. cit.2 p.51**

(٣)أرنول ، المصدر نفسه، ٣٤٧/٨. أمبرويز، المصدر نفسه ، ١٩١/٣٢.

الأراضي الأوربية ، و طلب من فردريك بربروسا أن يأمر أصحاب صور ، وطرابلس ، و أنطاكية بالاستسلام دون مقاومة إذا كان يطلب سلاماً حقيقياً مقابل أن يعيد صلاح الدين صليب الصلبوت ، وجميع الأسرى المسيحيين ، و السماح بوجود كاهن واحد في الضريح المقدس و السماح للحجاج بالوصول إلى بيت المقدس،وذيلت الرسالة بتاريخ٨٤ه/١١٨٨م(١).

كان رد صلاح الدين واضحاً و صريحاً إن لم يخرج الصليبيون من بلاد الشام فالحرب هي الحل الوحيد لإخراجهم ، فكان هذا سبباً في خروج فردريك بربروسا بحملته على الرغم من كبر سنه ، إضافة إلى ما بلغه من أنباء استبسال (كونراد دي مونتفرات) في الدفاع عن صور ، فقد كان بيت مونتفرات من أنصاره ، و مؤيديه لكن الإمبراطور الألماني لقي حتفه في نهر في كيليكية ، و تفرّق عسكره ، و لم تأتِ حملته بنتائجها المرجوة (٢).

أما ملك فرنسة فيليب أغسطس ، و ملك إنكلترة رتشارد قلب الأسد فقد سلكا طريق البحر عبر ميناء فيربي على أن وصولهم تأخر بعض الشيء بسبب توقفهم في مسنيا كثيراً ثم انفصال الحملة و اتجاه ملك فرنسة نحو فلسطين ، ومتابعة رتشارد طريقه إلى كريت و منها إلى رودوس ثم إلى قبرص حيث خاض عدة معارك أثمرت عن استيلائه على الجزيرة و وضعها تحت التبعية اللاتينية (٣)بعد أن ظلت تحت حكم اسحاق دوكاس كومينوس .

أما كونراد فقد بقي في صور ، و رفض تقديم المساعدة لغي في حصار عكا ، و لكن حين توالت الإمدادات من أوربة إلى صور تريد عكا استطاع جماعة من الألمان بقيادة لويس سيد ثورنجيا إقناع كونراد بالالتحاق بالجيش الفرنجي في عكا، هذا بالإضافة إلى الرسائل التي بعث بها غي إلى كونراد يطلب منه المساعدة .

لبى كونراد طلب غي و خرج في ٩ شعبان ٥٨٥ ه/٢٤ أيلول ١١٨٩م في خمسين مركباً مسلحاً و مشحوناً بألف من الفرسان و عشرين ألفاً من الجنود الرجالة مع معداتهم كاملة ، و أقام مع غي على حصار عكا(٤) ، و لكن الوضع في المعسكر الصليبي كان سيئاً بسبب نقص

---

(١)روجر أوف ويندوفر، المصدر نفسه ،٣٢٢/٣٩-٣٢٦.

(٢)أرنول، المصدر نفسه ،٣٥٤/٨. مؤرخ مجهول، حملة رتشارد، المصدر نفسه ،٣٢/٣١. سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ٤٠٣/٨. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه، ٣١/٣. أمبرويز، المصدر نفسه ، ٢٢٠/٣٢.

(٣)ميخائيل السوري الكبير، المصدر نفسه،٣٠٥/٥. أمبرويز، المصدر نفسه،١١٩/٣٢. ابن شداد ، المصدر نفسه ،ص١٥٨. أرنول، المصدر نفسه ،٣٩١/٨. ابن الأثير ، المصدر نفسه، ٩٤/١٠

(٤)**Ralph of Diceto** المصدر نفسه ،٢٢٥/٣٠. أمبرويز ، المصدر نفسه ،٣٢٣/٣٢. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ،٦٥/٣. **Setton. Op .cit 2. p52**

المياه و تفشي المرض بين العسكر مما دفع كونراد و غي إلى عقد اتفاق جديد تضمن ما يلي :

١-أن تكون لكونراد صور و بيروت و صيدا بعد استردادها .

٢- أن يعترف كونراد بغي ملكاً .

كان الهدف من هذا إصلاح ما تعرض له رجالهم من متاعب لذلك غادركونراد المعسكر الصليبي في عكا في٥٨٦هـ/١١٩٠م ثم عاد من صور في نهاية الشهر بسفن تحمل مؤناً و أسلحة .

ج-زواج كونراد من إزبيلا و انقسام الصليبيين إلى معسكرين:

على أن هذا الوئام لم يدوم طويلاً ، فقد عكره موت سبيلا زوجة غي و ابنتيها في شتاء ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م(١)، و أضحت إزبيلا وريثة المملكة ، و صار تاج غي محفوفاً بالخطر ، وظهرت الانقسامات جلية واضحة بين صفوف الصليبيين فوقف إلى جانب غي أنصاره الذين خرجوا من الأسر و اعتبروا كونراد دخيلاً و منافساً قوياً للملك غي .

أما كونراد فقد كان مدعوماً من قبل باليان إبلين و أصدقائه البارونات القدامى الذين تجردوا من اقطاعاتهم بعد حطين ، و لم يتعرضوا للأسر ، و نظروا إلى كونراد على أنه الوحيد الذي أنقذ صور ، فرشحوه ليكون ملكاً عن طريق زواجه من إزبيلا ، و يكونون بهذا قد تخلصوا من حكم غي الضعيف الذي رفض التخلي عن حقوقه كملك (٢).

لكن إزبيلا كانت متزوجة من (همفري أوف تيرون) ، لذلك تقدمت والدتها ماريا بدعوى ضد هذا الزواج ،و كانت مسوغات الدعوى التي رفعتها الملكة الأم و وضعتها أمام رئيس أساقفة بيزة وممثل روما أ ن ابنتها لم يكن عمرها سوى ثلاث عشرة سنة عندما تزوجت ، و هي على هذا لم تكن في سن الزواج و قتذاك ، وبناء عليه قام رجل الدين البيزاوي بفسخ الزواج ،والفصل بين الزوجين ،ثم تزوجت إزابيلا من المركيز (كونراد دي مونتفرات)(٣)، الذي وجدت فيه والدة إزبيلا المحارب القوي المرشح لاستلام عرش مملكة القدس ، عوضاً عن زوج ابنتها السابق همفري المحارب الضعيف المغمور .

و بعد أن جرت مراسيم الزواج في ٥٨٦هـ/ ٥٤ تشرين الثاني ١١٩٠ م خرج كونراد و إزابيلا إلى صور ، و ترك (غي) مرابطاً أمام أسوار عكا وحده (٤).

---

(١)أرنول ، المصدر نفسه ،٣٧١/٨. أمبرويز، المصدر نفسه ، ٢٥٦/٣٢. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ،٦٠/٣.

(٢)أرنول ، المصدر نفسه،٣٧٢/٨. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه ، ٦٦/٣.

(٣)أرنول، المصدر نفسه ،٣٧٢/٨-٣٧٤. أمبرويز، المصدر نفسه ، ٢٦٨/٣٢.

(٤)أمبرويز، المصدر نفسه،٢٧١/٣٢.أبو شامة، المصدر نفسه، ٢٥٠/٤. الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٤٠٤. روجر أوف ويندوفر، المصدر نفسه، ٣٧٣/٣٩.

و بسبب عودة كونراد إلى صور قطعت الإمدادات عن المعسكر الصليبي و تفشى المرض أكثر ، فوجه العسكر اللوم لكونراد على ما حل بهم من بؤس ، فقد أضاع الوقت سُدى في صور و رفض القدوم لنجدتهم ، ويصف أمبرويز في كتابه صليبية رتشارد قلب الأسد بدقة حالة الجوع و المرض التي أصابت المعسكر الصليبي المرابط قُرب أسوار عكا قائلاً :

((ولولا وجود الحشائش والمزروعات التي بذروها للحصول على ما يتبلغون به لم يكن بإمكانهم الاستمرار أحياء .. ثم جاء وباءٌ حلَّ بالحشود ... فازداد التورم في الأرجل و في الرأس و في كل يوم كان يموت ألف و عندها شتموا و لعنوا المركيز الذي سبب هذا الوضع))(١).

لم ينقذ الصليبيين من هذا الوضع السيئ سوى قدوم ملك فرنسة فيليب أغسطس الذي هبط إلى صور ، فأقنع المركيز كونراد بالذهاب معه إلى عكا في ٢٣ ربيع الأول ٥٨٧هـ/ ٢٠ نيسان ١١٩١م(٢) ، وهناك أعاد تنظيم المعسكر و شيد الأبراج و أيد كونراد في دعواه للملكية ضد غي مما اضطر (غي) إلى ترك أعمال الحصار في عكا واللجوء إلى ملك إنكلترة رتشارد في قبرص ليسانده في دعواه للملكية (٣) ، من هنا بدأت التراعات في الحملة الصليبية الثالثة ، و انقسام الصليبيين إلى فريقين الملك الفرنسي و تأييده لكونراد ، و الملك الإنكليزي وتأييده (لغي) ، ومع ذلك كان على الحملة أن تستمر و على رتشارد أن يسرع في مغادرة قبرص بعد أن وطد أمورها و باعها للداوية(٤)، ليشارك في حصار عكا ، و ترتيب أمورها ، ومن ثَمَّ استعادة الأراضي التي فتحها صلاح الدين الأيوبي .

وصل رتشارد إلى البر قرب صور في ١٣ جمادى الأولى ٥٨٧هـ/٦ تموز١١٩١م(٥)، لكن حامية المدينة رفضت السماح له بدخول صور بناءً على أوامر كونراد و فيليب ، فواصل سفره إلى عكا مع ٢٥شيني مملوءة بالرجال والسلاح والعتاد(٦).

---

(١)أمبرويز، المصدر نفسه،٣٢/٢٧٦-٢٧٧. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه، ٣/٦٩.

(٢)ابن شداد ، المصدر نفسه،ص ١٥٦. أمبرويز، المصدر نفسه، ٣٢/٢٩٤. الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٤٢٣. أرنول، المصدر نفسه ،٨/٣٧٧.

(٣)أمبرويز، المصدر نفسه،٣٢/١٣٤.

(٤)أرنول،المصدر نفسه،٨/٤١٤.

(٥)أمبرويز، المصدر نفسه،٣٢/١٦٧.ابن شداد،المصدر نفسه،ص١٦١.ابن الأثير، المصدر نفسه،١٠/٩٤.

(٦)أمبرويز، المصدر نفسه،٣٢/١٦٨.مؤرخ مجهول،حملة رتشارد،المصدر نفسه، ٣١/٧٢.ابن شداد، المصدر نفسه،ص١٦١. ابن الأثير، المصدر نفسه، ١٠/٩٥. الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٤٣٠.

وعلى الرغم من وصول رتشارد إلى عكا ومتابعته الحصار مع ملك فرنسة إلا أنّ الانقسامات داخل المعسكر الصليبي أصبحت أكثر وضوحاً ،وذلك بسبب موت البطريرك هرقل ،والنزاع حول انتخاب بطريرك جديد ، بالإضافة إلى النزاع على تاج بيت المقدس ،فالمركيز كان مدعوماً من قبل ملك فرنسة،و الجنوية في حين وقف،رتشارد و البيازنة إلى جانب (غي)، و من أجل تسوية النزاع عُقد اجتماع في المعسكر الصليبي تقرر فيه ما يلي :

١-يبقى(غي) ملكاً لبيت المقدس .

٢_ على أن يُعَّد (كونراد) هو الوريث للعرش عن طريق زواجه من إزابيلا .

٣_ وينبغي أن يأخذ حكم صور ،وصيدا ،وبيروت مع لقب(كونت)، وذلك كتعويض عن المساعدة التي قدمها أثناء حصار عكا .

٤_ يقتسم مع(غي) موارد المملكة من ريع الإيجارات و غيرها(١).

د-محاولة كونراد توقيع صلح منفرد مع صلاح الدين الأيوبي:

و يبدو أن(كونراد) لم يكن راضياً عن هذا الاتفاق لذلك اصطحب ملك فرنسة إلى صور متعللاً برغبة فيليب في زيارة المدينة ،و بقي فيها حتى بعد مغادرة فيليب إلى بلاده في يوم الاثنين نهاية جمادى الأولى ٥٨٧ه/٣١تموز ١١٩١م(٢).

نظم (كونراد) أمور صور ، فثّبت أقدام الجنوية فيها ، و طرد البيازنة ، وحين بدأت المراسلات بين رتشارد قلب الأسد ،و صلاح الدين الأيوبي عن طريق أخيه العادل لعقد الصلح ،أقدم (كونراد) في ٩رمضان ٥٨٧ه/أول تشرين الأول ١١٩١م على بعث رسول إلى معسكر صلاح الدين قُرب اللد عارضاً عليه شروطاً للصلح المنفرد،و بذلك أعلن انفصاله نهائياً عن جيش رتشارد، وجعل من مدينة صور منافساً حقيقياً لمدينة عكا.

وافق السلطان صلاح الدين الأيوبي وأرسل في ١٢رمضان/٣تشرين الأول رسوله إلى صور ((لقصد فصله -كونراد- عن الفرنج)) (٣) و معه تعليمات تقول :

---

(١)مؤرخ مجهول، حملة رتشارد، المصدر نفسه،٩١/٣١. أمبرويز، المصدر نفسه،٣١٩/٣٢-٣٢٠. روجر أوف ويندوفر، المصدر نفسه، ٣٧٣/٣٩. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه، ١٠٣/٣.

(٢)أمبرويز ،المصدر نفسه،٣٣٥/٣٢. ابن شداد ، المصدر نفسه،ص١٦٤. ابن الأثير، المصدر نفسه،١٠٠/١٠. الأصفهاني، المصدر نفسه، ص٤٨٠.

(٣)ابن شداد ، المصدر نفسه ، ص١٩٠.

على كونراد أن يبدأ بمحاربة الفرنج و حصار عكا وأخذها ، و إطلاق من بها و بصور من الأسرى ، وعند ذلك يُسلم صيدا و بيروت ، وكانت هذه مناورة من قبل صلاح الدين لاستغلال الخلاف بين كونراد و رتشارد لتوقيع أفضل شروط للصلح (١).

و ترددت الرسل بين الطرفين بوساطة رينالد صاحب صيدا ، الذي جاء إلى المعسكر السلطاني في يوم الثلاثاء ١٥ شوال / ٣ تشرين الثاني ، فاستقبله صلاح الدين و نصب له خيمة خاصة ليستريح بها حتى يجتمع به في يوم السبت ١٩ شوال / ٧تشرين الثاني ، و كان حديثه حين خلا به أن يصالح السلطان المركيز الذي انضم إليه جماعة من أكابر الفرنج و منهم صاحب صيدا ، و بذل له السلطان الموافقة على شروط قصد بها الإيقاع بينهم ، و وعده بأن يرد عليه الجواب فيما بعد (٢).

و جرت الأحداث في عكا لصالح المركيز ليعلن حربه ضد رتشارد ، فحين نشب شجار بين البيازنة و الجنوية في ٩ محرم ٥٨٨هـ/ ٦ شباط ١١٩٢م ، و تحول إلى سفك للدماء ، أرسل الجنوية إلى المركيز يطلبون منه القدوم للاستيلاء على عكا ، فلم يضيع كونراد الوقت ، بل جاء مسرعاً إلى عكا في شوانيه مع عدد كبير من الرجال المسلحين أملاً بالاستيلاء على المدينة ، لكن عندما سمع كونراد بأن الملك رتشارد بات قريباً من عكا لمساعدة البيازنة عاد مسرعاً إلى صور، و بعد وصول رتشارد إلى عكا نظم أمورها ، و في ٦ صفر ٥٨٨هـ/ ٢١ شباط ١١٩٢م صالح البيازنة مع الجنوية ، ثم أرسل رسولاً إلى كونراد يطلب منه الاجتماع في قلعة إيمبرتي(ليمبرت = حمصين) (٣) على الطريق المؤدي إلى صور ليرى إذا كان من الممكن التوصل إلى تفاهم و صداقة .

و بناءً عليه التقيا ، و عقد مؤتمر طويل لكن دون جدوى ، فتشاور رتشارد مع قادة جيشه ، و أقر أن المركيز قد خسر دعواه للملكية نتيجة لسلوكه المريب و ينبغي حرمانه من جميع موارده

---

(١)أمبرويز، المصدر نفسه،٥٢٢/٣٣. ابن شداد ، المصدر نفسه،ص١٩١. بدر الدين العيني، المصدر نفسه ،٤٠٠/٢٤. مصطفى الحياري، المرجع نفسه،ص٤٣٩. زكي النقاش، المرجع نفسه ،ص٦٦.

(٢)الأصفهاني، المصدر نفسه،ص٤٨٤. ابن شداد ، المصدر نفسه، ص٢٠٢. أبو شامة ، المصدر نفسه،٢٨٤/٤. شاكر مصطفى، المرجع نفسه، ص٣٣٥.

(٣)ليمبرت:هي قرية حمصين اليوم على بعد أربعة فراسخ باتجاه الشمال من عكا على شاطئ البحر . بورتشارد ، المصدر نفسه،١٤٩/٣٩. أمبرويز،المصدر نفسه، ٤٩٢/٣٣. عادل زيتون، المرجع نفسه،ص١٤٥. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع نفسه،٨٨٥/٢. ف.هايد. المرجع نفسه،٣٢١/١-٣٢٢.

و الواقع أنه لم يكن لهذا التهديد أن يجد طريقه للتنفيذ (١).

و أصبح رتشارد في حاجة ملحة للعودة إلى بلاده (٢) ، و كان عليه قبل المغادرة توقيع الصلح مع صلاح الدين ، و اختيار ملك للقدس ، لذلك اجتمع رتشارد مع قادة جيشه في ١٩ ربيع الأول ٥٨٨هـ/ ٦ نيسان ١١٩٢م و سألهم :

((أي واحد من الإثنين تفضلون أن يكون الملك : الملك غي أو المركيز فحثا الجيش كله من صغير و كبير على الركب و التمسوا وجوب ترقية المركيز إلى الملكية)).

و بإعطاء رتشارد موافقته صدر قرار بانتخاب كونراد ملكاً للقدس (٣)، ثم أرسل رتشارد ابن أخته هنري دي شامبين مع كوكبة من الفرسان إلى صور لإبلاغ كونراد قرار انتخابه ملكاً .

و تلقى كونراد الخبر بفرح كبير ، و ركع على ركبتيه و دعا الله إذا لم يكن جديراً بالملكية فينبغي ألا يمنحها له ، و أذيعت هذه الأخبار في صور التي عمت فيها مظاهر البهجة، فغادرها هنري إلى عكا من الأجل الإعداد لهذا التتويج (٤).

٥-مقتل كونراد على يد فرقة الحشيشية:

و في يوم ١٣ ربيع الأخر ٥٨٨هـ/ ٢٨ نيسان ١١٩٢م خرج كونراد من داره لتناول الإفطار مع صديقه أسقف بوفياس ، و أثناء عودته التقى به رجلان و إذ أعطاه أحدهم رسالة ليقرأها عاجله الأخر بطعنة في جسمه ، فجرى نقله إلى كنيسة هناك ، و لقي أحد القاتلين مصرعه في الحال بينما تم اعتقال الأخر ، فاعترف قبل إعدامه أنه هو و رفيقه من الحشيشية ، كلفهم بهذا العمل سنان شيخ الجبل ، لأن كونراد أساء لسنان شيخ الجبل بالسطو على سفينة تجارية عائدة له ، و عندما طلب منه سنان إعادة السفينة رفض ، فهدده بالقتل ، و فعلاً أقدم على قتله ، و تقول الرواية : أنّ القاتلين مكثا في صور بعض الوقت يترقبان الفرصة المواتية لهما بل إنهم قبلا التنصير ،و دخلا في خدمة المركيز تسهيلاً لتنفيذ هذه المهمة (٥).

---

(١)مؤرخ مجهول،حملة رتشارد،المصدر نفسه،١٤٥/٣١-١٤٦ .أمبرويز،المصدر نفسه،٤٩٢/٣٣-٤٩٦. ف.هايد. المرجع نفسه،٣٢٣/١.

(٢)وصل راعي دير (هيرفورد)من إنكلترة و بلغ رتشارد رسالة مستشاره (وليم أسقف ايلاي) أخبره فيها بأعمال أخيه جون في المملكة و استيلائه على الخزينة المالية. مؤرخ مجهول ، حملة رتشارد، المصدر نفسه،٢٥٠/٣١. أمبرويز، المصدر نفسه،٥٢٨/٣٣. أرنول، المصدر نفسه، ٤٤٨/٨.

(٣)مؤرخ مجهول، حملة رتشارد، المصدر نفسه،١٥١/٣١. أمبرويز، المصدر نفسه،٥١٩/٣٣.

(٤)مؤرخ مجهول، حملة رتشارد، المصدر نفسه،١٥٢/٣١ .أمبرويز، المصدر نفسه،٢٥٦/٣٣. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،١٢٤/٢.

(٥)أرنول، المصدر نفسه،٤٢٣/٨. أمبرويز، المصدر نفسه،٥٢٨/٣٣. روجر أوف ويندوفر،المصدر نفسه،٣٧٧/٣٩

و بموت كونراد عمت الفوضى في صور ، فاتهم الفرنسيون و أسقف بوفياس رتشارد بذلك ، بأنه هو من استأجر هؤلاء الرجال من الحشيشية لهذا الغرض (١).

و وجه الآخرون الاتهام و الملامة إلى الملك غي بسبب الإهانة التي وجهت إليه عندما جاء و معه الملكة سبيلا من طرابلس ، و وقفا أمام مدينة صور فمنعهما المركيز من الدخول إليها (٢).

بينما تحدث ابن الأثير خطأً : أن صلاح الدين راسل الحشيشية لقتل كونراد و رتشارد ، و لكن سنان لم يقدم إلا على قتل كونراد حتى يبقى صلاح الدين مشغولاً بحروبه مع رتشارد(٣).

و هذا الكلام مبالغ فيه ، فصلاح الدين لم يرَ قتل أحد من الإثنين ، بل كان يستغل ما جرى بينهما من خلاف لتوقيع أفضل شروط للصلح و استشار رجاله ، و كان الرأي مماطلة كونراد ، و توقيع الصلح مع رتشارد لأنه سيغادر البلاد ، و بالتالي سيوافق على شروط صلاح الدين ، و لكن موت كونراد حال دون استخدام صلاح الدين لهذا الخلاف ، ففقدَ ورقة المناورة التي حاول استغلالها لصالح المسلمين .

و يصف العماد الأصفهاني بدقة حالة رتشارد بعد موت كونراد و أثر هذه الحادثة على تعديل شروط الصلح و مماطلة المفاوضات مع المسلمين :

((لم يعجبنا قتل المركيس _كونراد_ في هذه الحالة و إن كان من طواغيت الضلالة لأنه كان عدوَّ ملك الانكتار_ الإنكليز_ و منازعه في الملك و السرير و منافسه في القليل و الكثير ، و هو يراسلنا حتى نساعده عليه ، و نترع ما أخذه من يديه ، و كلما سمع ملك الانكتار_ الإنكليز_ أن رسول المركيس-كونراد-عند السلطان مال إلى المراسلة بالاستكانة و الإذعان ، و أعاد الحديث في قرار الصلح ، و طمع في ليل ضلاله بإسفار الصبح ، فلما قتل المركيس_ كونراد _سكن روعه و طاب قلبه ، و أب لبه ، و استوى أمره ، و استشرى شره))(٤).

هذا من جهة ، و من جهة أخرى كيف يقدم صلاح الدين على الاتفاق مع الحشيشية و هم الذين حاولوا قتله مرات عدة (٥).

---

(١)مؤرخ مجهول، حملة رتشارد،المصدر نفسه،١٥٤/٣١. أمبرويز،المصدر نفسه،٥٣٣/٣٣. أرنول،المصدر نفسه،٤٢٤/٨. ابن الأثير، المصدر نفسه،١٠٦/١٠.

(٢)أرنول، المصدر نفسه،٤٢٤/٨.

(٣)ابن الأثير، المصدر نفسه،١٠٥/١٠.

(٤)الأصفهاني،المصدر نفسه،ص٥٩٠. أبو شامة،المصدر نفسه،٢٩٩/٤-٣٠٠.

(٥)إحداها في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م أثناء حصاره لعزاز. سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه،٣٣٥/٨.

أدى موت كونراد إلى تغير الوضع في المعسكر الصليبي ، فاستلمت زوجته إزبيلا مفاتيح صور و رفضت تسليمها إلا لملك إنكلترة أو للحاكم الشرعي للبلاد و ذلك بناءً على وصية زوجها .
و بينما البارونات الفرنسيون يبذلون جهدهم لامتلاك صور جاء الكونت هنري دي شامبين ، و لم يكد يدخل المدينة حتى هتف به سكانها على أنه الرجل المناسب الذي ينبغي أن يتزوج أميرهم ، و أن يرث العرش ، وافق هنري على هذا الزواج ، و أرسل إلى رتشارد في الرملة يخبره بما حدث ، فكان جواب رتشارد رسالة بعث بها إلى هنري جاء فيها :
((دعوا الكونت هنري يستحوذ على مملكة عكا ، و كل متعلقاتها ، و أعني بذلك صور و يافا و جميع الأراضي المستولى عليها ، و أخبروه باسمي أيضاً أن يقلع بحملته بأقصى سرعة ممكنة ، و أن يجلب معه الفرنسيين لأنني أنوي الاستيلاء على دير البلح الداروم على الرغم من معارضة الترك)) (١) .
و بموافقة رتشارد على اختيار هنري ملكاً للقدس احتفلت مدينة صور بتتويج إزبيلا و هنري كونت شامبين في يوم الخميس ١٥ ربيع الأخر ٥٨٨هـ/ ٣٠ نيسان ١١٩٢ (٢) .
لكن ظهور هنري أمام أبواب صور بعد مقتل كونراد مباشرة يثير الشكوك ، هل يا ترى وجدت مؤامرة و خاله أرسله ليكون حاضراً أثناء تنفيذها ، أم أنها مصادفة ؟
لا نعتقد ذلك لأن ما جرى بعد تتويج هنري يبين فائدة استلام هنري مهامه كملك و التخلص من كونراد فهو ابن أخت الملك الفرنسي فيليب (٣)، و بالتالي وافق الفرنسيون عليه ، فاستطاع أن يضبط تمردهم (٤)، و يعيد انضمامهم إلى جيش رتشارد الذي انتهى من أولى المشكلات التي كان عليه حلها قبل سفره .
بالإضافة إلى ذلك كان هنري ابن أخت الملك الإنكليزي رتشارد (٥) ، لذلك وافق الإنكليزي على استلامه الحكم، كما وافق عليه البارونات القدامى بسبب المساعدات التي قدمها فور

---

(١)مؤرخ مجهول،حملة رتشارد، المصدر نفسه،١٥٩/٣١. أمبرويز، المصدر نفسه، ٥٣٩/٣٣.
(٢)الأصفهاني، المصدر نفسه،ص٥٨٩. ابن شداد ، المصدر نفسه.ص٢٠٨. ابن الأثير، المصدر نفسه،١٠٦/١٠. أرنول، المصدر نفسه،٤٢٤/٨. مؤرخ مجهول، حملة رتشارد، المصدر نفسه،١٥٩/٣١.أمبرويز، المصدر نفسه،٥٤٢/٣٣. ميخائيل السوري الكبير، المصدر نفسه،ص٣٠٦. ابن أبي الدم، المصدر نفسه،ص٢٧٤. بدر الدين العيني، المصدر نفسه،ص٢١٧. روجر أوف ويندوفر، المصدر نفسه،٣٧٦/٣٩.
(٣)أمبرويز، المصدر نفسه، ٥٤١/٣٣.
(٤)مؤرخ مجهول ، حملة رتشارد، المصدر نفسه، ١٤٧/٣١.
(٥)أمبرويز، المصدر نفسه، ٥٤٢/٣٣.

وصوله إلى بر عكا ، و التزامه أعمال الحصار (١) ،كما أن الصليبيين بحاجة إلى شخصية قوية تدير شؤون المملكة ، خصوصاً أن البيازنة حاولوا بعد موت كونراد إرسال الرسائل إلى غي في قبرص ليتسلم صور و استعادة مملكته السالفة (٢) ، لكن موافقة رتشارد على زواج هنري من إزبيلا و إجراء مراسيم التتويج بسرعة في اليوم الثاني لموت كونراد فوت على غي تلك الفرصة .

من خلال ما تقدم نلاحظ أن استلام هنري الحكم في عكا أعاد لمملكة القدس الثانية وحدتها من جديد .

و حين استلم هنري مهامه كحاكم للمملكة الصليبية بادر بمراسلة صلاح الدين ، و طلب منه أن يعيد للصليبيين المدن التي فتحها :

((إنّ رتشارد أعطاني البلاد الساحلية و هي الآن لي فأعد علي بلادي حتى أصالحك و أكون أحد أولادك)) فغضب صلاح الدين من هذا الاقتراح الذي يعيد المفاوضات إلى نقطة البداية ، و طرد الرسول الذي عاد ثانية ليقول إن الكونت هنري يقول :

((إن البلاد في يدك فما تعطني منها)) (٣) .

فرد عليه صلاح الدين : ((يكون الحديث بيننا في صور و في عكا على ما كان مع كونراد)) .

هذا يعني أن يعلن هنري عداوته لرتشارد و يوقع صلحاً منفرداً مع صلاح الدين ، بشروط الصلح نفسه التي كان سيوقعها كونراد ،لكن هنري ما كان ليقوم بذلك و هو ابن أخت رتشارد ، فلم يتابع مباحثاته مع المسلمين بل جعل رتشادر هو المتحدث باسم الصليبيين كلهم.

و–صلح الرملة و بقاء صور بيد الصليبيين:

و حين أخفق رتشارد بأخذ القدس على الرغم من استيلائه على العديد من المدن التي فتحها صلاح الدين بعد حطين لجأ إلى طلب الصلح :

((حين عرف ملك الانكتار_ الإنكليز_ أن العسكر قد اجتمع ، و أن الخرق عليه قد اتسع ، و أن القدس قد امتنع ، و أن العذاب به قد وقع ، و أنه عازم على العودة إلى بلاده)) أرسل إلى صلاح الدين قائلاً :

---

(١)أمبرويز، المصدر نفسه، ٣٣٥/٣٢. ابن شداد ، المصدر نفسه،ص١٣١. مصطفى الحياري، المرجع نفسه، ص٣٩٦.

(٢)أرنول، المصدر نفسه،٤٢٥/٨.

(٣)ابن شداد،المصدر نفسه،ص٢١٨-٢١٩. شاكر مصطفى، المرجع نفسه،ص٣٤٠.

((فإن هادنتم ، و طاوعتم تبعت هواي ، و إن حاربتم و عصيتم ألقيت ههنا عصاي و استقرت نواي ، و قد كَلَّ الفريقان ، و مل الرفيقان ، و قد نزلت عن القدس و أنزل عن عسقلان ، و لا تغتر بهذا العسكر المجتمع من كل الجهات فإن جميعها في الشتاء إلى شتات ، فأجيبوا رغبتي ، و أصيبوا محبتي ، و أودعوني العهد ودعوني))(١) .

فاستشار صلاح الدين أمراء الجيش ، فأجابوا بالصلح ، و ذكروا ما عند العسكر من الضجر و الملل ، و ما قد هلك من أسلحتهم و دوابهم ، و ما نفد من نفقاتهم و قالوا :

((إن هذا الفرنجي طلب الصلح_ رتشارد_ ليركب البحر و يعود إلى بلاده فإن تأخرت إجابته إلى أن يجئ الشتاء ، و ينقطع الركوب في البحر نحتاج للبقاء ههنا سنة أخرى ، و حينئذ يعظم الضرر على المسلمين(٢) ،و أكثروا القول في هذا المعنى ، فأجاب صلاح الدين بالشروط التالية:

يكون للصليبيين من يافا إلى صور ، و للحجاج المسيحيين الحرية في زيارة الأماكن المقدسة ، و للمسلمين و المسيحيين الحق في أن يجتاز كل فريق منهم بلاد الفريق الأخر .

أما عسقلان فكان لابد من تدميرها ،و اللد و الرملة مناصفة بين المسلمين و المسيحيين ، وكان يحق لأنطاكية و طرابلس الدخول في هذا الصلح الذي كانت مدته ثلاث سنوات من تاريخ الاتفاق الثلاثاء ٢١شعبان ٥٨٨هـ ١ أيلول ١١٩٢م(٣) .

أنهى صلح الرملة مرحلة من مراحل الصراع الإسلامي الصليبي ، لكنه أبقى صور بيد الصليبيين ، و شهدت المرحلة التالية صراعات أخرى ، تمثلت بخلافات دول إيطاليــة التجاريــة و هــو موضوع الفصل المقبل .

---

(١)الأصفهاني، المصدر نفسه،ص٦٠٣.ابن شداد،المصدر نفسه،ص٢١٨.سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه،٤١٨/٨. مؤرخ مجهول،حملة رتشارد، المصدر نفسه،٢٠٨/٣١. أمبرويز، المصدر نفسه،٦٣٤/٣٣.

(٢)ابن الأثير، المصدر نفسه،١١١/١٠.

(٣)الأصفهاني،المصدر نفسه،ص٦٠٥.ابن شديد،المصدر نفسه،ص٣٢٣.أبو شامة،المصدر نفسه،٣٢٦/٤.ابن العديم،المصدر نفسه،ص٢١٥.أرنول،المصدر نفسه،٤٤٣/٨.مؤرخ مجهول،حملة رتشارد، المصدر نفسه،٢٠٨/٣١. أمبرويز،المصدر نفسه،٦٩٢/٣٣. شاكر مصطفى،المرجع نفسه،ص٣٤٨. محمد سهيل طقوش،تاريخ الأيوبيين، المرجع نفسه،ص٢٠١. مصطفى الحياري، المرجع نفسه،ص٤٦٠. أرنست باركر، المرجع نفسه،ص٩١.

الفصل الرابع :

صور من صلح الرملة حتى التحرير .
٥٨٨- ٦٩٠هـ ١١٩٢ - ١٢٩١ م :

أولاً : صور بعد الحملة الصليبية الثالثة :

أ- صور بعد صلح الرملة .

ب- اتخاذ صور مقراً للنائب الإمبراطوري .

ج- الصراع بين النائب الإمبراطوري و البارونات .

د- عودة صور إلى سلطة البارونات في المملكة .

ه- الصراع بين جاليات دول إيطاليةَ التجارية .

ثانياً : تحرير صور : ١٨جمادى الأولى ٦٩٠هـ ١٨ أيار ١٢٩١م :

أ- صور في ظل حكم فيليب مونتفرات .

ب- صور في ظل حكم يوحنا مونتفرات .

ج- صور في ظل حكم الكونتيسة " مرجريت ".

د- تحرير صور .

أولاً : صور بعد الحملة الصليبية الثالثة :

أ- صور بعد صلح الرملة :

بعد مغادرة الملك رتشارد قلب الأسد إلى بلاده في ٢٩رمضان ٥٨٨هـ/٩تشرين الأول ١١٩٢م و وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي في ٢٧صفر ٥٨٩هـ/٣آذار١١٩٣م ، لم يكن هناك أسباب تدعو إلى الصدام بين المسلمين و الفرنج في الشرق ، إذ انصرف الأمراء الأيوبيون إلى منازعاتهم الداخلية (١) ، و أفاد الملوك الذين تعاقبوا على حكومة بيت المقدس بعكا من هذه المنازعات ، فلجأوا إلى عقد المهادنات مع المسلمين(٢) .

و حملت المصالح التجارية المدن الإيطالية إلى اشتداد التنافس بينها ، و وقوع المنازعات المريـرة والمعارك البحرية والتسابق لعقد المعاهدات التجارية مع الأمراء الفرنج ، و مع الأمراء الأيوبيين في مصر و بلاد الشام ، على الرغم من ذلك استطاع هنري كونت شامبانيا أن يعيد إلى مملكة القدس الثانية قدراً من الأمن،و لم يكن ذلك جهداً هيناً ، كما أن وضع هنري لم يكن مستقراً ، فهو لم يتوج ملكاً و لعله كان ينتظر على أمل أن يحل اليوم الذي يسترجع فيه بيت المقدس . و ما جرى من إغفاله لقب ملك قيد سلطته لاسيّما على الكنيسة لكنه لقي تأييداً من أتباعـه العلمانيين و زعيمهم باليان إبلين ، و من الطوائف الدينية العسكرية(٣) .

غير أن غي لوزنغنان كان يتطلع من قبرص إلى مملكته السالفة في بلاد الشام فاتصل بالأيوبيين و البيازنة لتحقيق حلمه .

و أرسل وفداً إلى صلاح الدين لطلب المساعدة ، و يبدو أنه كان يخشى على حكمه من هجوم قد تقوم به الإمبراطورية البيزنطية ضد جزيرة قبرص لإعادة النفوذ البيزنطي إلى الجزيرة .

بدليل أن صلاح الدين استقبل بعد ذلك رسل الإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني أنجيلوس تطلب منه المساعدة لمهاجمة الجزيرة (٤)، غير أن صلاح الدين لم يستجب لرغبات أحد من الفريقين .

و عندما يئس غي لوزنغنان من مساعدة صلاح الدين التفت إلى محالفة البيازنة أنصاره القدامى ، فوعدهم بامتيازات وافرة ، وكان هؤلاء قد غضبوا لما أبداه هنري دي شامبانيا من العطف

---

(١)أبو شامة، المصدر نفسه،٤١٨/٤-٤٢١. ابن واصل، المصدر نفسه،٢٨/٣-٦٨. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشره محمد مصطفى زيادة ،ط٢، ١٩٣٤م، الجزء الأول القسم الأول ص١٤٣-١٥٢.

(٢)ابن واصل، المصدر نفسه،٧٨/٣-١٦٢. المقريزي، السلوك، ج١، قسم١، ١٧٢. ستيفن رنسـمان، المرجـع نفسه،٩/٣.

(٣) ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ١٥٥/٣-١٥٦.

(٤)ابن شداد، المصدر نفسه، ص٣٣٢.

على الجنويين ، فوضعوا خطة للاستيلاء على صور و تسليمها إلى غي و ذلك في شهر جمادى الأولى ٥٨٩هـ/أيار ١١٩٣م ، و كان للبيازنة أسبابهم في اختيار صور : فهي مركز تجمعهم ، إضافة إلى أنهم منذ بداية الحملات الصليبية كانوا يلاقون معاملة أدنى من المعاملة التي لقيتها الدول التجارية الأخرى ، فلم يتمتعوا بالإعفاء من الرسوم الجمركية إلا في مدينة صور التي فضلوا الإقامة فيها (١).

لكن محاولتهم في أخذ صور أخفقت ، فاكتشف هنري أمرهم ، و ألقى القبض على مدبري المؤامرة ، و خفض عدد جالية البيازنة إلى ثلاثين شخصاً ، و انتقم البيازنة لأنفسهم بأن أغاروا على القرى الساحلية الواقعة بين صور و عكا ، فأمر هنري بطردهم من عكا و من المملكة كلها(٢).

و حين تدخل كندسطبل المملكة أملريك لوزنغنان أخو غي لصالح البيازنة أمر هنري بإلقاء القبض عليه بسبب هذا التدخل ، غير أن مقدمي الداوية و الاستبارية اقنعا هنري بإطلاق سراحه ، فلجأ إلى يافا و لم يتخل عن وظيفته كندسطبل المملكة ،لكن هنري عده فاقداً لحقه فيها سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م ، فعين خلفاً له يوحنا إبلين (٣) ، ثم تقرر عقد الصلح مع البيازنة ، فعاد إليهم حيهم بعكا ، و اعترفوا منذئذ بحكومة هنري .

ولما مات غي لوزنغنان في قبرص في أيار سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م سهل إجراء الوفاق العام، حيث استلم أخوه أملريك حكومة قبرص ،و تم ترتيب تحالف وثيق بينه و بين هنري ، عززاه بما حدث من خطبة أبناء أملريك الثلاثة لبنات إزبيلا الثلاث ، و بذا راودهم الأمل في أن تتحد ممتلكاتهما في الجيل الثاني ،لأن الحاجة كانت ماسة إلى مثل هذا الترتيب .

فلم يكن الغرض من تملك الفرنج لجزيرة قبرص سوى أن يفيد منها الفرنج في فلسطين ، و تمدهم بقاعدة بالغة الأمن ، فإذا كان سادة قبرص يودون اجتياز البحر للقتال من أجل الصليب كلما اقترب الخطر ، فسوف تكون قبرص بالغة الأهمية للشرق الفرنجي ، و لو وقعت

---

(١)ف.هايد، المرجع نفسه،٣٤٣/١.

(٢)ستيفن رنسمان،المرجع نفسه،١٥٧/٣.ف. هايد،المرجع نفسه،٣٢٢/١.سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية،المرجع نفسه،٩٠٥/٢عادل زيتون،المرجع نفسه،١٤٥سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين،المرجع نفسه ص٢٦٢،

(٣)يوحنا إبلين بن بالين، و هو أخ غير شقيق للملكة إزبيلا زوجة هنري دي شامبانيا ، و سيصبح زعيم البارونات في حربهم ضد الإمبراطور فردريك الثاني،فقد كان أعظم شخصية في الشرق الفرنجي ، فضلاً عن درايته الواسعة بتاريخ مملكة القدس و قوانينها . فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٧٣/٣٤-١٧٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،١٥٧/٣-٣٢١.

خصومات فسوف تصبح قبرص قوة طاردة خطيرة (١).

و بعد وفاة هنري كونت شامبانيا في العام ٥٩٣ هـ/١١٩٧م ، و زواج إزبيلا من أملريك اتحد التاجان (تاج بيت المقدس و تاج قبرص) و تم تتويج ملك القدس الجديد في كاتدرائية صور التي أصبحت منذ ذلك الوقت المكان التقليدي لتتويج ملوك مملكة القدس الثانية (٢).

وفي العام ٦٢٢ هـ/١٢٢٥م توجت يولندا بنت يوحنا بريين حين تزوجها نيابة عن الإمبراطور فردريك رئيس أساقفة (كابو) و توجها البطريرك رالف بحضور جميع نبلاء الشرق ،و بعد انتخاب هيو الثالث تم تتويجه بصور في ٢٤ذي الحجة ٦٦٤ هـ/٢٤كانون الأول ١٢٦٩م ،ثم توج يوحنا بن هيو ملكاً على بيت المقدس في الكاتدرائية ذاتها (٣).

و حين استلم هنري بن هيو الملكية توجه رئيس أساقفة صور بوناكور ساجلوريا في ٦٨٥هـ/١٥أب ١٢٨٦م في مدينة صور .

ب- اتخاذ صور مقراً للنائب الإمبراطوري :

ساد الهدوء في مدينة صور فانعكس ذلك على نشاطها التجاري الذي ازداد بشكل كبير ، فالمتاجر القادمة من داخل البلاد غمرت أرصفة الميناء في المدينة و مما ساعد على ذلك أنّ الحملة الصليبية الرابعة (٥٩٩-٦٠٠ هـ/١٢٠٢-١٢٠٤ م)(٤) و الحملة الصليبية الخامسة (٦١٥-٦١٨هـ/١٢١٨-١٢٢١ م)(٥) لم تؤديا إلى أي تغييرات أو أحداث هامة في صور .

---

(١)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣/١٥٨-١٥٩.

(٢)يعقوب الفيتري، المصدر نفسه،ص١٧١.أرنول،المصدر نفسه٨/٥١٦.فيليب دي نوفار،المصدر نفسه،ج٣٤ملحق١، ص١٩٤.المصدر نفسه، ملحق٢،ص١٩٨. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣/١٥٧.

(٣)ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه،٣/٣١١-١١٧-٦٧١.حسين محمد عطية، المرجع نفسه،ص٤٧٩ هامش٢٧٢.

(٤)الحملة الصليبية الرابعة: انحرفت عن هدفها الأساسي، و اتجهت ضد القسطنطينية ، و استولت عليها في ٦٠١هـ/١٢٠٤م، مما دفع عموري الثاني إلى توقيع صلح مع العادل لمدة ٦سنوات في محرم ٦٠١ هـ/أيلول١٢٠٤م. ابن الأثير، المصدر نفسه،١٠/٢٠٠. فليهاردين ، الاستيلاء على القسطنطينية ، تر:د.سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق،١٩٩٥م،١٠/٩٠. روبرت دي كلاري، المصدر نفسه، ١٠/٢٣٦-٢٤٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣/٢١٠. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ٢/٩٤٦-٩٣٥.

(٥)الحملة الصليبية الخامسة : وصلت إلى دمياط في٢٦صفر٦١٥ هـ/٢٣أيار١٢١٨م، و استطاعت احتلال دمياط و الوصول إلى القاهرة ، لكن سوء قيادتها أدى إلى إخفاقها . ابن الأثير، المصدر نفسه، ١٠/٣١١. ابن واصل، المصدر نفسه، ٤/١٠٥. أولفر أوف بادربون، الاستيلاء على دمياط، تر: د.سهيل زكار، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق ١٩٩٨، ج٣٣. محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، مصر١٩٨٥.

و على العكس من ذلك كانت نتائج الحملة الصليبية السادسة ، فقد خلّفت وراءها الحرب الأهلية بين بارونات المملكة و نواب الإمبراطور فردريك الثاني (١)في قبرص و في مملكة بيت المقدس .

إذ اختلفت نظرة كل من البارونات و فردريك إلى صلاحيات ملك القدس فهو عند البارونات ملك مقيد بدستور ، و لا يزيد على أنه رئيس المحكمة العليا و القائد الأعلى غير أن فردريك جعل نفسه ملكاً مستبداً على نحو ما ألفه الرومان و البيزنطيون ، فكان مصدر القوة و القانون(٢).

و لم يغفر البارونات للإمبراطور زرايته بالدستور ، فعلى الرغم من أنه ليس إلا مجرد وصي فإنه و قع مع الكامل معاهدة يافا(٣) دون رضاهم و موافقتهم ، كما أنه قام بتتويج نفسه .

أما الطوائف الدينية فكانت تدين بالولاء إلى البابا، فلا يمكن أن تساعد ملكاً طرده البابا من الكنيسة (٤)

و كره الجنويون و البنادقة ما أغدقه الإمبراطور من امتيازات على البيازنة (٥) ، فوقفوا إلى جانب البارونات في حربهم ضد نواب الإمبراطور الذين اتخذوا من مدينة صور مقراً لهم ، و هذا ما جعل صور مركز النزاع و محور الأحداث خلال هذه المدة .

و بمجرد رحيل فردريك من أراضي الشرق اندلعت الحرب في قبرص ثم انتقلت إلى الأراضي المقدسة ، إذ تلقى نواب الإمبراطور الخمسة في قبرص تعليمات تقضي بنفي كل أصدقاء أسرة إبلين من الجزيرة .

---

(١)فردريك الثاني: بزواجه من يولاند بنت يوحنا برين أصبح ملك مملكة القدس و بسبب إخفاق الحملة الصليبية الخامسة أخذ البابا جريجوري التاسع يلح على فردريك للوفاء بعهده و القيام بحملة إلى الشرق ، وبسبب تأجيله السفر إلى بلاد الشام أكثر من مرة أصدر البابا قرار حرمان ضده ، ففتح هذا الأجراء باب النزاع بين الإمبراطور و البابوية.

فيليب دي نوفار، المصدر نفسه ٣٦/٣٤-٩٢-٩٣. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣١٧/٣-٣١٨. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١٠٠١/٢.

(٢)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٢١/٣. د.سهيل زكار ، الموسوعة الشاملة، ٤١/٣٤.

(٣)وقع الإمبراطور مع الكامل محمد صلح يافا ٢١ربيع الأول٦٢٦ ه/١٨شباط١٢٢٩م . ابن الأثير، المصدر نفسه،٤٣٥/١٠. ابن واصل، المصدر نفسه،٢٤١/٤. سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه،٦٥٣/٨. أبو شامة، المصدر نفسه،٣٢٦/٤-٣٢٧. فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،٩١/٣٤. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١٠٠٩/٢-١٠١٠. محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين، المرجع نفسه، ص٣٤٦.

(٤)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،٩٢/٣٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٣٩/٣-٣٤٠.

(٥)فيليب دي نوفار ، المصدر نفسه، ٩٣/٣٤.ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٣٦/٣.

واتفق هؤلاء النواب على أن يدفعوا لفردريك عشرة ألاف مارك (قطعة فضـية)،اسـتطاعوا جمعها من الضرائب التي فرضوها على الناس ، و بما صادروه من أملاك الحزب الذي يسـاند الإبلينين (١).

و استطاع نواب الإمبراطور استمالة المؤرخ فيليب نوفار(٢) الذي كان أشد الناس تعلقاً بيوحنا إبلين سيد بيروت ، فبذلوا له الأمان كيما يقدم إلى نيقوسيا للمناقشة في عقد الهدنة بين نواب الإمبراطور و حزب أسرة إبلين ، غير أنه لما وصل إلى نيقوسيا ألقى النواب القبض عليه ، و لم يفرجوا عنه إلا بكفالة،ففر إلى بيت الاستبارية ، و أرسل إلى يوحنا إبلين في عكا يطلب منـه القدوم لنجدته (٣).

فبادر يوحنا إلى مساعدته ، و حين نشب القتال بين الفريقين انهزم نواب الإمبراطـور و لقـي بعضهم مصرعه أثناء المعركة ، و تولى يوحنا إبلين مقاليد الحكم بنفسه حتى يبلغ الملك هنـري سن الرشد في سنة ٦٢٩ هـ/١٢٣٢م(٤).

بهذا استطاع يوحنا أن يوطد الأمن في جزيرة قبرص ، بينما اطمأن باليان سـيد صـيدا ، و جارنييه الألماني نائبي الإمبراطور في القدس إلى تسيير حكومة مملكة بيت المقدس .

لكن الإمبراطور وقع معاهدة صلح مع البابا عام ٦٢٧ هـ/٢٣تموز ١٢٣٠ م في سان جرمانو ، و أخبره بضرورة إرسال جيش للدفاع عـن بيـت المقـدس ، فحشـد في خريـف سـنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م ما يقارب ستمائة فارس و مئة من السرجندية ، و سـبعمائة مـن الرجالـة المسلحين ، و ثلاثة ألاف ملاح ، و بعث بهم تحت قيادة مارشاله رتشارد فيلانجيري من نابولي في ثلاثين سفينة ، و تقرر منح فيلانجيري لقب المندوب الإمبراطوري(٥).

---

(١)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،٩٥/٣٤.

(٢)فيليب دي نوفار:ولد حوالي ١١٩٥م، و مضى إلى الشرق في سن مبكرة سنة١٢١٨م، و أصبح فيما بعد مـن أهم مستشاري جون إبلين ، رست شهرته بين معاصريه و رجال بلده على أنه محامي استئناف في المحكمة ، وكانـت قمة أعماله عندما استطاع سنة١٢٤٣م إقناع صاحبي بيروت وتبنين و المحكمة العليا للقدس بتأجيل هجومهم علـى صور حتى يصل الملك كونراد إلى السن القانونية ، و جعل أليس صاحبة قبرص حاكمة لمملكة بيت المقدس ، و كوفئ فيليب مكافئة جيدة من قبل الملكة التي سددت عنه جميع ديونه . د.سهيل زكار، الموسـوعة الشـاملة في تـاريخ الحروب الصليبية، ١٦/٣٤-١٩-٢٠.

(٣)أرسل فيليب رسالته إلى يوحنا شعراً. فيليب دي نوفار، المصدر نفسه، ٩٨/٣٤-٩٩.

(٤)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٣٠/٣٤-١٣١. ستفين رنسمان، المرجع نفسه،٣٤٥/٣.

(٥)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٣٢/٣٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٤٥/٣.

كان يوحنا في عكا حينما وصلته أخبار المساعدات الإمبراطورية من إيطالية ، على سفن تابعة للفرسان التيوتون فظن يوحنا أن قبرص هي الهدف الأول ، فبادر بجمع رجاله من بيروت ،و لم يترك بالقلعة إلا حامية صغيرة .

لكن فيلانجيري حين علم بوجود يوحنا و هنري في قبرص غادر إلى بيروت التي استسلمت مباشرة ،ثم احتل صيدا و صور التي جعلها مقره الرئيسي لسببين :

الأول : تجهيز فردريك لقلعة صور قبل مغادرته للأراضي المقدسة (١).

الثاني : استطاع فيلانجيري بسط سلطته على صور بشكل سلمي ،فعند وصوله إلى المدينة سلمها إليه (ايمون دي لارون) المتولي لحراستها ،و ربما باليان صاحب صيدا أمر (دي لارون) قسطلان المدينة _قائد قلعتها_ بالقيام بعملية النقل (٢).

ثم ذهب إلى عكا فدعا إلى عقد المحكمة العليا ،و عرض على البارونات رسائل الإمبراطور فردريك بتعيينه نائباً عنه ، فأقر البارونات ذلك ، عندئذ أعلن فيلانجيري مصادرة أراضي الإبلينين ،فقد اعتاد فيلانجيري أن يسلك في حكمه سلوك القائد ، و لم يعمل أي حساب للقانون العرفي لمملكة القدس الصليبية ، فعارض البارونات و التجار سياسته ، وألفوا مجلساً بلدياً لحكم عكا (قومون عكا) برئاسة يوحنا إبلين(٣).

ج- الصراع بين النائب الإمبراطوري و البارونات:

و عندما وصلت أنباء هجوم فيلانجيري على بيروت و تعيين يوحنا إبلين رئيساً لقومون عكا، التمس يوحنا المساعدة من الملك الشاب هنري لينهض بقوات الجزيرة لنجدة بيروت ، وافق هنري و أمر كل جيش المملكة بالإقلاع إلى بيروت ، و حين وصل يوحنا إليها استلم قلعتها ، و منها وجه إلى البارونات نداء للنهوض إلى نجدته (٤).

خصوصاً أن فيلانجيري ترك أخاه لوثير على حصار بيروت و ذهب إلى صور مقره الرئيسي .

عندئذ وافق الجنويون على بذل المساعدة ليوحنا إبلين و البارونات مقابل الحصول على امتيازات في جزيرة قبرص ،و أعلنت جنوة الحرب صراحة على النائب الإمبراطوري في بلاد الشام ،خصوصاً بعد ما أرسل فردريك في ٢٨هـ/شباط١٢٣١م إلى نائبه أمر بأن يأخذ من

---

(١)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،٩٣/٣٤.

(٢)المصدر نفسه، ١٣٩/٣٤، المصدر نفسه ، ص٢٦٨، هامش١٦٣.

(٣)المصدر نفسه،١٤٥/٣٤-١٤٦. ف.هايد، المرجع نفسه،٣٤٥/١. ستيفن رنسمان. المرجع نفسه،٢٤٦/٣. سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية، المرجع نفسه،١٠١٩/٢.عادل زيتون، المرجع نفسه،ص١٤٧.

(٤)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٤٢/٣٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٤٧/٣.

الجنويين عند نزولهم في عكا رسم الميناء ، وكان هذا اعتداءً مباشراً على حقوقهم (١) .

و أرسلت جنوة فرقاً عسكرية و سفناً إلى يوحنا إبلين ، و ضربت الحصار على مدينة صور و حين علم لوثير بأخبار الأسطول الجنوي ، أحرق آلات الحصار ، و تخلى عن بيروت عائداً إلى صور ليساند أخاه في صد هجوم البارونات (٢) .

و بفضل هذه المساعدة التي قدمتها جنوة تم تخليص بيروت من سلطة فيلانجيري الذي احتمى داخل أسوار مدينة صور ، مما دفع جون صاحب قيسارية للاشتباك مع حاميتها ،ولم يكن الهدف من ذلك استرجاع المدينة بل حصار قوة فيلانجيري داخل صور فقط (٣) .

و بعد إجراء المباحثات بين الملك هنري و يوحنا إبلين تقرر مهاجمة صور لتخليصها من سلطة فيلانجيري ، فأقاموا معسكرهم إلى الشمال من قرية ايمبرت (٤) على مسافة نحو اثني عشر ميلاً من صور ، فجاء إلى المعسكر بطريرك أنطاكية(ألبرت راتزاتو) الذي تقرر تعيينه مندوباً بابوياً في الشرق ، وقد جاء للتوسط بين المتنازعين، فزار صور و سمع ما عرضه فيلانجيري من شروط جديدة ، لكن يوحنا طلب عرض هذه الشروط على المحكمة العليا في عكا ، و ركب يوحنا مع بطريرك أنطاكية راجعين إلى عكا ، و اتخذ حرساً كبيراً لمرافقته ضم معظم رجال الجيش.

و حدث في أواخر ليلة ٦٢٩هـ/٢أيار ١٢٣٢م أن خرج فيلانجيري بكل قواته من صور ، بعد أن علم برحيل يوحنا ،و انقض على المعسكر و أخذ منه غنائم كثيرة من الخيول و الأسلحة ، و سقط معظم رجال الحامية أسرى فساقهم إلى صور (٥).

و يذكر صاحب تاريخ هرقل أن حرس المعسكر كانت تحت قيادة جون دي إبلين ، و متمركز في الجانب الخطأ من المعسكر أي في الجانب المتجه إلى عكا ، وليس نحو صور ، هذا بالإضافة إلى أن جميع الحراسّ كانوا نياماً في خيامهم (٦).

---

(١)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه، ١٤٥/٣١-١٤٦.المصدر نفسه،ص٢٧٠، هامش١٧٦. ف.هايد،المرجع نفسه،٣٤٦/١.

(٢)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه، ١٤٦/٣٤. المصدر نفسه،ص٢٧٠، هامش١٧٧. ف.هايد،، المرجع نفسه،٣٤٦/١. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٤٩/٣. عادل زيتون، المرجع نفسه،ص١٤٨. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع نفسه،١٠١٩/٢.

(٣)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٣٩/٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٧٠ هامش ١٧٨.

(٥)المصدر نفسه،١٤٧/٣٤-١٤٨. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٤٩/٣.

(٦)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،٢٧١/٣٤ هامش١٨٢.

و لم يحاول فيلانجيري أن يمضي في انتصاره نحو عكا بل تراجع إلى صور بكل ما حـــازه مـــن غنيمة ، ثم غادر إلى قبرص لإمداد نائبه (بارليس) في حصار قلاع الإبلينيين ، مما دفع الملـــك هنري إلى أخذ سفن اللمباردين الراسية في عكا و تعدادها ١٣سفينة ، أما ما بقي منها فقـــد غادرت إلى صور (١) .

غادر فيلانجيري إلى قبرص و ضرب حصاراً على قلاع الإبلينيين فيها مما دفع يوحنـــا إبلـــين و الملك هنري للقدوم إلى جزيرة قبرص لتخليص قلاعهم من يد فيلانجيري ، و قد دارت معارك عديدة بين الطرفين ، كانت خلالها صور مركزاً لقوات فيلانجيري تمده بالقوات و المؤن ليتمكن من استمرار حصاره لقلاع الإبلينيين في قبرص .

و لكن بعد معركة كيرينيا في ٦٣٠هـ/نيسان ١٢٣٣م و خسارة فيلانجيري فيها ، تقرر السماح لقواته بمغادرة الجزيرة و الالتجاء إلى صور بكل أمتعتهم الشخصية ، أما الأسرى الذين كانوا في حوزة الإبلينين فتم تبادلهم مع الأسرى الذين وقعوا في قبضة فـــيلانجيري في ايمـــبرت و كـــان عددهم ٥٠ أسيراً.

صحيح أن فيلانجيري خسر جزيرة قبرص التي عادت بحكمها إلى الملك هنري إلا أنه كان يمتلك مدينة صور في بر الشام (٢) ، و مازال فردريك من الناحية القانونية ملكاً على بيت المقـــدس نيابة عن ابنه الصغير كونراد .

علم الإمبراطور بالأخبار السيئة في الشرق و لا ندري هل كان يملك الفرصة للقدوم إلى سورية أم أنه لم يرغب في ذلك ؟

غير أنه أرسل أسقف صيدا إلى البارونات مع رسائل عارضاً فيها تعيين وكيلاً لهم من بارونات البلد في عكا، على أن يكون رتشارد فيلانجيري في صور (٣) ، لكن البارونات قابلوا عرضـــه بالرفض لأن من اختاره ليكون نائباً ، و هو فيليب موغاستيل لم يكن يصلح لهذا المنصب ، عدا علاقته الجيدة مع فيلانجيري(٤).

---

(١)كان السبب في أخذ هنري لأسطول اللمبارديين في عكا أن فيلانجيري غادر صور و حاصر أخت هنري في أحـــد قلاع جزيرة قبرص ، لذلك أخذ السفن ليذهب بها إلى قبرص لتفريج عن أخته .فيليب دي نوفار،المصـــدر نفســـه، ١٥٣/٣٤.

(٢)المصدر نفسه،١٧٣/٢٤. المصدر نفسه، الملحق الثالث، ص٢١٦. المصدر نفسه، الملحق الثاني،ص٢٠٠. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٥٥/٣. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١٠٢٠/٢.

(٣)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٦٨/٣٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٥٦/٣.

(٤)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٦٩/٣٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٥٥/٣-٣٥٧.

و يبدو أنها كانت محاولة مخلصة من قبل الإمبراطور للوصول إلى صلح مع البارونات السوريين الذين تمسكوا بإخلاصهم للإمبراطور و ابنه ، لكنهم عارضوا تجاوزات فـيلانجيري ، فاعتقـد الإمبراطور أنه بتعيينه لواحد من البارونات من أسرة محلية جيدة وكيلاً مشتركاً مع فـيلانجيري سيزيل بعض أسباب الشكوى لدى البارونات و سيقوي من وضعه(١).

رفض البارونات وكالة (موغوستيل) و أعادوا انتخاب يوحنا إبلين عميداً لقومون عكـا ، و أضحى الحاكم الفعلي للملكة باستثناء القدس و صور التي تولى فـيلانجيري حكمهـا باسـم الإمبراطور(٢) ، أما القدس فقد خضعت حكومتها لممثل من قبل الإمبراطور مباشرة .

و أرسل البارونات مبعوثين إلى البابا في روما ليشرحوا له ما قاموا به من أعمال ، لكن البابـا كان لا يزال على علاقات ودية مع الإمبراطور ، و كان حريصاً على أن يعيد لفردريك السلطة في الشرق ، فأرسل في سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م رئيس أساقفة رافنا إلى عكا ليكون مندوباً بابويـاً ، فأوصى رئيس الأساقفة بضرورة إطاعة سلطة فيلانجيري التي لم تحظَ بالقبول (٣) .

ثم كتب البابا إلى فردريك و البارونات في ٦٣٣هـ/شباط١٢٣٦م يخطرهم أنه لا بد مـن قبـول فيلانجيري نائباً للإمبراطور ، على أن يسانده (أودو مونتبليارد) و نظراً لأن فردريك و ابنه هما الحاكمان الشرعيان لمملكة بيت المقدس فإن تصرف البارونات كان خطئاً .

و قد قرر البابا في هذه الرسالة العفو عن كل البارونات باستثناء الإبلينيين الذين ينبغي مثـولهم أمام المحكمة العليا ،و ينبغي حل قومون عكا (٤) .

هذه الشروط لم تلقَ القبول من البارونات و قومون عكا ، و في هذه اللحظة الحرجـة مـات يوحنا إبلين الذي أسهم بشكل كبير في توطيد مركز البارونات ،بعقد تحالف بينـهم و بـين قومون عكا ، و جعل لهم سياسة مشتركة تستند إلى حقوقهم الشرعية .

على أن أقوى البارونات كان فيليب مونتفرات(٥) سيد أقطاع تبنين ، وباليان إبلين سيد

---

(١)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه، ٢٨٢ هامش ٢٤٢.

(٢)المصدر نفسه، ١٧٣/٣٤.

(٣)المصدر نفسه، ص٢٨٤ هامش٢٨٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٥٧/٣.

(٤)المصدر نفسه، ١٧٣/٣٤-١٧٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٥٨/٣.

(٥)فيليب مونتفرات: ابن هيلفيس إبلين من زوجها الثاني جاي مونتفرات الذي أتى مع زوجته سيمون إلى الشـرق سنة٥٩٣هـ/ ١١٩٧م، و قد تزوج من ماريا الأميرة الأرمنية ابنة ريموند روبين التي ورثت إقطاع تبنين عن جدة أمها.

Gurusader Syria in the thirteenth century the Rothelin . coontinuation of the History of William of T yre wi the part of the Eracles or Acre test. Iranstated By: Janet shirley . p. 129 nargin2

•فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،٢٨٦ هامش ٢٤٩.

بيروت ،لكنهما لم يستطيعا الحد من النزاعات الداخلية التي اشتدت بعد موت يوحنا إبلين و أدت إلى مشكلات عديدة .

و في وسط هذه الاضطرابات انتهى أمد المعاهدة التي انعقدت بين فردريك الثاني و الكامل ، فتأهبت جماعة من نخبة نبلاء فرنسة للإبحار إلى الشرق ، و كان على رأس هذه الجماعة تيبالد كونت شامبانيا و ملك نافار ، وصل تيبالد إلى عكا في ٦٣٦هـ/أيلول ١٢٣٩م، و حشد جيشاً من ألف فارس ، و انعقد مجلس البارونات ليقرر كيفية الإفادة من هذا الجيش على خير وجه . و كانت الفرصة قد سنحت للقيام بحملة عامة حيث نشبت منازعات بين ذرية الكامل (١) . و قرر تيبالد مهاجمة المعقلين المصريين عسقلان و غزة ، ثم يتوجه لمهاجمة دمشق بعد تأمين الطرف الجنوبي.

خرجت الحملة من عكا قاصدة الحدود المصرية ، و استطاعت الاستيلاء على قافلة عربية كانت تتجه إلى دمشق ، إلا أنها منيت بهزيمة نكراء في غزة (٢) .

فاتجه الصالح إسماعيل صاحب دمشق إلى عرض تحالف مع الفرنجة لتخوفه من الصالح أيوب صاحب مصر ، فإذا تكفل الفرنج بحراسة الطرف المصري عند الساحل و أمدوه بالأسلحة فإنه سوف يتنازل لهم عن حصني هونين و صفد ، و تولت الداوية عقد المفاوضات بين الطرفين و كانت قد نالت مكافأة على صنيعها بأن تملكت حصن صفد (٣) .

و إذا كانت كراهية الإمبراطور فردريك الثاني أدت إلى عقد تحالف بين الاستبارية و الداوية في الاثني عشر سنة الأخيرة إلا أن حيازة الداوية لحصن صفد كانت أكبر من أن يتحملها الاستبارية ، فعارضوا الاتفاق مع الصالح إسماعيل و اتجهوا لعقد تحالف مع الصالح أيوب مدعومين من قبل تيبالد الذي ساند الاستبارية بعد هزيمته في غزة .

و كانت نتيجة الاتفاق مع الصالح أيوب : إطلاق سراح الأسرى الذين وقعوا في يده في غزة ،

---

(١)استطاع الكامل أن يعيد الوحدة بين القاهرة و دمشق قبل وفاته بمدة يسيرة ، لكن بعد وفاته ٦٣٥هـ/١٢٣٨م عادت المنازعات بين أبناءه ، فكان يحكم دمشق أخيه الصالح إسماعيل ، بينما استلم حكم مصر ابنه الصالح أيوب . المقريزي، السلوك ، المصدر نفسه،ج١. قسم ٢٨٥/٢. محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين المرجع نفسه، ص٣٢٨. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٦٨/٣-٣٦٩.

(٢) **The Erecles. Op. Cit. 123.**

(٣)ابن واصل ، المصدر نفسه،٣٠١/٥-٣٠٢.المقريزي، السلوك ، المصدر نفسه، ج١ قسم٢٩٩/٢. محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين، المرجع نفسه، ص٣٧٠. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه، ٣٧٨/٣.
The Erecles.op. cit. P. 127.

و أن يكون للفرنجة الحق في أخذ عسقلان و تحصينها (١).
وقع تيبالد الاتفاق و غادر عكا في٦٣٧ هـ/نهاية أيلول ١٢٤٠م ، و لم يمضِ على رحيله إلا بضعة أيام حتى وصل إلى عكا (رتشارد ايرل كورنوول) في ٦٣٧ هـ/١١ تشرين الأول١٢٤٠م ، و هو شقيق هنري الثالث ملك إنكلترة ، و كانت أخته المتوفاة زوجة الإمبراطور فردريك الثاني الذي منح رتشارد سلطات واسعة في مملكة القدس .
و قد ارتاع رتشارد لما شهده عند وصوله من الفوضى ، إذ نشب بين الداوية و الاسبتارية حرب صريحة ، فساند الداوية البارونات المحليين ، بينما التمس الاسبتارية مساندة فيلانجيري في صور.
و أقام رتشارد في فلسطين حتى شهر أيار سنة ٦٣٨ هـ/١٢٤١ م(٢) و سلك في عمله سبيل الحكمة ، و استطاع أن يظفر برضا الناس ، على أن الأمن و النظام الذي وطّده رتشارد لم يستمر طويلاً بعد رحيله ، حيث تصرفت الطوائف الدينية العسكرية على أنها جمهوريات مستقلة ، و تولى حكم عكا قومون لم يكن بوسعه أن يمنع الداوية و الاستبارية من القتال في الشوارع والأحياء ، و لزم البارونات أقطاعاتهم يحكمونها كيفما شاءوا .
و وجد فيلانجيري أن الفوضى حافلة بالأمل ،إذ كان على اتصال مع الاستبارية في عكا ، كما أنه كسب ود اثنين من برجاسية (٣) عكا و هما (جون فالين) و (وليم دي كونشي) اللذين كان لهما تأثير قوي على شعب عكا ، فاستغل فيلانجيري خلوا المدينة من حزب الإبلينيين و دخلها بمساعدة فرسان الاستبارية في ربيع سنة٦٤٠ هـ/١٢٤٣ م و استعد لاستلام الحكم فيها .
و حين علم فيليب مونتفرات بذلك حذر قومون عكا ، و جاليتي البنادقة و الجنوية ، فألقى موظفوهم القبض على (يوحنا فالين) و (وليم دي كونشي)، و تولوا حراسة الشوارع ، و أرسلوا إلى صاحب بيروت بالين إبلين ،و عندما علم فيلانجيري بقدومه غادر عكا متخفياً إلى مقره في صور (٤) .

---

(١)المقريزي، السلوك، المصدر نفسه، ج١ قسم٢/٣٠٥. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣/٣٧٩.
The Erecles. Op. Cit. P. 123-127.
(٢) **The Eracles. Op. Cit. P. 128-129** ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣/٣٨٢-٣٨٣.
(٣)برجاسية: أي من جمهورية البندقية و جنوة. فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،ملحق٤ ص٢٢٠. المصدر نفسه، ٢٨٨ هامش٢٦٠.
(٤)المصدر نفسه،١٧٦/٣٤. المصدر نفسه، ملحق ٤ ص٢١٨. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣/٣٨٥.

د- عودة صور إلى سلطة البارونات في المملكة :

بلغ كونراد ابن الإمبراطور فردريك الثاني و الملكة يولندا السن القانونية في ٦٤٠هـ/نيسان١٢٤٣م و أضحى من واجبه القدوم إلى عكا ، لكن كونراد أرسل نائبه توماس أوف أسيرا .

عندئذ وجد البارونات أن من واجبهم القانوني أن يرشحوا الوريث التالي ليكون وصياً على المملكة ، و لم يكن هذا الوريث سوى (أليس)(١) ملكة قبرص و خالة أمه ، فدعا (باالين إبلين) و فيليب مونتفرات إلى عقد مجلس في عكا في قصر البطريرك في ٦٤٠هـ/٥تموز١٢٤٣م. و قام بتمثيل الكنيسة (بطرس سارجنيس) رئيس أساقفة صور ، و تولى (فيليب نوفار) شرح الوضع القانوني ، و أوصى بعدم الولاء للملك كونراد ما لم يقدم ليتلقاه بنفسه ، و أنه ينبغي أن يعهد بالوصاية ، حتى يقدم إلى أليس و زوجها ، و تضمنت مذكرته الإيضاحات التالية :

((طالما أن أكثر الناس شرعية في وراثة السلطة هو الأكثر ظهوراً ، و يتسلم هذا الميراث السلطوي بحق حتى يأتي واحدٌ أكثر شرعية منه بوراثة السلطة ....، و صحيح أن الملك كونراد منحدر من الأخت الكبرى ، وأنه لو كان حاضراً لاستحق الميراث ، لكن حتى يقدم أليس هي الوريث الشرعي الأكثر ظهوراً ، لذلك على الملكة أليس أن تطالب بمملكة القدس بموجب الحق المبين أعلاه)) (٢).

و نتيجة لهذه الشروحات التي قدمها فيليب نوفار حلف المجلس يمين الولاء لأليس و زوجها رالف كونت سوا سون(٣) و تسلمت السلطة في المملكة بصفة رسمية (٤) .

هذا القرار نزع من فيلانجيري كل سلطة ، و حين عُين (توماس أوف أسيرا) بادر الإمبراطور إلى استدعاء نائبه إلى إيطالية ، فغادر فيلانجيري في عام ٦٤٠ هـ/٥حزيران ١٢٤٣م إلى أبولية بعد أن عهد بحكومة مدينة صور إلى أخيه لوثير(٥).

---

(١)أليس: حفيدة الملك عموري الأول تزوجت هيوج صاحب قبرص ، ثم تزوجت بوهمند الخامس صاحب أنطاكية ، ثم رالف كونت سواسون ، و هي أخت ماريا بنت جون أوف بيروت و خالة يولندا زوجة فردريك الثاني ، ماتت سنة١٢٤٦م. **The Eracles.op.cit.p.127. margin5**

(٢) **The Eracles.op.cit.p. 127-128** فيليب دي نوفار، المصدر نفسه، ١٧٩/٣٤.

(٣)رالف سواسون: من فرنسة أخ كونت سواسون ، قدم إلى الشرق بصحبة الملك تيبالد عام ١٢٣٩م، و قد تزوج من أليس التي تكبره بعدة سنوات. **The Eracles.op.cit.p.127**

(٤) **The Eracles.op.cit.p.128** فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٧٨/٣٤. المصدر نفسه، ص٢٨٨هامش ٢٥٨. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٨٦/٣.

(٥)**The Eracles.op.cit.p.1**ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٨٧/٣.

و طالب قومون عكا لوثير بتسليم صور إلى أليس و زوجها في ٩حزيران ، لكن لوثير رفض تسليمها ، فقرر صاحب بيروت باليان إبلين محاصرة المدينة مستنداً إلى عدة تبريرات :

أولاً: كراهية سكان صور اللمبارديين كراهية كبيرة ،حيث جاء أربعة منهم إلى باليان إبلين في بيروت ، و عرضوا عليه تسليم صور ، و أعدوا معه الترتيبات اللازمة (١) .

ثانياً: قدم فيليب نوفار التسويغ القانوني الذي ينص على أن تطالب أليس بعد وصولها إلى السلطة ((بصور و إذا لم تسلم إليها ، أو لم تخضع لأوامرها ، تقوم بموجب الاتفاق المعقود مع أهل المدينة بالاستيلاء على صور بحق شرعي كامل)) (٢).

ثالثاً : توفر القوة البحرية لدى البارونات المتمثلة بالجنويين و البنادقة الذين خرجوا من موقف الترقب ،وعقدوا مع جنوة معاهدة تحالف هجومية دفاعية موجهة بنوع خاص ضد الإمبراطور في العام٦٣٥هـ/١٢٣٨م، و رداً على إعلان الحرب هذه عامل فيلانجيري البنادقة في صور معاملة الأعداء ، فصادر أموالهم ،و إيراداتهم في داخل المدينة و ضواحيها .

لذلك وضع وكيل جمهورية البندقية في بلاد الشام (مارسيلو جورجيو) سفينة حربية تحت تصرف الوصية أليس ، و اشترك بنفسه بحملة مكونة من ثلاثين رجلاً مسلحاً ، و سلك طريق البر لمساعدة البارونات والملكة بإعادة أملاك البنادقة في صور (٣) .

و فعلاً زحف البارونات مع البنادقة و الجنوية على المدينة ، و استطاعوا في ١٢حزيران دخولها من الباب الخلفي (باب الجزارين) (٤) بمساعدة السكان في صور ، فاحتلوا دور الاستبارية و الفرسان التيوتون ، و أصبحت المدينة في قبضتهم باستثناء القلعة التي لجأ إليها (لوثير) و كانت حصناً منيعاً ، و ظل أنصار الإمبراطور يقاتلون عنها أربعة أسابيع ، و في أثناء ذلك جنحت سفينة فيلانجيري ، فساقته الأحوال الجوية السيئة إلى سواحل صور .

و حين هبط إلى مينائها ألقي القبض عليه ، و حُمل مكبلاً إلى أبواب القلعة و هدد البارونات بقتله ، عندئذ استسلم (لوثير) بشروط اقتضت :سفر الأخوين مع حاشيتهما .

و تولى فيليب في ٢٨حزيران(٥) استلام القلعة من الأخوين ، فغادر (لوثير) إلى طرابلس ، أما

---

(١)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه، ١٤٧/٣٤. المصدر نفسه، ١٧٨/٣٤-١٧٩.

(٢)المصدر نفسه،١٨٠/٣٤. المصدر نفسه، ملحق٢١٨/٤.

(٣)المصدر نفسه، ١٨١/٣٤. المصدر نفسه، ملحق ٢١٩/٤. ف.هايد، المرجع نفسه، ٣٤٦/١-٣٤٧. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١٠٤٢/٢.

(٤)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٨٢/٣٤-١٨٣. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه،٣٨٧/٣.

(٥)المصدر نفسه،١٣/ملحق٢٢٠/٤.

فيلانجيري فقد عاد إلى إيطالية(١).

و توقع رالف كونت سواسون أن السيطرة على مدينة صور سوف تكون للوصيين غير أن فيليب مونتفرات أراد أن تكون صور من نصيبه ، حتى يتيسر له تسوية حدود إقطاعية تبنين ، و سانده أل إبلين في ذلك(٢)، فأدرك رالف أنه سيكون سيداً اسمياً لذلك غادر الأرض المقدسة ، و عاد إلى فرنسة ، أما أليس فظلت وصية حتى ماتت سنة٦٤٤هـ/١٢٤٦م.

و هكذا فإن الأزمة التي عانى منها الصليبيون في بلاد الشام كانت تتمثل بعدم وجود زعامة قوية ترعى أمورهم ، و تحافظ على كيانهم ، زاد في اضطرابهم عودة بيت المقدس إلى السيطرة الإسلامية بعد أن فتحها الخوارزمية(٣) في ٣صفر٦٤٢هـ/١١تموز١٢٤٤م (٤) .

مما دفع الصليبيين إلى إرسال سفارة إلى الغرب الأوربي لطلب المساعدة ، و تلبية لندائهم كانت الحملة الصليبية السابعة (٦٤٦-٦٤٨هـ/١٢٤٨-١٢٥٠م) بقيادة ملك فرنسة لويس التاسع ، إلا أن الحملة لم تحقق أهدافها ، و انتهت بأسر الملك الذي فدى نفسه بمبلغ كبير ، و تسليم الأسرى و مدينة دمياط إلى المماليك(٥) على أن يستمر الصلح عشر سنوات .

---

(١) فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٨٦/٣٤-١٨٨. المصدر نفسه،ملحق٢٠٢/٢ The Eracles.op.cit.p.131-132

(٢)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،ملحق٢٢٣/٤. The Eracles.op.cit.p129-130 ،ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣٨٨/٣-٣٨٩.

(٣)ينتسب الخوارزميون إلى أنوشتكين أحد الأتراك في بلاد السلطان ملكشاه، اشتهر ابنه محمد بالعلم و الأدب فعينه أحد قادة السلطان بركياروق حاكماً على إقليم خوارزم و لقبه خوارزم شاه. النسوي،سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق: حافظ أحمد حمدي. مصر،١٩٥٣م. عطا ملك الجويني،تاريخ فاتح العالم جهانكشاري،مراجعة: محمد ألتونجي ، مجلد أول ١٩٨٥م. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: محمد ضياء الريس ، مصر،١٩٩٣م، ٣٠٥/٢٩. The Eracles.op.cit.p 132 ، صبري سليم، الأتراك الخوارزميون في الشرق الأدنى، القاهرة، ٢٠٠٠م،ص١٣-١٨.

(٤)النويري، المصدر نفسه،٣٠٦/٢٩. المقريزي، السلوك، المصدر نفسه، ٤١٩/١-٤٢٠. ابن واصل، المصدر نفسه، ٣٣٦/٥. The Eracles.op.cit.p.133-134 ، صبري سليم، المرجع نفسه، ص١٠٤. محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين، المرجع نفسه، ص٣٥٩. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١٠٤٥/٢.

(٥)ازدادت أعداد المماليك خلال مدة الصراع على السلطة بين أبناء صلاح الدين ، و كان يتم شرائهم من بلاد ما وراء النهر و بلاد القفجاق ، على أن السلطان نجم الدين أيوب ٦٣٨-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م بالغ في شرائهم حتى أضحى معظم جيشه منهم ، و أسكنهم في جزيرة الروضة على نهر النيل ، فعروفوا باسم المماليك البحرية. النويري، المصدر نفسه،٤١٤/٢٩-٤١٧. المقريزي، المصدر نفسه،٤٦٣/١. ابن تغري بردى، المصدر نفسه، ٣/٧. محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر والشام ، بيروت ط١ ، ١٩٩٧م، ص١٥-٣٣.

عاد لويس إلى عكا ، و بقي فيها أربع سنوات سعى خلالها إلى تدعيم مركز الصليبيين في بلاد الشام و تصفية ما بينهم من خلافات بالإضافة إلى تحصينه كافة مدن الساحل ، فلم يغادر صور إلا بعد أن أشرف بنفسه على بناء تحصيناها و أسوارها (١).

٥_ الصراع بين جاليات دول إيطالية التجارية :

ما أن غادر لويس التاسع عكا في ٦٥٢هـ/نيسان١٢٥٤م حتى عادت المنازعات بين الأمراء الصليبيين ، و التجار الإيطاليين و المنازعات العسكرية إلى سابق عهدها ، و كان أبرزها على الإطلاق الحرب بين جاليات دول إيطالية التجارية بيزة و جنوة و البندقية ،التي استمرت قرابة العشرين عاماً .

و انعكست بشكل مباشر على مدينتي صوروعكا اللتين كانتا مسرح هذا الصراع ، فقد بدأت الحرب بين البيازنة و الجنوية في ذي الحجة٦٤٦هـ/أذار١٢٤٩م،و شملت الساحل السوري ، ثم حدث الاشتباك بين البنادقة و الجنوية في ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، و بسبب الاهتمام بحملة لويس التاسع على مصر لم تستمر طويلاً، لكنها عادت إلى الظهور و ازدادت عنفاً و اتساعاً سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦ م ، فاحتد الخلاف بين جنوة و البندقية حول دير القديس سابا (St Sabas)(٢) المشرف على ميناء عكا و الواقع على التل الذي يفصل بين حي الجنوية و حي البنادقة في المدينة ، فاحتله الجنوية و استولوا على السفن البندقية الراسية في الميناء ، و تدخل فيليب مونتفرات صاحب تبنين و صور إلى جانب الجنوية الذين شجعوه على طرد البنادقة من ثلث مدينة صور(٣).

و بلغ حقد البنادقة ذروته ، فتدخلت حكومة جنوة لعقد الصلح بين المتنازعين ، لكن البنادقة رفضوا عقد الصلح ، فكان السلاح هو الوسيلة الوحيدة الكفيلة بالفصل النهائي.

ففي عام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م تقرب البنادقة إلى البيازنة و أقنعوهم بالتخلي عن تحالفهم مع جنوة ، و استطاع قنصل البندقية (ماركو جستنياني)أن يكسب في عكا حلفاء أقوياء منهم يوحنا

---

(١)النويري، المصدر نفسه،٣٦٣/٢٩. المقريزي، المصدر نفسه، ٤٦٠/١. ابن تغري بردى، المصدر نفسه، ٣٢٦/٦-٣٢٧. سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه،٧٧٢/٨-٧٧٣. محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين، المرجع نفسه، ص٣٨٩. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه، ٣٨٥/٣ . سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية ، المرجع نفسه، ١٠٩٤/٢.

(٢)ف.هايد ، المرجع نفسه ،٣٤٦/١، سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، المرجع نفسه ،١١٠٦/٢. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٤٨٧/٣. حسن محمد عطية، المرجع نفسه، ص٣٩٧.

Rothelin.op. cit.p.117

(٣) **Rothelin.op. cit.p 116.**

ديبلان نائب ملك قبرص ، مما أدى إلى انقسام مدينة عكا إلى حزبين ، فوقف إلى جانب البنادقة بطريرك القدس ، و فرسان الداوية (الهيكل)، و فرسان التيتون ، و الجالية البروفانسية، و التجار البيازنة ، كما انزعجت النقابات في عكا من فيليب مونتفرات لجعله من صور منافساً تجارياً ، فبذلوا مساعدتهم للبنادقة(١) .

أما فرسان الاسبتارية و تجار قطلونية و فيليب مونتفرات صاحب صور و تبنين فقد كانوا إلى جانب الجنوية .

و تحولت عكا إلى ساحة حرب في البر والبحر ، فاستنجد بطريرك بيت المقدس (جيمس بانتاليون) ببابا روما ألكسندر الرابع كيما يتخذ إجراء في إيطالية للحد من هذه الحرب ، فدعا البابا مندوبين عن الجمهوريات الإيطالية الثلاث لحضور بلاطه في (فيتربو) ، و أمر بعقد هدنة مباشرة ، و أصدر أوامره لأطراف النزاع بوقف القتال في خلال ثلاثة أيام.

و نتيجة لهذا القرار توجه إلى سورية على سفينة جنوية مندوبان مفوضان من قبل كل من البندقية و بيزة، بينما استقل سفينة بندقية مندوبان من جنوة ليقوموا بتسوية المشكلات بأجمعها ارتحل المندوبون في ٣رجب ٦٥٦هـ/حزيران١٢٥٨م لكنهم علموا أثناء الرحلة أنهم جاؤوا متأخرين ، إذ أن جمهورية جنوة أرسلت أسطولاً بقيادة (روسو ديللاتوركا) وصل إلى ميناء صور في ٦٥٦هـ/تموز ١٢٥٨م .

و في ٢٠جمادى الثاني ٦٥٦هـ/٢٤ تموز ١٢٥٨م أبحر الأسطول الجنوي المؤلف من ثمان وأربعين سفينة متجهاً إلى عكا بينما اتخذ فيليب مونتفرات مع عسكره الوجهة ذاتها عن طريق البر(٢).

أما الأسطول البندقي فقد تألف من ثمان وثلاثين سفينة بقيادة (لورنز تبيبولو) و (اندر يازينو) و دارت معركة ضارية بين الطرفين تجاه عكا ، فأثبت قائد الأسطول البندقي براعته بتدبير الخطط الحربية.

و فَقَد الجنويون بعد قتال عنيف أربعاً و عشرين سفينة ، و ألفاً و سبعمائة رجل ، و انسحبوا دون نظام ، و ساعدت رياح الجنوب من فر منهم على العودة إلى صور ، كما استطاعت قوات عكا المحلية إيقاف زحف فيليب مونتفرات ، و تعرض الحي الجنوي داخل المدينة للغارة و النهب.

---

(١) Rothelin.op.cit.p.115 ف.هايد، المرجع نفسه،٣/٣٥٠ . سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية ، المرجع نفسه،٢/١١٠٧. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٤٨٨/٣.

(٢) Rothelin.op.cit.p.117 ف.هايد، المرجع نفسه،٣/٣٥١. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع نفسه،٢/١١٠٩.حسين محمد عطية، المرجع نفسه، ص٣٩٨-٣٩٩.

و بعد أن هُزم الجنويين قرروا الجلاء نهائياً عن عكا ، و اتخذوا من صور مستقراً لهم ، و هكذا انقسمت مملكة بيت المقدس الصليبية إلى شطرين متعادين : عكا و يسيطر عليها البنادقة ، و صور و يسيطر عليها الجنوية(١).

و في جمادى الأولى ٦٥٧هـ/نيسان ١٢٥٩م أرسل البابا أنوست الرابع إلى الشرق مندوباً عنه (توماس أجيني لنتينو) أسقف بيت لحم ، و طلب منه تسوية ما حصل من نزاع بين الجاليات الإيطالية.

و أخيراً في ٦٥٩هـ/كانون الثاني ١٢٦١م نجح توماس في استقدام الخصوم أمام مجلس مكون من الأعيان الكنسيين و العلمانيين في المملكة ، فناشد الجنويون رسول البابا أن يسلم إليهم طبقاً لتعليمات البابا الحصون و الأبراج التي كانت لهم في إقليم سورية و احتلها البيازنة و البنادقة . لكن حاكم جالية البندقية و قنصل البيازنة أخذ يسوفان منتحلين أوهى الأعذار لتنفيذ ما طلب منهما ، وبذلك خرج الجنوية من عكا نهائياً ، فقربهم فيليب مونتفرات إليه ، و ضمهم إلى مدينة صور بمعاهدة تحالف هجومية دفاعية.

و بمقتضى هذه الاتفاقية أصبحت صور ليست فقط مقراً لقناصلهم في سورية ، بل المرفأ الوحيد الذي يتزود بالبضائع عن طريق أساطيلهم التجارية ، و هو لم يكتفِ بالتصديق على حقهم في ثلث إيرادات الميناء لكنه منحهم جزءاً من الضرائب المفروضة على البضائع التي تمر بصور مروراً عابراً لتصدر إلى الغرب .

و أعطى ربابنة السفن و التجار الجنويين جزء من كل ضريبة مفروضة عند الوصول أو الرحيل، و خفض رسم الإنتاج على المبيعات و المشتريات(٢).

و استمرت الحروب بين الجاليات الإيطالية ففي عام ٦٦٢هـ/١٢٦٤م حاول الأمير البندقي (اندريه باروتشيو) بمساعدة بنادقة عكا الاستيلاء على صور إلا أن سكان المدينة و فيليب مونتفرات أحبطوا محاولته تلك(٣).

---

(١) Rothelin.op. cit .p. 117. ف.هايد ، المرجع نفسه، ٣٥٣/١. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية. المرجع نفسه ، ١١٠٩/٢-١١١٠. ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه ، ٤٩٢/٣. حسين عطية ، المرجع نفسه ، ص٣٩٩.

(٢)ف. هايد، المرجع نفسه، ٣٥٤/١-٣٥٥. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٤٩٣/٣.

(٣)ف. هايد ، المرجع نفسه،٣٥٦/١. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١١١٠/٢-١١١١.

و في ذي الحجة ٦٦٥هـ/١٦ آب ١٢٦٧م تجدد القتال بين الجنوية و البنادقة ، فحين أتى أسطول جنوي إلى ميناء عكا بقيادة (كيشتو جريمالدي) استولى على ميناء المدينة و أجبر السفن التي كانت تريد الدخول إليه على أن تتجه إلى صور ، و لم يترك سفينة دون أن يطاردها و يقضي عليها أو يحرقها، ثم توجه إلى صور بعد اثني عشرة يوماً في خمس عشرة سفينة لإصلاحها ، و في أثناء غيابه ظهر أسطول مؤلف من ست و عشرين سفينة بقيادة (ياكويودا ندولو) هاجم ما تبقى من السفن الجنوية ، ففقد الجنويون خمس عشرة سفينة في المعركة ، بينما شقت السفن الأخرى طريقها إلى صور .

و لم ينته هذا الصراع الشرس بين البنادقة و الجنوية و الذي كان شراً وبيلاً على مدينتي صور و عكا إلا في العام ٦٦٨هـ/١٢٧٠م بعقد هدنة طويلة الأمد(١).

و إذا نظرنا إلى نتائج الحروب الإيطالية في بلاد الشام وجدنا أنها بذرت بذور الخلاف بين كل الطوائف الصليبية في المنطقة ، فبدلاً من أن تدعم الجاليات الإيطالية المملكة الصليبية في الشرق فأنها مزقتها بسبب المنافسة و المصالح الشخصية المتضاربة ، و أوقعت بها أضراراً جسيمة ، فيذكر روثلان في كتابه أنه قتل ما يقارب من عشرين ألف شخص ، و حرق ثمانين سفينة في ميناء عكا خلال هذه الحرب التي تحدثنا عنها ،و هي أضراراً لم يكن بإمكان المسلمين أنفسهم أن يوقعوها بالمملكة الصليبية ، بسبب انشغالهم بصراعاتهم الداخلية ، و هجوم المغول على بلاد الشام .

ثانياً: تحرر صور ١٨جمادى الأولى ٦٩٠هـ/ ١٨ أيار ١٢٩١م:

أ- صور في ظل حكم فيليب مونتفرات :

ساءت أوضاع الصليبيين في مملكة القدس الثانية بسبب حروبهم الداخلية ، و نزاعات دول إيطالية التجارية التي حولت المدن الساحلية خاصة صور و عكا إلى ساحة دمار و خراب(٢) .

و قد حاول بابا روما أنوسنت الرابع و ملك فرنسة لويس التاسع البحث عن حليف فراسلوا خان المغول الأعظم(كيوك) في منغولية،و عرضوا عليه اعتناق الدين المسيحي و المساهمة في إنقاذ العالم المسيحي في الشرق الأدنى ، و جاءت نتائج هذه المباحثات مخيبة لآمال أوربة ، فالهدف

---

(١)ف. هايد، المرجع نفسه، ٣٥٧/١.عزمي أبو عليان ، المرجع نفسه،ص٤٨. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٥٥٥/٣. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١١٤٨/٢.

(٢) Rothlein .op.cit.p.117. حسين عطية، المرجع نفسه، ص٤٠١.

الأساسي لخان المغول هو اجتياح العالم لتأسيس إمبراطورية واسعة (١).

و مما ساعد على إضعاف القوى الصليبية في الشرق ظهور المماليك على مسرح الأحداث ، و إنزالهم هزيمة ساحقة بالقوات المغولية في معركة عين جالوت ٢٦ رمضان ٦٥٨هـ/ ٣ أيلول ١٢٦٠م(٢).

و في نهاية المعركة و أثناء عودة الجيش المصري إلى القاهرة أقدم بيبرس على قتل السلطان قطز و استلام زعامة المماليك ، و بعد أن وطد حكمه بالتخلص من زعماء البيت الأيوبي استعد للإطاحة بالصليبيين جميعاً و اتسمت سياسة بيبرس نحو الصليبيين في بلاد الشام بطابع العنف و القسوة .

و كانت في مرحلتها الأولى على شكل مناوشات محلية عسكرية تخللها بعض المهادنات ، و كانت حركاته وقتئذ تدل على أنه كان يتفقد قواته و يوزعها توزيعاً استراتيجياً خاصاً ، و يفهم من كلام المقريزي أن بيبرس ذهب بنفسه إلى الشام في جمادى الأخرى ٦٦١هـ/ ٤ نيسان ١٢٦٣م ، و شن هجوماً مفاجئاً على عكا ، و قد دار قتال عنيف خارج أسوارها ، فاكتفى بيبرس بنهب القرى المحيطة بها ثم عاد إلى القدس ، لكنه لم يبدأ بهذا الهجوم إلا بعد اتفاقه مع فيليب مونتفرات في صور و الجنوية ، لكن فيليب و الجنوية عدلوا عن مشروعهم خشية إثارة الرأي العام المسيحي(٣).

و استغل بيبرس الأوضاع الداخلية السيئة لمملكة القدس ، و تمكنه من إلقاء القبض على الملك المغيث عمر صاحب الكرك ، و بدأ معاركه مع الصليبيين بمرحلة جديدة اتسمت بتنفيذ عمليات حربية واسعة النطاق ضد الإمارات الصليبية ، فأخذ قيسارية(٤) يوم الخميس

---

(١)عطا ملك الجويني، المصدر نفسه، ص٥٩-٦٠. عباس إقبال، تاريخ المغول ، تر:عبد الوهاب علوب، أبو ظبي، ٢٠٠٠م، ص٥٧. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٤٤٦/٣.

(٢)النويري، المصدر نفسه،٤٧٥/٢٩. ابن تغري بردى، المصدر نفسه،٧٣/٧. المقريزي، السلوك، المصدر نفسه،٤٨٢/١. أبي الفداء ، المختصر في أخبار البشر، المصدر نفسه،القسم ٢،ج١١٢/٦.

Rothelin.op.cit.p.118. عباس إقبال، المرجع نفسه، ص٢٠٩. فايد حماد عاشور. الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين و المغول في العصر المملوكي ، لبنان،ط١، ١٩٩٥م ، ص١١١.

(٣)المقريزي، المصدر نفسه،٥٥٤/١. ف.هايد، المرجع نفسه،٣٥٦/١. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٥٤٥/٣. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١١١١/٢.

(٤)ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، المصدر نفسه، ص٢٣١. المقريزي، المصدر نفسه، ١٩/٢. ابن تغري بردى، المصدر نفسه، ٥/٧. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية،المرجع نفسه،١١٤٥/٢، عزمي أبو عليان، المرجع نفسه،ص٣٥. فايد عاشور، المرجع نفسه،ص١٤٦ .محمد سهيل طقوش،تاريخ المماليك، المرجع نفسه،ص١٢١.

١٥جمادى الأولى ٦٦٣هـ/ ٤ آذار ١٢٦٥م، و أخذ أرسوف(١) في يوم الخميس ٨ رجب ٦٦٣هـ/ ٢٦ نيسان ١٢٦٥م، ثم فتح قلاع حلبا و عرقا و القليعات(٢).

ثم تجريد عدد من الأمراء على رأس قوات عسكرية للإغارة على العديد من المعاقل الصليبية على طول الساحل ((فوجه الأمير علاء الدين البندقداري ، و الأمير عز الدين أوغان إلى جهة صور ، فاجتازوا الجبال و قاسوا شدة لوعورتها ، ثم أغاروا على صور و غنموا كثيراً من الجمال و البقر والغنم ، و أسروا كمندور صاحب سيس(٣)، و معه نفران كانوا قد انحازوا إلى برج فأخذوا بالأمان ، كما أخذوا وزير صور ، و جماعة من الفرنج))(٤).

كانت هذه الغارة الأولى التي هددت مدينة صور ، لذلك أثناء حصار بيبرس لصفد يوم الاثنين ١٨ رمضان ٦٦٤هـ/ ١٣ حزيران ١٢٦٦م وفد عليه رسول أمير صور يطلب الموادعة و المهادنة ، لكن بيبرس زجره بسبب نكث فيليب مونتفرات لوعده بمساعدة بيبرس في حصار عكا ، بل قدم المساعدة للصليبيين بالإغارة على بانياس و قتل غلام السلطان (السابق شاهين) داخل إمارته(٥).

و تمكن السلطان بيبرس من فتح قلعة صفد (٦) القاعدة الاستراتيجية الخطيرة في بلاد الشام حيث كانت مركز الفرسان الداوية ، و لا شك أن هذا النصر قد أصاب الصليبيين بضربة قاسية ، و حطم معنوياتهم إلى حد كبير ، و خصوصاً معنويات فيليب مونتفرات لأن استيلاء

---

(١) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر،المصدر نفسه،ص٢٣٩. ابن تغري بردى،المصدر نفسه،٥/٧. عزمي أبو عليان، المرجع نفسه،ص ٣٧. فايد عاشور، المرجع نفسه،ص١٤٨.

(٢)ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، المصدر نفسه، ص٢٥١-٢٥٢. المقريزي، المصدر نفسه، ٣٣/٢. عزمي أبو عليان، المرجع نفسه، ص٣٨.

(٣)سيس:عاصمة أرمينية الصغرى من مدن الثغور الإسلامية بين أنطاكية و طرسوس على عين زربة. و هي اليوم في تركية . ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ٣٣٨/٣.

(٤)ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، المصدر نفسه، ص٢٥٣. المقريزي، المصدر نفسه، ٣٣/٢. ابن تغري بردى، المصدر نفسه،١٢٤/٧. اليونيني، ذيل مرآة الزمان، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م، ٣٣٧/٢. عزمي أبو عليان، المرجع نفسه، ص٣٩.

(٥)ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، المصدر نفسه، ص٢٥٥. المقريزي ، المصدر نفسه، ٣٣/٢. عزمي أبو عليان، المرجع نفسه، ص٤٠.

(٦)صفد : مدينة في جبل عامل المطل على حمص و الشام وهو من جبال لبنان ، و يشكل الحد الشرقي لمدينة صور .ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ٤٦٨/٣. بيبرس المنصوري،التحفة الملوكية في الدولة التركية (تاريخ دولة المماليك البحريةمن٦٤٨-٧١١م)لبنان ط١، ١٩٨٧، ص٥٦-٥٧. أبو الفداء، المصدر نفسه، مجلد٢ ،ج٦/٧.

بيبرس على صفد هيأ له السيطرة على الجليل، فبدأ بمهاجمة حصن تبنين الذي سقط بيده دون قتال.

و بفتح بيبرس لصفد وحصن تبنين أصبحت صور مهددة من قبل القوى الإسلامية لأن هذه المدن شكلت خط الدفاع الأول عن صور ، لذلك سارع فيليب مونتفرات لعقد هدنة مع السلطان بيبرس على مبدأ المناصفة أو المشاركة معه في غلات بلاد صور ، فحضر بنفسه إلى صفد في رمضان ٦٦٥هـ/أيار ١٢٦٧م و طلب عقد الهدنة ، وافق السلطان على أن تكون هذه الهدنة لصور و بلادها و هي ٩٩ قرية لمدة زمنية قدرها عشر سنوات.

و كان هذا بعد أن رد أمير صور جماعة من المغاربة كانوا قد وقعوا بيده ، و دفع دية غلام السلطان الذي قتله في بانياس (السابق شاهين) ، و قد تقررت ديته (ب ١٥) ألف دينار صورية ، أحضر الرسل نصف المبلغ و استمهلوا الباقي ، فاحتفظ السلطان بحصني تبنين و هونين(١).

و عندما انتهى بيبرس من فتح بعض مدن وحصون الجليل ، و وقع اتفاقات مع بعض المدن الصليبية اتجه نحو إمارة أنطاكية حيث فتحها في ٥ رمضان ٦٦٦هـ/ ١٨ أيار ١٢٦٨م ، ثم توجه إلى دمشق أستقبل فيها رسل الفرنج ، و أطمأن إلى استمرار عزل الصليبيين في بلاد الشام ، و ركن هو إلى الراحة حتى شتاء ٦٦٧هـ/١٢٦٩م(٢).

أما في عكا فقد هدأت خلافات الفرنج ، و تم انتخاب هيو الثالث ملكاً للصليبيين في ٦٦٧هـ/١٢٦٩م ، و قد سعى هيو إلى تسوية النزاع بين فيليب مونتفرات و قومون عكا ليتمكن من إقامة جبهة داخلية قوية ، فاستطاع استمالة فيليب عن طريق الزواج الدبلوماسي ، إذ زوج أخته مرجريت من ابن فيليب (يوحنا) ، و جعل بهذا الزواج من عكا وصور قوة واحدة ضد السلطان الظاهر بيبرس (٣).

إلى جانب ذلك تواترت أنباء وصول حملة صليبية جديدة إلى الشرق ، إلا أن الحملة تأخرت بعض الشيء مما أتاح لبيبرس حرية الحركة ضد الصليبيين في بلاد الشام ، فخرج في ٢٠ رمضان٦٦٧هـ/١٢٦٩م على رأس قوة عسكرية و شن هجوماً على المناطق المحيطة بصور ، كما أعطى أوامره إلى الأمير جمال الدين المحمدي بفسخ الهدنة و استغلال بلاد صور و قطع الميرة للتضييق عليها.

---

(١)ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، المصدر نفسه،ص٢٨٢. المقريزي، المصدر نفسه، ٣٣/٢. عزمي أبو عليان، المرجع نفسه، ص٤٦.

(٢)ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، المصدر نفسه، ص٣٢٣-٣٣٣. حسين محمد عطية، المرجع نفسه، ص٤٧٨.

(٣)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٥٦٤/٣. فايد عاشور، المرجع نفسه، ص١٥٩. ف.هايد، المرجع نفسه،٣٥٦/١.

و ذلك بسبب تنصير فيليب مملوكاً للسلطان كان قد هرب إليه ، كما نصر فتاة كانت أسيرة لديه ، و حين طالب السلطان بردهم رفض فيليب(١) ، و لم تبين المصادر التاريخية نتيجة هذه الغارات على صور ، هل استطاع السلطان تحقيق هدفه أم لا ؟

لكن السلطان كي يضعف الفرنج دبر اغتيال فيليب مونتفرات الذي كان يعَّد من أعلام باروناهم ، فأعرب الحشيشية عن امتنانهم للسلطان لأن ما قام به من توسع خلصهم مما التزموا به من دفع الجزية للاسبتارية.

و بناءً على طلب بيبرس أرسلوا أحد الفداوية إلى صور ، و في صور زعم أنه نصراني فدلف يوم الأحد ٦٦٨هـ/١٧ أب ١٢٧٠م إلى الكنيسة حيث يؤدي الصلاة بها فيليب و ابنه يوحنا ، فانقض عليهما ، موجهاً ضرباته إلى فيليب الذي كان موته خسارة كبيرة للصليبيين ، إذ فقدوا رجلاً قوياً اعتمدوا عليه وقت الشدة ، و لم يكن ابنه بالقوة نفسها.

ب-صور في ظل حكم يوحنا مونتفرات:

استلم يوحنا حكم صور بعد موت أبيه ، ثم أرسل إلى السلطان في ٦٦٩هـ/١٢٧١م يطلب الهدنة ، و وافق السلطان على أن يكون له خمسة بلاد يختارها ، و يكون لأمير صور عشرة بلاد ، و الباقي مناصفة(٢).

و وقعت الهدنة بين الطرفين مما أتاح الفرصة ليوحنا لحل مشكلاته الداخلية مع البنادقة ، فواصل سياسة أبيه بعداء الجالية البندقية في صور ، فصادر أملاكهم و حقوقهم ، إلى أن تمكن وليم بوجيه مقدم الداوية من التوفيق بين الطرفين ، فتم الصلح في ٦٧٥هـ/١٢٧٧م.

و أعاد يوحنا إلى البنادقة نصيبهم في ثلث مدينة صور ، و وعدّ بترميم كنيسة القديس مرقص على نفقته الخاصة ، و أعاد تشييد المباني التي تهدمت في الحرب الأهلية بين البنادقة و الجنوية(٣).

---

(١)ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، المصدر نفسه، ص٣٤٧. بيبرس المنصوري، المصدر نفسه، ص١٢٢. المقريزي، المصدر نفسه، ٥٩/٢. ابن تغري بردى ، المصدر نفسه، ١٣١/٧. اليونيني، المصدر نفسه،٤٠٨/٢. عزمي أبو عليان، المرجع نفسه، ص٥٦.

(٢)ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر، المصدر نفسه،ص٣٨٩. المقريزي، المصدر نفسه، ٧١/٢. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية، المرجع نفسه، ١١٥١/٢. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٥٧/٣. محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، المرجع نفسه، ص١٢٧.

(٣)ف.هايد، المرجع نفسه، ٣٥٦/١.

و ابتهج الشرق الفرنجي لوفاته ، فحينما تولى بيبرس السلطنة كانت ممتلكات الفرنج تمتد على طول الساحل من غزة إلى قيليقية ، و ما يتبعها من الحصون الداخلية التي تحميها ، على أنه ألزم الفرنج في أثناء حكمه على بضع مدن على امتداد الساحل أمثال عكا وصور و صيدا و طرابلس و جبيل و أنطرطوس و مدينة اللاذقية و قلعتي عثليث و المرقب.

فقد كان بيبرس يمهد الطريق لنهاية المملكة الصليبية الثانية نهائياً ، و لم يفد الفرنج من فرصة الهدوء التي تهيأت لهم بسبب موت بيبرس و اختلاف عساكره على السلطنة ، بل عادوا إلى المنازعات فيما بينهم ، و كانت أشدها الحرب الأهلية في طرابلس و التي دفعت بوهمند السابع إلى قتال سيد جبيل (غي الثاني) و قتله مع أخويه ، ولأن أسرة (غي الثاني) من أصل جنوي فإن يوحنا مونتفرات الصديق الحميم للجنويين تحرك من صور للانتقام لأصدقائه.

غير أن بوهمند وصل قبله إلى جبيل ، فعاد يوحنا أدراجه إلى مدينة صور ، و التزم الابتعاد عن حكومة عكا، على الرغم من محاولات وليم بوجيه مقدم الداوية في استمالته إلى جانبه للوقوف مع روجر نائب شارل كونت أنجو في بسط سلطته على عكا .

و في العام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م هبط هيو الثالث ملك قبرص فجأة في صور أملاً في أن يحمل النبلاء على الالتفاف حوله ، فلم يسانده إلا يوحنا مونتفرات ، لذلك غادر إلى قبرص بعد أربعة أشهر قضاها في صور دون أي نشاط يذكر ، سوى أنه شجع على عقد تحالف مع المغول(١).

فأرسل الإيلخان (أباقا) في العام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م سفيراً إلى عكا لعرض تحالف ضد المماليك ، مما جعل قلاوون يجدد الهدنة التي وقعها بيبرس في العام ٦٧٠هـ/١٢٧٢م مع الفرنج ، ليتصدى هو للجيش المغولي الذي عبر نهر الفرات و عسكر بالقرب من حمص ، حيث دارت معركة طاحنة بين الطرفين تكبد فيها قلاوون خسائر فادحة منعته من مطاردة ليو ملك أرمينية و حليف المغول(٢).

و أضحى نهر الفرات حداً فاصلاً بين الإمبراطوريتين المغولية و المملوكية ، و استدعى شارل كونت أنجو نائبه من عكا بعد أن انهارت مملكته في صقلية ، فأصبحت الظروف مهيأة لقلاوون لمهاجمة الأراضي الفرنجية في الشرق ، لكنه قبل البدء بهذه المهمة عرض على قومون عكا تجديد

---

(١)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣/٦٥٩.

(٢)بيبرس المنصوري، المصدر نفسه،ص١٠٠. المقريزي، المصدر نفسه،ج١،قسم٢/٦٨١-٦٨٢.
ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه،٣/٦٦٠.

الهدنة لمدة عشر سنوات أخرى ،وافق الفرنج على الهدنة التي كفلت لهم امتلاكهم للبلاد الممتدة من درج صور شمالي عكا إلى جبل الكرمل و عثليث فضلاً عن صيدا ، غير أنه تقرر استبعاد صور و بيروت من عقد الهدنة ، و جرى الإبقاء على الحق الذي يجيز الحج إلى الناصرة(١).

و بدت أوضاع مملكة القدس الثانية و كأنها مهيأة لاستعادة هيو الثالث ملكه على البر السوري ، إذ ماتت إزبيلا سيدة بيروت ، و انتقلت مدينتها إلى أختها (إشيفيا) زوجة هنري مونتفرات الأخ الأصغر لسيد صور.

و لإدراك هيو الثالث أنه يستطيع الوثوق في بيت مونتفرات أبحر من قبرص في ٦٨٣هـ/١٢٨٣م مع ولديه هنري و بوهمند و نزل بيروت ، ثم أبحر إلى صور حيث سانده يوحنا مونتفرات ، بينما لم يحفل قومون عكا و الداوية بقدومه ، و أصبحت ظروف الملك أكثر سوءاً بموت يوحنا مونتفرات سيد صور في ٦٨٣هـ/تشرين الثاني١٢٨٣م(٢).

بموت يوحنا سمح هيو أن تنتقل صور إلى شقيقه و وارثه همفري سيد بيروت ، لكنه أضاف نصاً في الوثيقة بأن بوسعه متى شاء أن يشتري مدينة صور و يعيدها إلى التاج مقابل مئة و خمسين بيزنتاً .

غير أن همفري مات في ٦٨٣هـ/ شباط ١٢٨٣م ، فتزوجت أرملته من غي أصغر أبناء هيو الثالث و نقلت إليه بيروت ، بينما بقيت صور خاضعة لمرجريت أرملة يوحنا مونتفرات ، و بقي هيو الثالث في صور حتى وفاته في ٦٨٣هـ/ ٣ آذار ١٢٨٤م ، فخلفه على العرش ابنه يوحنا(٣).

ج_صور في ظل حكم الكونتيسة مرجريت :

توج يوحنا ملكاً على قبرص في نيقوسية ، ثم عبر البحر إلى صور حيث تم تتويجه ملكاً على بيت المقدس ، لكن لم يعترف بسلطته في الشرق الفرنجي سوى صور و بيروت.

استمر حكم يوحنا سنة واحدة ، فخلفه على عرش قبرص أخوه هنري الذي لم يتجاوز عمره أربع عشرة سنة ، لذلك جهز قلاوون نفسه للهجوم على صور و بيروت اللتين لم تدخلا في الهدنة التي انعقدت عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م .

---

(١)المقريزي، المصدر نفسه،ج١ ،قسم٢/٦٨٥.

(٢)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام ، المصدر نفسه،ص ٥٨. محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، المرجع نفسه،ص١٨٢. فايد عاشور، المرجع نفسه، ص١٨٩.

(٣)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٣/٦٦٦-٦٦٧ .

فبادرت سيدة صور مرجريت في عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م تطلب من قلاوون عقد الهدنة ، وافق السلطان المنصور قلاوون مقابل تنازلها عن نصف دخل إمارتها السنوي ، وتعهدها بعدم تجديد تحصينات المدينة ، و جاء في نص المعاهدة أسماء القرى و الضياع التي كانت تابعة للسلطنة المملوكية:

((و يكون للسلطان الخمس من ضياع صور من أجودها و أكثرها متحصلاً ، من عين و غلة التي استقرت في الخاص الشريف السلطاني من أيام الظاهرية ، و هي: قانا و مزرعتها ، القروية، أصريفيا و مزرعتها، حانا يخن و ما يجاورها، المجادل بكاملها، كفر دبين بكاملها))(١).

و تكون للكونتيسة مرجريت من ضياع صور عشر ضياع و هي:

((عين أبي عبد الله ، القاسمية، سدس ، قحلب، المرفوف، الجارودية، الحمادية، مرفلة ، رأس العين ، برج الاسبتار))(٢).

أما بقية بلاد صور و هي ثمان وسبعون ضيعة و مزرعة تكون مناصفة و يكون المباشر لهذه الضياع و المناصفات المذكورة ، و المستخرج لأموالها و غلالها نواب السلطان بالاتفاق مع نواب حاكمة صور (٣).

و كانت((بداية الهدنة في ١٤ جمادى الأولى٦٨٤هـ/١٨تموز ١٢٨٥م ، و لمدة قدرها عشر سنوات كوامل متواليات متتابعات))(٤).

و من خلال دراسة بنود الهدنة نلاحظ أنها نصت على مايلي:

١_تأكيد الطرفين على ضمان حركة التجارة و الانتقال ، و توفير الأمن اللازم لرعاياهم.

٢_ أن تكون للسلطان و أولاده خمس ضياع من أوفر قرى صور غلالاً ، دون أن يشاركهم فيها أحد .

٣- أن تكون لملكة صور عشر ضياع في قرى مرج صور خاصاً لها ، حسبما استقر عليه الأمر في الهدنة التي عقدت مع السلطان الظاهر بيبرس .

٤- أن تكون غلات القرى الباقية من صور مناصفة بين السلطان و صاحبة صور.

---

(١)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصدر نفسه ، ص١٠٦ . عزمي، أبو عليان ، المرجع نفسه، ص٧٥. أحمد حطيط ، تاريخ لبنان الوسيط في مرحلة الصراع المملوكي الصليبي ، ٦٥٨-٦٩٠/١٢٦٠-١٢٩١م، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص ٩١.

(٢)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصدر نفسه، ص١٠٦.

(٣)المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٤)المصدر نفسه، ص١٠٣. عزمي أبو عليان ، المرجع نفسه، ص٧٥.

٥- أن يتم توزيع الغلات بإشراف ممثلين عن الطرفين ، مع عدم جواز الانفراد في الإشـراف على هذه الغلات .

٦- التزام السلطان بمنع أي اعتداء على بلاد صور .

٧-تتعهد صاحبة صور بعدم بناء قلعة أو ترميم حصن أو تجديد سور في أراضيها .

٨- تتعهد صاحبة صور بعدم مدّ يد العون لأي من الصليبيين أعداء السلطان .

٩- لا تبطل مفاعيل هذه الهدنة بموت أحد الطرفين إلا بعد انقضاء أجلها المحدد (١) .

وقّع السلطان مع سيدة صور الهدنة، و اتجه إلى حصن المرقب التابع للاسـتبارية ،و اسـتطاع دخول قلعته في يوم الجمعة ١٩ربيع الأول ٦٨٤هـ/٢٥أيار١٢٨٥م(٢) ، فارتاع سـكان عكـا لضياع الحصن منهم .

و في الوقت نفسه علموا بموت شارل أنجو، لذلك غادر هنري الثاني جزيرة قـبرص إلى عكـا في٦٨٥هـ/٤حزيران ١٢٨٦م و قرر الإقامة في قلعتها مثلما فعل الملوك قبله .

ورفض (أودو بوليشيان) الاعتراف بالحكومة الجديدة مما اضطر هنري الثاني للإقامة في قصـر سيد صور الراحل يوحنا ،وبعد مضي ستة أسابيع أي في١٥ آب قام رئـيس أسـاقفة صـور (بوناكور سوجلوريا) بتتويج هنري، ثم غادر هنري إلى قبرص بعد أن عين خاله بلدوين إبلين نائباً عنه في حكم عكا

و لم يكد هنري يعود إلى قبرص حتى اندلعت الحرب بين البيازنة و الجنويين فأرسلت جنـوة في ربيع سنة٦٨٦هـ/١٢٨٧م أسطولاً بقيادة (توماس)و(أورلاندو)، فتوجه توماس إلى الإسكندرية كيما يظفر بالحياد الودي من قبل السلطان .

بينما أخذ (أورلاندو) بمهاجمة الساحل السوري و أسر سفن البيازنة ، ثم لجأ إلى صور ليعـد هجوماً على ميناء عكا ،و بعد عودة (توماس) من الإسكندرية فرضا حصاراً على ميناء عكا و عطلا حركة التجارة فيه.

مما دفع مقدمي الداوية و الاستبارية و النبلاء المحليين للتوسط بين المتنازعين و إقناع الجنـويين بمغادرة ميناء عكا إلى صور (٣) .

---

(١)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصدر نفسه،ص١٠٥. أحمد حطيط، المرجع نفسه،ص٩٢.

(٢)المقريزي، السلوك، المصدر نفسه،١قسم٧٣٨/٢. بيبرس المنصوري، المصدر نفسه،ص١١٣. ستيفن رنسـمان، المرجع نفسه،٦٦٨/٣ .

(٣)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٦٧٩/٣-٦٨٠.

انشغل الصليبيون في حروبهم المحلية بينما استطاع قلاوون فتح اللاذقية و طرابلس في ١٤ربيع الأخر٦٨٨هـ/٢٦نيسان١٢٨٩م(١) و نتيجة لفتحها لجأ هنري إلى عقد الهدنة مع السلطان لمدة عشر سنوات أخرى على أن تدخل مملكتا بيت المقدس و قبرص فيها ،و بادرت سيدة صور إلى طلب تأكيد الهدنة السالفة الذكر .

وافق السلطان المنصور قلاوون لكن الأحداث التي جرت في عكا من قتل المسلمين و التجار جعلته يعد العدة لفتحها ، و لم يكد يفرغ من كافة استعداداته الحربية ، و يغادر القاهرة حتى وافاه الأجل المحتوم بظاهرها في مخيمه في ذي العقدة٦٨٩هـ/١٠تشرين الثاني١٢٩٠م فتولى عرش السلطنة ابنه الأشرف خليل (٢).

د- تحرير صور :

أخرت وفاة قلاوون الزحف على عكا إلى ربيع الأول٦٩٠هـ/أذار١٢٩١م حيث اكتملت استعدادات الأشرف خليل ، و تم جمع آلات الحصار من جميع أنحاء السلطنة و وصل عكا في يوم الخميس٤ربيع الأخر/٥نيسان ،و استمر بمحاصرتها حتى استطاع فتحها في يوم الجمعة١٧جمادى الأولى/١٨أيار(٣).

و أثناء محاصرته لعكا أرسل الأمير علم الدين سنجر الصوابي الجاشنكير على رأس قوة عسكرية إلى صور هادفاً من ذلك تحقيق غايتين :

١- مضايقة صور حتى لا تستطيع إرسال قوة إلى عكا(٤).

٢- منع صليبيي عكا من التوجه إلى صور عندما تحل بهم الهزيمة مما يؤدي إلى ضعف عزيمة الصليبيين في صور ، فيسهل السيطرة عليها بعد عكا .

خصوصاً أن الأميرة مرجريت صاحبة صور كانت قد تنازلت عن المدينة إلى ابن أختها (أملريك) أخو الملك هنري الثاني الذي عين (أدم كافران) نائباً عنه في حكم صور .

لكن (أدم كافران) لم يكن لديه من القوات ما يمكنه الدفاع عن المدينة ، و أدرك ضعف قدرته

---

(١)المقريزي، المصدر نفسه،٢/٢١١. ابن تغري بردى، المصدر نفسه،٧/٣١٩. بيبرس المنصوري، المصدر نفسه،ص١٢٠. ستيفن رنسمان،المرجع نفسه، ٣/٦٨٦.

(٢)بيبرس المنصوري، المصدر نفسه، ص١٢٢-١٢٦. ابن الجزري، المصدر نفسه،١/٢٩. المقريزي، المصدر نفسه، ٢/٢١٨.

(٣)بيبرس المنصوري، المصدر نفسه،ص١٢٦-١٢٧. ابن الجزري، المصدر نفسه،١/٤٤-٤٥. المقريزي، المصدر نفسه، ١قسم٢/٧٦٥. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣/٧٠٨.

(٤)ابن تغري بردى، المصدر نفسه،٨/٧.

العسكرية أمام القوات التي جمعها الأشرف خليل ، فبعد فتح عكا غادر أدم مدينة صـــور إلى قبرص متخلياً عن المدينة دون قتال .

و حين تقدمت مراكب المنهزمين من عكا إلى ميناء صور سارع الأمير علم الدين إلى منعهم من دخول الميناء ، و كان لهول هذا الموقف أثر كبير على أهل صور ، فأثروا عـــدم المقاومـــة ، و طلبوا الأمان على أنفسهم و أموالهم مقابل تسليم المدينة ، فأجابهم الأمير علم الدين إلى طلبهم و سمح لهم بالرحيل و لم يتجاوز عددهم الخمسين معظمهم من العجائز(١) .

دخل علم الدين بقواته إلى صور في ١٨جمادى الأولى ٦٩٠هـ/١٨أيار ١٢٩١م(٢) . ثم أرســل السلطان الأشرف خليل في ٢١جمادى الأولى /٢١أيار الأمير شمس الدين نبا و معه جماعة كثيرة من الحجارين و غيرهم لهدم مدينة صور ، فهدم أسوارها و أبنيتها .

و نلاحظ هنا أن امتلاك المسلمين لسواحل بلادهم جعلهم يشعرون بمسؤولية المحافظة عليها مع الاهتمام بوسائل الدفاع عنها ، و إن لم يستطيعوا لجؤوا إلى تدمير حصونها و هدم أسوارها و أبنيتها (٣) خصوصاً بعد أن تركز الخطر الصليبي في الجزر المجاورة لسواحل بلاد الشام مثل: قبرص و أرواد،و هذا ما حدث مع مدينة صور حيث لم يتمكن المسلمون من حمايتها ، فلجؤوا إلى تدمير أسوارها خوفاً من استيلاء الفرنج عليها فهي المكان التقليدي لتتويج ملوكهم(٤).

((و بصور كنيسة يقصدها ملوك البحر –قبرص– عند تمليكهم ، فيتوجون بها ، إذ لا يصــح تمليكهم إلا منها ، و شرطهم أن يدخلوها عنوة ، لذلك تتم حراستها ، غير أنهم مع هذا يأتونها مباغتة فيقضون أربهم منها ثم ينصرفون))(٥).

---

(١)ابن الجزري، المصدر نفسه،٤٥/١. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه، ٧١٠/٣.

(٢)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام ، المصدر نفسه،ص٢٧٢. ابن الجزري، المصدر نفسه،٤٦/١. بيبرس المنصوري، المصدر نفسه،ص١٢٨. ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور و بنيه، تحقيق:محمد محمد أمين، مر:سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر ١٩٧٦م، ١٣٧/١. المقريزي، السلوك، المصدر نفسه،٢٢٤/٢. ابــن تغــري، بــردى، المصــدر نفسه،٧/٨.المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر نفسه، ص٣٥٧. أبو الفداء المصدر نفسه، مجلد٢/ج٣٢/٧. محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، المرجع نفسه،ص٢٠٧. فايد عاشور، المرجع نفسه،٢٠٥. عزمي أبو عليان، المرجع نفســه، ٨٩. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٧١٠/٣.

(٣)ابن الجزري، المصدر نفسه،٤٥/١-٤٦.

(٤)المصدر نفسه، ٤٦/١. ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، تحقيق:عبد الهادي التازي، ١٩٩٧م،ص٢٥٨.

(٥)ابن فضل الله العمري، مسالك الأمصار، المصدر نفسه،ص١٣٦. ابن فضل الله العمري،التعريــف بالمصــطلح الشريف، المصدر نفسه، ص٢٣٦. القلقشندي، المصدر نفسه،ص١٥٨.

الفصل الخامس :

أهم المظاهر الحضارية في صور تحت الحكم الصليبي

٤٨٩-٦٩٠هـ/١٠٩٦-١٢٩١م:

أولاً : الحياة الاجتماعية :

- التركيب السكاني في صور
- مستوطنات دول إيطالية التجارية .
- أحوال المسلمين في صور .
- المحاكم .

ثانياً : الحياة الاقتصادية :

- الزراعة و أهم المحاصيل .
- الصناعة و أهم أنواعها .
- التجارة : منذ الحملات الصليبية حتى حطين .

بعد معركة حطين حتى الحروب الصليبية.

الصادرات و الوارادت .

النقود .

ثالثاً : المظاهر العمرانية :

- العمران الصليبي العسكري في مدينة صور .
- العمران الصليبي المدني في مدينة صور .

أولاً الحياة الاجتماعية :

ـ التركيب السكاني في صور :

بعد قدّوم الصليبيين و تشكيل الإمارات الفرنجية في بلاد الشام اختلف التركيب السكاني للمدن التي استولوا عليها و استقروا بها .

و مدينة صور إحدى المدن التي بقيت بيد الصليبيين منذ احتلالها عام٥١٨هـ/١١٢٤م و حتى تحريرها في عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م نظراً للظروف السياسية التي مَّرت بها إبان الحروب الصليبية و قد أثر هذا بشكل مباشر على تركيبة السكان فيها ،فعند احتلالها غادر معظم سكانها المسلمين و لم يبق فيها إلا كل عاجز عن الحركة(١) .

و سكنها الفرنج و هي خاوية من أهلها ، و إن عاد السكان إليها بعد مدة قصيرة إلا أن جل مجتمعها أصبح يتكون من الطبقات التالية :

طبقة الأرستقراطيين : التي كانت تضم الملوك و الأمراء و الفرسان و بيدهم الحكم و القضاء و الحرب (٢) .

طبقة البرجوازيين : و كان يمثلها رجالات الدويلات الإيطالية الثلاث :جنوة و بيزة و البندقية(٣).

ثم تأتي بعدهم أكثرية السكان ممن كانوا يكدحون في سبيل العيش ، و استمرار الحياة ، و كانوا من أرباب الزراعة و الصناعة ،و كان معظمهم من السكان الأصليين (٤) ، و قد تحولت الأراضي التي يعملون فيها إلى أملاك الطبقة الأرستقراطية ، التي منحهم إياها الملوك بحكم دفاعهم عنها (٥).

و أصبحت صور بعد احتلالها ملكاً خالصاً لملك بيت المقدس ، ما عدا ثلث المدينة الذي كان للبنادقة بموجب معاهدة ٥١٨هـ/١١٢٤م و كان يقع داخل المدينة و حول المرفأ(٦).

و فرض على نبلاء مدينة صور تقديم ٢٨فارساً و ١٠٠سرجندي (مشاة مدرعون)(٧) أما

---

(١)ياقوت الحموي، المصدر نفسه،٤٩٢/٣. النويري، المصدر نفسه، ٢٧٢/٢٨. ابن الجزري، المصدر نفسه،٤٧/١.

(٢)زكي النقاش، المرجع نفسه،ص١٦٨-١٦٩.

(٣)المرجع نفسه، ص١٨٥.

(٤)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٦٠٧/٣. زكي النقاش، المرجع نفسه،ص١٦٩.

(٥)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٦١٥/٣.

(٦)فولتشر أوف تشارتز، المصدر نفسه،ص٥٠٦. وليم الصوري، المصدر نفسه،٦٢٨/٢.

(٧)سعيد البيشاوي ، المرجع نفسه،ص٩٦-٩٧.

البنادقة فكان عليهم تقديم عدد من الرجال يتناسب مع دخل الثلث الذي كانوا يملكونه فيها .
و قد قدر هذا العدد بثلاثة فرسان من بين ٢٨فارساً الذين كانوا على مدينة صور أن تقدمهم(١).

و كانت أهم أسر النبلاء في صور أسرة فولك كونت أنجو و تورين و ميان ،حيث منحت له مدينة صور مهراً لزوجته ميليساند بنت بلدوين الثاني ، فاحتفظ بالمدينة مدة ثلاثة أعوام(٥٢٣-٥٢٥هـ/١١٢٩-١١٣١م) (٢) ثم أتت أسرة مونتفرات ، التي استقرت بصور بعد أن استلم (كونراد دي مونتفرات) الدفاع عن المدينة إثر قدومه من القسطنطينية خلال الأسابيع اللاحقة لإحداث معركة حطين ، و قد طلب من أهلها الاستفادة من إيرادات المدينة الصناعية و الزراعية مقابل تحصينه لها ، و منع صلاح الدين من فتحها ، لذلك حازت هذه الأسرة على مصانع السكر في المدينة ، و استطاعت جمع ثروة تؤهلها للعيش في بذخ (٣).

- مستوطنات دول إيطالية التجارية :

لم تكن الطبقة البرجوازية المؤلفة من التجار الإيطاليين مجرد طبقة سكانية استقرت في صور ، بل كانت مشكلة مستعمرات داخل المدن ، ذات حكومة مستقلة لم يتجاوز عدد أفرادها بضع مئات من الأشخاص .

و عدت أهم مستعمرة تجارية في مدينة صور خلال الحقبة الصليبية مستعمرة البندقية ، فهي التي ساهمت باحتلال المدينة مع نائب الملك فأخذت ثلث مدينة صور بضواحيها .

و كان يطلق على مجموعة المباني التي أصبحت ملكاً لهؤلاء التجار اسم(ruga) أو (vicus) و كانت تحوي مقر الإدارة و المحكمة و يقيم بها رئيس الجالية ، حيث يجتمع مع المحلفين الذين كانت تتشكل منهم المحكمة ، و في صور كان يوجد بالإضافة إلى مقر الإدارة و المحكمة مستودع فسيح بمثابة مخزن و دار للبيع (٤).

هذا بالإضافة إلى الفنادق و الخانات التي كانت تؤجرها الجالية الإيطالية للحصول على إيرادات إضافية (٥).

---

(١)ف.هايد، المرجع نفسه،١٦٩/١.

(٢)وليم الصوري، المصدر نفسه،٦٥٦/٢.

(٣)أرنول، المصدر نفسه،٣١١/٨. بورتشارد، المصدر نفسه١٥٠/٣٩. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٦١٥/٣.

(٤)ف.هايد ، المرجع نفسه،١٦٤/١.

(٥)زكي النقاش، المرجع نفسه،ص١٩٣.

و لم يكن الحي البندقي يسكن من قبل التجار البنادقة ، بل كان من حق المستوطنين الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة السكن في الأحياء التجارية ، فمصانع الحرير كان يديرها سوريون ، و مصانع الزجاج كان يستغلها اليهود ، و يؤكد بنيامين التطيلي أن أعداد اليهود في صور في الحقبة الصليبية كان ٤٠٠ يهودي ، و قد امتلك بعضهم سفناً للتجارة (١).

و كان يضاف إلى ثلث المدينة الذي استحوذ عليه البنادقة ثلث الأراضي المجاورة لها بدائرة نصف قطرها ٢كم ، فشكلت الحقول مجموعات حول مبان تسمى (casaux) و هي تطلق على المزارع الصغيرة .

فورد في أخبار (مرسيليو جورجيو) بايل (حاكم) جمهورية البندقية في سورية قائمة بأسماء ٨٠ ضيعة(casaux) حول مدينة صور كان معظمها سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م ملكاً حقيقياً لمستعمرة البندقية في المدينة .

و كان يوجد في هذه الأملاك حقول و حدائق و بساتين الفاكهة و كروم و مزارع قصب السكر ، بالإضافة لأشجار الزيتون و التين ،و المزارعون الحقيقيون لها كانوا فلاحين سوريين(٢) يؤدون عن المحصولات التي يزرعونها ثلث الغلة عند جمعها ، و يدفعون جزية على كل شخص دينار و خمسة قراريط(٣).

و كان لمستوطنة البندقية في صور مدير محلي يعينه حاكم عكا ، و له مساعد يلقب(فيكونت) ، و كان المستوطنون البنادقة في صور و كل الأفراد المقيمين في حيهم ، و كذلك القادمين الجدد يقسمون يمين الولاء ليس فقط لحاكم أمتهم ((رئيس المستوطنات في سورية كلها)) بل لكل حاكم أو فيكونت مكلف من قبله(٤).

ونلاحظ أن مستوطنة البندقية في صور شكلت مدينة صغيرة بحاكمها و سكانها المختلفين في جنسياتهم و طبقاتهم الاجتماعية ، و كان يمثل مركز هذه المدينة الصغيرة كنيسة تحمل اسم القديس(مرقص)(٥).

---

(١)بنيامين التطيلي، المصدر نفسه،ص٩٢.

(٢)ف.هايد، المرجع نفسه، ١/١٧٦. Gino Luzzatto.op. cit.p.74

(٣)ابن جبير، المصدر نفسه، ص٣٨٣.

(٤)ف.هايد، المرجع نفسه، ١/٣٣٧.

(٥)شارل ديل، المرجع نفسه،ص٣٣.

أما عن باقي مدن إيطالية التجارية فقد كانت مستوطناها في صور أقل مستوى من مستوطنة البندقية ، و أصغر حجماً و مساحةً ، فمساكن بيزة في صور لم تكن تتجاوز خمسة منازل وهبها لهم الملك بلدوين الثاني ، ثم أضافوا لها عدة منازل ، وأراضٍ للبناء و سوقاً و كنيسة و طواحين في الضواحي حتى شكلت في النهاية مستعمرة كبيرة(١).

أما وضع البروفانسيين فقد كان مختلفاً حيث تنازل(كونراد دي مونتفرات) سنة٥٨٣هـ/١١٨٧م لمواطني سان جيل و مونبيليه و مرسيلية و برشلونة المقيمين في صور عن المبنى المسمى القصر الأخضر و فرن و كوخ ، و من الراجح أن عدد التجار الذين كانوا ينتمون بأصلهم إلى كل واحدة من هذه المدن لم يكن يسمح لهم بتشكيل مستوطنة خاصة بهم وحدهم لذلك كانت تضمهم جالية بروفانسية مختلطة يدير شؤونها ستة أو سبعة قناصل ، و محكمة مشتركة يرأسها فيكونت واحد (٢) .

أما تجار جنوة فلا نملك معلومات عن عدد منازلهم و حجمها في مدينة صور(٣)، و لكن بعد طردهم من عكا سنة٦٥٦هـ/١٢٥٨م انتقل المقر الرئيسي للإدارة الجنوية في المدن الصليبية إلى مدينة صور ، وفي العام٦٧٢هـ/١٢٧٤م تم تعيين(البودستا)بدلاً من القنصل لإدارة الأحياء الجنوية في المدن الصليبية، و كان (البودستا) قد اتخذ صور مقراً له (٤).

و على غرار باقي المدن الصليبية كان في صور كنيسة حولها الصليبيون إلى دار لمعالجة المرضى على صفة البيمارستان في المدن الإسلامية (٥) .

لقد استطاع الصليبيون تأسيس الإمارات الصليبية لكن لم يكن بوسعهم العيش معزولين عن المجتمع العربي ، لذلك تعايشوا معه ، فأخذوا منه عاداته و تقاليده حتى نسوا أماكن ولادتهم ، فنادراً ما يذكرونها يقول فوشيه دي شارتر :

((من قدم من الرايم أو تشارتز صار الآن من أهالي صور ، أو أنطاكية لقد نسينا أماكن ولادتنا فهي قد باتت غير معروفة لدى الكثير منا ، و نادراً ما يرد ذكرها))(٦) .

---

(١)ف.هايد، المرجع نفسه،١٦٢/١-١٦٣.

(٢)المرجع نفسه،٣٩٣/٣.

(٣)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٤٧٢/٢.

(٤)عادل زيتون، المرجع نفسه، ص١٦١.

(٥)ابن جبير، المصدر نفسه،ص٤٢٠.

(٦)فوشيه دي شارتر ،المصدر نفسه،٥٠٧/٦.

و تمثل الصليبيون الحياة الشرقية بكل ما يتفق معها من حب للترف و الزينة ، فكانوا يصنعون السجاد و الألبسة ، و بدلوا ثيابهم بملابس شرقية سابغة واسعة الأكمام زاهية الألوان موشاة بالحرير ، و المطرزات و قد وصف ابن جبير تلك المظاهر أثناء ، مشاهدته لعرس في ميناء صور: ((حتى خرجت تتهادى — يقصد العروس — بين رجلين يمسكانها من يمين و شمال .... و هي في أبهى ذي و أفخر لباس ، تسحب أذيال الحرير المذهب سحباً))(١).

– أحوال المسلمين في صور :

غادر المسلمون صور بعد احتلالها سنة٥١٨هـ/١١٢٤م ثم عاد بعضهم بعد مدة من الزمن للسكن فيها ، فأصبح لهم داخل المدينة مسجدان (٢) قضى ابن جبير في أحدهم وقت راحته عندما كان نازلاً في صور ، بالإضافة إلى خان معد لنزول المسلمين نزله ابن جبير فور وصوله إليها(٣).

و كان المسلمون يتمتعون بحالة أفضل من المسلمين الموجودين في عكا ، و ذلك لصفات اللين التي كان يتحلى بها الصليبيون في صور فوصفهم ابن جبير بقوله :

((و أهلها _صور _ ألين في الكفر طبائع ، و أجرى إلى بّر غرباء المسلمين شمائل و منازع ... و أحوال المسلمين بها أهون و أسكن ... وعكا أكبر و أطغى و أكفر))(٤).

وكان الفلاحون في علاقتهم مع الصليبيين على حالة وصفها ابن جبير" بالترفيه " و ربما مرد ذلك إلى مقارنته بين أحوال الفلاحين في صور و أحوالهم في عكا، فذكر أنهم يؤدون ضريبة خفيفة على ثمار الأشجار ،و مساكنهم بأيديهم ، و جميع أحوالهم مسلمة لهم(٥) .

– المحاكم :

كان في المقاطعات التجارية عدة محاكم ، فمحكمة للأشراف ، وأخرى للمدنيين التجار ،فضلاً عن محكمتين أخريين ، أحداهما في المدن التجارية الكبرى تسمى محكمة الفندق. و الثانية: محكمة السلسلة في المرافئ .

وكانت الأولى تتألف : من أربعة سوريين و اثنين من الفرنج ، و كانت تنظر في القضايا التجارية المتعلقة بالأوربيين .

---

(١)ابن جبير، المصدر نفسه، ص٣٨٨. أرنست باركر، المرجع نفسه،ص٦٩.

(٢) ابن جبير ، المصدر نفسه، ص٣٨٧.

(٣) ابن جبير ، المصدر نفسه،ص٣٨٦.

(٤) ابن جبير ، المصدر نفسه،ص٣٨٧.

(٥) ابن جبير ، المصدر نفسه،ص٣٨٣ ، أرنست باركر، المرجع نفسه،ص٧١.

و الثانية : يرجع الفضل في إنشائها إلى الملك عموري الأول(٥٥٧-٥٦٩هـ/ ١١٦٢-١١٧٤م) (١) و كانت تنظر في قضايا التجارة البحرية ، و مؤلفة من رئيس و معاونين له ، و كانت مختصة بالميناء أي بجمرك الميناء (٢) (Cour de la chaine).

و تسمى أيضاً بمحاكم السلسلة ، و يعود سبب التسمية لوجود السلسلة الممتدة بين برجين يغلق فيها الميناء فإذا دخلت البضائع عبر هذا الميناء يُقال : أنها وردت عن طريق السلسلة ،أما الدخول الجمركية عبر هذه الموانئ فكانت تسمى(Introitus catena)(٣).

و لم تكن هذه المحكمة إلا جانباً من الامتياز العام الذي جعلَ من الأحياء الإيطالية دولة في داخل الدولة (Inperid in imperio) ، فما حدث من إعفائها من الرسوم،وما كانت تقدمه من المساعدات المالية،يتفق مع مالها من الامتيازات القضائية .

و كانت تمتاز محكمة السلسلة بأنها لا تنظر إلا في القضايا الخطيرة مثل القتل والسرقة والتزوير(٤).

و كان هناك محكمة أخرى مستقلة عن كل ما ذكر ، وتختص بالإيطاليين في كل مدينة سميت بمحكمة المدن (Cours de la fonde) ، و هي تحت إدارة القناصل ، و كان من حقها النظر في جميع القضايا العادية ، و تدخل في دائرة الإعفاءات من الرسوم و الواجبات المالية(٥).

لذلك كان يسعى ملوك بيت المقدس المتأخرون إلى وضع حد لاختصاص هذه المحاكم القنصلية في صور ، فانتزعوا من محكمة البندقية القضايا التي تتعلق بالأفراد السوريين و اليهود ، فخضع هؤلاء لمحاكم خاصة بهم .

و تمكن (يوحنا مونتفرات) بفطنته و ذكاءه في العام٦٥٧هـ/١٢٧٧ م أن ينتزع من القضاء البندقي الاختصاص في الفصل بين الأتباع و البرجوازيين من رعاياه المقيمين في هذا الثلث .

و استطاع أحد ملوك المملكة لم تدون المصادر اسمه لأسباب مجهولة و غامضة ،و ربما دون اسمه لكن لم يصل إلينا نتيجة الحروب التي أدت إلى إحراق معظم الوثائق فقد استطاع هذا الملك أن ينتزع من محكمة البندقية اختصاصها في الفصل في القضايا المتعلقة بحالات السرقة و القتل (٦).

---

(١)أرنست باركر، المرجع نفسه،ص٦٤. زكي النقاش، المرجع نفسه،ص٣٥.

(٢)زكي النقاش، المرجع نفسه،ص٣٥-٣٦.

(٣)ف.هايد، المرجع نفسه،٣٤٢/١.

(٤)أرنست باركر، المرجع نفسه،ص٦٤.

(٥)زكي النقاش، المرجع نفسه،ص٣٦. أرنست باركر، المرجع نفسه،ص٦٣.

(٦)ف.هايد، المرجع نفسه، ٣٤٠/١.

ثانياً : الحياة الاقتصادية :

_ الزراعة و أهم المحاصيل :

كانت تتميز أراضي مدينة صور بخصوبة (١) كبيرة عمل الصليبيون على الاستفادة من عائداتها الزراعية ، على الرغم من أنهم حتى تاريخ وصولهم إلى الشرق كانوا يجهلون الكثير من الأمور الزراعية ، و خاصة هذا التنوع في الحبوب و الخضار و الفواكه (٢) .

و الذي سمح بوجود عائدات زراعية كثيرة في صور امتداد الأراضي الذي زاد في العصر الصليبي ، فكانت تمتد أراضيها جنوباً نحو عكا إلى موقع يُعرف باسم : منطقة اسكاندليون على بُعد ٤٢كم من صور ، بينما امتدت باتجاه الشمال إلى صيدا و الصرفند على قدر المسافة ذاتها و بلغ عرض الأراضي من١ إلى ٢ كم(٣).

و كان عدد القرى التابعة لمدينة صور اثنتين و تسعين قرية ، فمن الجهة الجنوبية كانت توجد : مرفلة و قرية دير عمران و برج وادي الحجاج و العربية و ريف و بارين .

و من الشرق : عنافة و سكاسة و مجدل شرقية و السحنونية و قانا و محروما و المجادل و كفر دبين .

و من الشمال : أصريفيا و نهر القاسمية . ومن الغرب : البحر(٤) .

و عناية الصليبيين بالزراعة دفعهم إلى العناية بالأقنية ، فجعلوها عميقة و مرتفعة بقدر قامة الإنسان (٥) ، و كانوا يهتمون بخزانات المياه ، و الدليل على ذلك رواية وليم الصوري الهامة التي تصف هذه المنشآت بدقة فيقول :

((أصل هذه الأنهار المارة بالقرب من صور موجودة في الجزء المنخفض من السهل ، و لا ترتفع في الجبال كما هو حال العديد من الينابيع الأخرى ، و مع ذلك فإن براعة و عناية الإنسان رفعتها بشكل اصطناعي إلى الأعلى بحيث تروي بغزارة المنطقة المحيطة بها كلها ، و تجعل بمجراها المعطاء السهول و الأراضي مهيأة لتحقيق غايات كثيرة)) (٦).

---

(١)وليم الصوري، المصدر نفسه، ٦١٣/٢. جاك دي فتري، المصدر نفسه،١٣٥/٣٣.

(٢)ف.هايد، المرجع نفسه، ١٦٦/١.

(٣)وليم الصوري، المصدر نفسه،٦١٣/٢. مارينو سانوتو، المصدر نفسه، ٢٦٠/٣٦.

(٤)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصدر نفسه، ص١٠٦-١٠٧.

(٥)يؤكد بورتشارد أن ارتفاعها كان بقدر قامة الإنسان فيقول: " لقد جربت هذا و عرفته بنفسي ، و ذلك عندما دخلت إلى مجرى الماء الذي تجري فيه المياه" . بورتشارد، المصدر نفسه،١٥٠/٣٩.

(٦)وليم الصوري، المصدر نفسه،٦١٤/٢.

((و قد تم رفع الماء إلى ارتفاع عشرة أقدام بوساطة بناء رائع من الحجر تساوي قوتـه قـوة الحديد(١) ، و عندما يقترب المرء ليتفحص هذا العمل الرائع يبدو له البرج الخارجي مرتفعـاً بشكل شاهق لا يُرى منه الماء بيد أنه عندما يصل إلى القمة يشهد خزاناً ضخماً من الماء الذي جمع ليتم توزيعه بعد ذلك إلى الحقول المجاورة بوساطة قنوات ذات ارتفاع متماثـل ، و بنـاء ضخم ، كما تم تزويده بدرج مقام من الحجارة الصلبة لتأمين راحة الذين يرغبون بالصعود إلى قمته ، حيث إنّ درجة ميله مقامة بشكل تدريجي يستطيع حتى الممتطين لصهوات خيولهم السير عليه دون صعوبة))(٢) .

و لفخامة هذه الأبنية و قوتها أطلق عليها بورتشارد لقب (أهرامات) (٣).

أما بالنسبة للحاصلات الزراعية فقد تنوعت : فكان منها قصب السكر ، حيث وجدت مزارع و حقول عديدة تابعة لمدينة صور تقوم بزراعته (٤) ، منها قرية ديرينا(Derina) الواقعة في مقاطعة صور ، و التي منحت لكنيسة القيامة من قبل الملك بلدوين الثاني سنة٥١٩هـ/١١٢٥م قد زُرعت قصباً من قبل رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة(٥).

و بلغ اهتمام الصليبيين بقصب السكر أنهم لم يفرضوا ضريبة على زراعتـه تشـجيعاً لهـا ، فاتسعت مزارعه على طول الساحل من طرابلس إلى صور (٦) ، و ذلك لتوفر الشروط اللازمة لهذه الزراعة من مناخ جيد (٧) ، و تربة خصبة ، و مصادر مياه متوفرة (٨) .

أما الزيتون فقد انتشرت مزارعه في جبل عاملة (٩) و في قريتي المعوقة ، و رشمون التي كانـت

---

(١)بورتشارد، المصدر نفسه، ١٥٠/٣٩.

(٢)وليم الصوري، المصدر نفسه،٦١٤/٢.

(٣)بورتشارد، المصدر نفسه، ١٥٠/٣٩.

(٤)وليم الصوري، المصدر نفسه،٦١٥/٢. ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصـدر نفسـه،ص١٠٥. بورتشارد، المصدر نفسه، ١٥٠/٣٩.

(٥) سعيد البيشاوي ، المرجع نفسه ، ص ٤٠٠.

(٦) زكي النقاش ، المرجع نفسه ، ص١٧٦ .

(٧) **Pierre Michel Bikai .op . cit p 14 .**

(٨)جاك دي فتري ، المصدر نفسه ، ١٤٦/٣٣ . يعقوب الفيتري ، المصدر نفسه ، ٤٧ . يوانس فوقاس ، المصدر نفسه ، ٣٩٣/٣٤.

(٩)شيخ الربوة، المصدر نفسه،ص٢١١.

تسمى بأراضي الزيتون لتميزها بزراعته (١) ، فلا غرابة أن يمتلك رئيس أساقفة صور وحده ٢٠٤٠ شجرة زيتون(٢).

هذا بالإضافة إلى أنواع الفواكه من ليمون و برتقال و تين (٣) و لوز ، و حقول القمح التي كانت على رابية يروي أراضيها نبع رأس العين(٤) بشكل متواصل حتى وقت الظهيرة (٥) .

و من الطبيعي أن توجد بصور ثروة سمكية ، و نعتقد أن هذه الثروة كانت من الكثرة و الغنى لدرجة أن كل من جاء إلى صور حاجاً لبيت المقدس ، أو مؤرخاً من الفرنج أتى على ذكرها ، فوصف فيتلوس هذا السمك بأنه صغير يدعى باسم سريا(Sarae) أو سردين ، و يدعوه السوريون بلغتهم باسم سر(Sar)(٦).

– الصناعة و أهم أنواعها :

ارتبط اسم صور في الماضي بصناعة الأرجوان(٧)، و ظلت هذه الصناعة مرتبطة بمدينة صور خلال الحقبة الصليبية، فكان الصباغ الأرجواني من أغلى أنواع الأصبغة، يدعى الصباغ الأرجواني(الصوري)(٨) ، استخدم لصبغ الأنسجة الحريرية التي تميزت صور بصناعتها ، فكان منها أقمشة بارعة في فنها و زخرفتها، متمتعة بشهرة واسعة، و أحياناً تكون ناصعة البياض ذات جودة عالية ، و قد تفردت صور بإنتاجها على سائر البلاد المحيطة بها (٩) .

أما الشاطئ الرملي لصور فقد كانت أرباضه تستخدم لصناعة الزجاج (١٠) ، الذي كان يفوق بجودته جميع المنتجات التي من هذا النوع، و كان من أفضل أنواع الزجاج المستخدم

---

(١)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصدر نفسه،ص١٠٥.

(٢)سعيد البيشاوي، المرجع نفسه،ص٣٤١.

(٣)بورتشارد، المرجع نفسه،١٤٩/٣٩.

(٤)جاك دي فتري، المصدر نفسه،١٤٦/٣٣. يعقوب الفيتري، المصدر نفسه،ص٤٧. ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصدر نفسه، ص١٠٥. ف.هايد، المرجع نفسه، ١٨٩/١.

(٥)يوانس فوقاس، المصدر نفسه ، ٣٩٣/٣٤.

(٦)فيتلوس، المصدر نفسه، ٣٨٣/٣١. جاك دي فيتري، المصدر نفسه،١٤٦/٣٣. يعقوب الفيتري، المصدر نفسه،ص٤٧.

(٧) **Nina Jidejian.op.cit.p.143.**

(٨)وليم الصوري، المصدر نفسه، ٦١٠/٢. جاك دي فيتري، المصدر نفسه،١٤٨/٣٣.يعقوب الفيتري، المصدر نفسه،ص٤٧.

(٩)الأدريسي، المصدر نفسه،ص٣٦٦.

(١٠)المصدر نفسه، ص٣٦٥.جاك دي فيتري، المصدر نفسه،٢٢٠/٣٣.زكي النقاش، المرجع نفسه،ص١٨٠.

لصنع المزهريات الجميلة الشفافة(١) التي اشتهرت بشكل خاص في العصر الصليبي .

و ثمة سببان لهذه الشهرة : جودة المواد الأولية المستخدمة (البوتاس المستخلص من الرماد) و التي ينتجها البلد نفسه(٢) ، و مهارة الصناع(٣) .

و من الصناعات التي اشتهرت بها صور صناعة السكر ، المادة التي لم يكن يعرفها الصليبيون إلا كدواء (٤)، فكان يصفه وليم الصوري بقوله :

((الإنتاج الثمين و الضروري لفائدة الجنس البشري و صحته))(٥).

لذلك كانت تنال هذه الصناعة عناية و اهتمام من قبل الصليبيين لفائدتها و حاجتهم لها ،وقد وصفها جاك دي فيتري قائلاً :

((قصب السكر هو قصب مليء بالعسل، و يحصل الناس على العصير على درجة عالية من الحلاوة عن طريق سحق القصب بالضغط ثم يتم تكثيف العصير عل النار ، و بذلك يصنع الناس أولاً نوعاً من العسل ثم سكراً))(٦).

و كانت هذه الصناعة مزدهرة في صور حتى مجيء فردريك الثاني هوهنشتافن٦٢٦هـ/١٢٢٨م الذي طلب من المدينة عمالاً يرسلهم إلى "بلرم" في صقلية حتى يستطيع أهلها استعادة التقاليد السليمة في هذه الصناعة (٧) مع العلم أن صور لم تكن وحدها التي تقوم بصناعة السكر، لكن طلب فردريك العمال من صور تحديداً دليلاً على مهارة سكان المدينة بهذه الصناعة ، فقد كان أجود أنواع السكر(٨).

كما اشتهرت صور بأجود أنواع الخمور بسبب توفر الكروم في مزارعها (٩) .

و وجدت فيها معاصر الزيتون التي استثمرت على أساس اقتصادي ، حيث كان يتم استخراج الزيت ثم يرسل إلى الأسواق التجارية في أوربة هذا بالإضافة إلى المطاحن التي كانت موجودة

---

(١)وليم الصوري، المصدر نفسه،٦١٤/٢. بنيامين التطيلي، المصدر نفسه،ص٩٢.

(٢)ف.هايد، المرجع نفسه،١٩١/١.

(٣)جاك دي فيتري، المصدر نفسه،٢٢٠/٣٣.

(٤)ف.هايد، المرجع نفسه،٢٠٣/٤.

(٥)وليم الصوري، المصدر نفسه،٦١٤/٢.

(٦)جاك دي فيتري، المصدر نفسه،١٥٨/٣٣.

(٧)ف.هايد، المرجع نفسه،١٩٧/٤.

(٨)بنيامين التطيلي، المصدر نفسه،ص٩٢.

(٩)شيخ الربوة، المصدر نفسه،ص٢١١. بورتشارد، المصدر نفسه،١٥٠/٣٩.

بشكل خاص في قريتي المعوقة و رشمون (Jen de Mont fort) (١) و قد بلغ عـــددها ستة دواليب كبيرة الحجم (٢).

التجارة : منذ الحملات الصليبية حتى حطين :

شهدت صور بموقعها و مواردها تقدماً تجارياً متميزاً قبل الحقبة الصليبية ، و لكـــن نتيجـــة الحروب ، و الأحوال المضطربة في بلاد الشام قبل الحملات الصليبية أصبح هناك وسطاء جدد يحملون بضائع الشرق إلى أوربة ، فلم تعد صور تحتكر التجارة الدولية كما كانت قـــديماً في العصر الفينيقي ، و فيما بعد في العصور الإسلامية ، بل كان لازماً عليها منافســـة تجـــار دول إيطالية التجارية (٣) ، فإيطالية بحكم موقعها الجغرافي كانت على صلات كثيرة بالشرق ، و قد اشتهرت بعض مدنها الساحلية بارتياد البحر المتوسط ، فكان منها أمـــالفي و ســـالرنو و نابولي(٤).

أما مدن الشمال في إيطالية فقد كان منها البندقية التي حازت الدور الأول ، فازدادت تجارتهـــا نشاطاً واسعاً حتى استطاعت الحصول على امتياز من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنيوس الأول ، و ذلك مقابل المعونات التي تلقاها من دوج البندقية أثناء اعتلائه العرش ســـنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨١ م (٥).

فدول إيطالية لم تكن غريبة عن شواطئ بلاد الشام و عن أهميتها الاقتصادية (٦) لذلك نجدها تستغل ظروف مملكة القدس الناشئة و حاجتها الماسة لنقل العتاد و المؤن اللازمـــة ، و حمـــل الحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس (٧) ، و كانت تشترط ثمناً لمساعدتها تمثل بتنـــازل مملكـــة القدس عن بعض الحقوق و الممتلكات داخل المدينة و في ضـــواحيها (٨) و خاصـــة المـــدن الساحلية التي امتازت بموانئ تجارية هامة .

---

(١)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصدر نفسه،ص١٠٥. سعيد البيشاوي، المرجع نفسه،ص٤٢٩.

(٢)بورتشارد، المصدر نفسه،١٥٠/٣٩.

(٣)فيليب حتي، المرجع نفسه،ص٣٤٨. أ.أشتور، المرجع نفسه،ص٢٤٥-٢٤٦.

(٤)ف.هايد، المرجع نفسه،١١٣/١.أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه،ص١٤٧.

(٥)شارل ديل، البندقية جمهورية أستقراطية ، تر: أحمد عزت عبد الكريم، توفيق اســـكندر،دار المعـــارف١٩٤٨م ،ص٣٠. **Howard L .Adelson.op.cit.p160-161.**

(٦) **Gino Luzzatto.op.cit.p.72.**

(٧)جاك دي فيتري، المصدر نفسه،١٧٨/٣٣. السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه،ص١٧٥.

(٨)أرنست باركر، المرجع نفسه،ص٤٣.

و بما أن صور مدينة بحرية تميزت بمرفأ واسع لحماية السفن الكبيرة فقد اشترك البنادقة في احتلالها سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م، و شكلوا مستوطنة بندقية فيها كانت تتمثل بثلث المدينة الواقع إلى الجنوب الشرقي من صور الحالية (١).

و كان يجلب البضائع تجار مسلمون و مسيحيون محليون (٢) ، ثم يقوم التجار الإيطاليون بشرائها و شحنها إلى موانئ الغرب الأوربي في إيطالية ،و جنوب فرنسة ثم توزع إلى داخل أوربة (٣) .

على هذا أعطت الحركة الصليبية التجاري صفة العالمية (٤) ، حيث بلغت الحركة التجارية ذروة نشاطها أثناء السنوات العشر المتقدمة على تحرير صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م ، إذا اتحد العلم الإسلامي و ساد الرخاء ، و اكتشف الإيطاليون أهمية الموانئ المسيحية الفرنجية أكثر ، و تعلم النزلاء الإيطاليون كيف يعقدون الصداقات مع جيرانهم المسلمين(٥).

و حين زار الرحالة بينامين التطيلي صور سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م وصفها بأنها المدينة التي لا نظير لها في العالم ، و حين تناول حركة التجارة قال : أنها متسعة و أن التجار يقدمون إليها من كافة البقاع و الأنحاء ، و تبدو قيمة إشارته أنها أوضحت مكانة صور التجارية ، و لم تأتِ من جانب مؤرخ صليبي رسمي مثل و ليم الصوري مثلاً ، إنما جاءت من رحالة يهودي أسباني وافد على المنطقة (٦).

– التجارة بعد حطين حتى نهاية الحملات الصليبية :

لكن الحركة التجارية بعد حطين تأثرت بالأوضاع السياسية في المشرق ، و باشتداد المنافسة بين القائمين عليها : جنوة و بيزة و البندقية لاكتساب رضا الحكومات الإفرنجية ، و لعقد المعاهدات طلباً لاحتكار نقل الجيوش و السلع بمراكبهم دون سواهم (٧) .

---

(١)ف.هايد،المرجع نفسه،١٦٤/١.

(٢)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٦١٠/٣.

(٣)كانت البضائع توزع عن طريق البندقية فممر (برنر) إلى كولونية في الداخل حيث المرافئ النهرية : الراين ، و الموانئ على نهر الشمال. زكي النقاش، المرجع نفسه،ص١٨٨.

(٤)عادل زيتون، المرجع نفسه،ص١٢٩.

(٥)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٦٠٩/٣.

(٦)بنيامين التطيلي، المصدر نفسه،ص٩٢.محمد مؤنس عوض الرحالة الأوربيون، المرجع نفسه،ص١٦٦.

(٧)أرنست باركر، المرجع نفسه،ص٤١.

و إذا استطاعت هذه الدول تحقيق النجاح بإقامة توازن بين جميع الأطراف في أيـــام المملكـــة الصليبية الأولى (٤٩١-٥٨٣هـ/١٠٩٩- ١١٨٧م) إلا أنها أخفقت خلال معظم أيام المملكـــة الصليبية الثانية (٥٨٧ — ٦٩١هـ/ ١١٩١- ١٢٩٢م) في عكا ، بسبب المواقف التي اتخذتها هـــذه الدول إزاء الصراعات السياسية التي دبت بين الأمراء الصليبيين الطامعين في عرش المملكة مقابل الحصول على المزيد من الامتيازات و الحقوق التجارية (١) .

و ظهرت هذه الصراعات واضحة حين نشب النزاع بين كونراد و غي على عرش مملكة القدس ، فساند غي البيازنة أنصاره الأوفياء الذين ساعدوه في حصار عكا ، و وقف الجنوية إلى جانب كونراد و ساندوه أثناء حصار صلاح الدين لصور .

و في ٥٨٨هـ/١٦ شباط ١١٩٢م أخاض الجنوية حرباً دامية ضد البيازنة في عكـــا و أرســـلوا إلى كونراد يطلبون منه القدوم للاستيلاء على المدينة ، لكن وصول رتشارد قلب الأسد إليها حال دون ذلك ، فعند وصوله في ٥٨٨هـ/٢١ شباط ١١٩٢م(٢) نظم أمور عكا ، و صالح البيازنة مع الجنوية .

و نتيجة لهذه الحرب حصل كل من البيازنة و الجنوية على مجموعة من الامتيازات التي تضيف أملاكاً كبيرة على الأملاك التي ضمنوها لأنفسهم من قبل (٣) .

و على الرغم من مغادرة غي إلى قبرص إلا أن البيازنة حاولوا القيام بـــبعض الغـــارات علـــى السواحل الصليبية في بلاد الشام بغية الاستيلاء على صور ، و بسب ما قاموا به طردهم هنري دي شامبين من أراضي المملكة الصليبية و قرب الجنوية (٤).

و حين نشب النزاع بين أنصار الإمبراطور فردريك الثاني في صور، و بين بارونات المملكة في عكا وقف البنادقة إلى جانب البارونات، و قدم حاكم البندقية مارسيلو جورجيو سفينة حربية و اشترك بنفسه و معه فرقة مكونة من ثلاثين رجلاً لاستعادة صور من النائب الإمبراطـــوري (فيلانجيري) مقابل اعتراف الملكة (أليس) بضمان حقوق البنادقـــة و أملاكهـــم في المملكـــة بعامة(٥).

---

(١)عادل زيتون، المرجع نفسه،ص١٤٤-١٤٥.

(٢)مؤلف مجهول،حملة رتشارد، المصدر نفسه،١٤٥/٣١-١٤٦. أمبرويز، المصدر نفسه،٤٩٢/٣٣-٤٩٦. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، المرجع نفسه،٨٨٥/٢. عادل زيتون، المرجع نفسه،ص١٤٥.

(٣)ف.هايد، المرجع نفسه،٣٢٠/١-٣٢١.

(٤)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،١٥٧/٣. ف.هايد، المرجع نفسه،٣٢٢/١.

(٥)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه، ملحق٢١٩/٤.. ف.هايد، المرجع نفسه،٣٤٧/١.

و حين تجدد النزاع بين البنادقة و الجنوية في العام٦٥٥هـ/١٢٥٧م أوقف صاحب صور(فيليب مونتفرات) إلى جانب الجنويين و قرّبهم ، و طرد البنادقة من ثلث المدينة، فأصبحت صور المرفأ الوحيد الذي يتزود بالبضائع عن طريق الأساطيل الجنوية، بينما أصبحت عكا مركزاً للبنادقة.

و استمرت الحرب حتى عام٦٦٨هـ/١٢٧٠م فأصبحت التجارة مصدر ضعف سياسي فعلي و شراً و بالاً على مدينتي صور و عكا (١) .

و يؤكد جان دي فيتري أن الجشع التجاري كان أساس هذه المعارك ، و برأيه كان يمكن أن تتحول دول إيطالية التجارية إلى :

((قوة مرعبة للمسلمين فيما لو توقفوا عن غيرتهم و جشعهم ، و لم يستمروا في القتال و الخصام فيما بينهم)) فهم ((يهتمون أكثر بالتجارة و السلع من الاهتمام و الانزعاج من أجل المسيح)) (٢).

– الصادرات و الواردات :

اعتمدت الإمارات الصليبية في عملية التجارة على تصدير منتجات الشرق التي جذبت انتباه الغرب الأوربي، إمَّا لأهميتها أو لجودة صناعتها، فكان منها مادة السكر التي تحدثنا عنها من قبل ، فقد كان معظم ما تستهلكه أوربة من السكر في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر الميلاديين يأتي من الشرق الفرنجي(٣).

و صور إحدى أهم مصانعه(٤) صدرت منه كميات كبيرة إلى أوربة ، هـذا بالإضافة إلى الزجاج الذي امتاز بتقنيته العالمية و جودته الكبيرة (٥).

و كانت تعتمد صور في تجارتها على تصدير أفضل أنواع الأقمشة ذات اللون الأبيض(٦)، و الحرير المصبوغ بمادة الأرجوان، حتى إنَّ أساطيل مدينة البندقية كانت تنتظر حتى يتم الانتهاء من صنع الأقمشة التي يصنعها النساجون السوريون في الحي البندقي في مدينة صور لتقوم بشحنها إلى أوربة(٧) .

---

(١)Rothelin op. Cit .p.117. شارل ديل، المرجع نفسه،ص٥٠. ف.هايد، المرجع نفسه، ١/٣٥٧.

(٢)جاك دي فيتري، المرجع نفسه،٣٣/١٩٦.

(٣)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣/٦٠٢.

(٤)عادل زيتون، المرجع نفسه،ص١٧٤.

(٥)وليم الصوري، المصدر نفسه،٢/٦١٢.

(٦)الأدريسي، المصدر نفسه،ص١٩٠.

(٧)ف.هايد، المرجع نفسه،١/١٩٠.

كما كانت تصدر صور السلع الشرقية الأخرى التي كانت تردها من المدن الداخلية مثل : التوابل و الأصبغة و أخشاب العطور و الخزف و الأحجار الكريمة (١).

أما السلع التي قامت الدول الإيطالية بإحضارها إلى الشرق فتمثلت بالنبيذ و الملح و الحديد و الأخشاب اللازمة لصناعة السفن(٢)، و الرقيق حيث كانت صور سوقاً رئيساً لتجارته في الحقبة الصليبية(٣) .

و مما يُلحق بالتجارة النظام الجمركي و الرسوم المفروضة على البضائع عند دخول القوافل التجارية إلى المدينة أو الخروج منها ، فقد كانت معظم موارد المملكة الصليبية من الرسوم المقررة على التجارة القادمة من داخل البلاد الإسلامية إلى الساحل، لهذا سُمح للتجار المسلمين بإحضار بضائعهم إلى الموانئ الفرنجية(٤) للاستفادة من الرسوم المفروضة على مرور هذه المتاجر، ولذلك نلاحظ وجود بند خاص في المعاهدات الموقعة بين مملكة القدس الصليبية و بين الدويلات الإيطالية يتعلق بإعفاء هذه الدويلات من الرسوم الجمركية المقررة سواء عند دخول المدينة أو الإقامة فيها أو البيع أو الشراء أو المغادرة (٥) .

لكننا نجد تحفظاً من الملك بلدوين الثاني بعد عودته من الأسر في الالتزام بموضوع الجمارك مع البندقية في مدينة صور تحديداً، لأن هذا الالتزام سوف يقلل من إيرادات الصندوق الملكي(٦) .

– النقود :

واجه الصليبيون مشكلة أساسية في الإمارات الفرنجية ، و هي عدم توفر النقود الذهبية، فلجأوا إلى تقليد النقود الفاطمية لتسهيل المعاملات التجارية بينهم و بين المسلمين و لتثبيت أقدامهم في الأراضي المقدسة، و لدفع الفدية بها في حال وقوع أحدهم بالأسر ، و لحسن حظ الصليبيين كانت كلٌ من مدينة طرابلس و أنطاكية و عكا و صور تملك داراً لضرب النقود الفاطمية قبل قدوم الصليبيين ، ففي صور ضربت النقود في زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٥٦٧هـ/١٠٣٦-١١٧١م) و ظلت نقوده هي المتبادلة حتى قدوم الصليبيين (٧) ، و كانت دور

---

(١)ف.هايد، المرجع نفسه،١/١٩٠. أ.أشتور، المرجع نفسه،٣/٦٠٤. Gino Luzzatto.op.cit.p.75.
ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه،٣/٦٠٤.

(٢)شارل ديل ، المرجع نفسه،ص٢٠.

(٣)عادل زيتون، المرجع نفسه،ص١٧٩.

(٤)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣/٥١١.

(٥)وليم الصوري، المصدر نفسه،١/٦٠٣.

(٦)ف.هايد، المرجع نفسه،١/١٥٧.

(٧)رأفت النبراوي، النقود الصليبية في الشام ومصر، القاهرة ١٩٩٦م، ص٢٥-٣٧.

الضرب في صور هي أكثر الدور السورية أنتاجاً قبل سقوطها بيد الصليبيين سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م(١).

و يقول المؤرخ ابن خلكان : ((و لما ملكوا ـيقصد الصليبيين ـصور ضربوا السكة باسم الآمر مدة ثلاث سنين))(٢) ، و هذا يعني أن الصليبيين ضربوا النقود في صور من سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م حتى سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م. والغريب أنّ اسم صور كمكان لسك هذه النقود لم ينقش عليها ، في حين أنّ اسم مصر هو الذي نقش عليها .

و لما كانت صور تابعة للتاج الملكي في القدس فقد أشرف بيت المقدس على إدارة دار الضرب فيها ، فنسبت هذه النقود إلى الملك بلدوين الثاني (٥١٢-٥٢٥هـ/١١١٨-١١٣١م) ، و قد أتت في المرتبة الثانية لأعمال التقليد الصليبية للنقود الفاطمية(٣) ، فنقود البنادقة في صور كانت الأولى من نوعها ، لأن البنادقة ضربوها قبل الملك بلدوين الثاني الذي كان في الأسر(٤).

و ذلك لجذب تجار الشرق و تسهيلاً لمصالحهم التجارية التي كانت تقتضي ذلك ، و أطلق على هذه النقود اسم البيزنت الصليبي (Besants Saracenate)(٥) ، لكنها لم تكن تحوِ من الذهب إلا على ثلثي ما كانت تحتويه الدنانير الفاطمية(٦).

و نقشت عليها الكتابات المسجلة على النقود العربية المتضمنة لفظ الجلالة(الله) ، و اسم النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم ، و أسماء الخلفاء و دور السك الإسلامية ، و التواريخ الهجرية ، كما كان ينقش على النقود العربية(٧).

لذلك سميت هذه الدنانير باسم الدينار الصوري نسبة إلى مدينة صور ، لأنها كانت تتمتع بشهرة واسعة في تقليد الدنانير الإسلامية ، و لم تذكر المصادر العربية اسم الدينار الصوري إلا بعد استيلاء الصليبيين على مدينة صور ، و قد أطلق اسمه على كافة الدنانير المقلدة سواء أكانت دار الضرب عكا أم طرابلس أم أنطاكية أم صور (٨).

---

(١)رأفت النبراوي، المرجع نفسه،ص١٨٥.

(٢)ابن خلكان ، المصدر نفسه، ١٠٣/١.

(٣) رأفت النبراوي، المرجع نفسه،ص٥٠.

(٤)زكي النقاش، المرجع نفسه،ص١٩١.

(٥)رأفت النبراوي، المرجع نفسه،ص٢٥.

(٦)ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٦١٨/٣.

(٧)رأفت النبراوي، المرجع نفسه،ص٢٧. عادل زيتون ، المرجع نفسه،ص١٦٦.

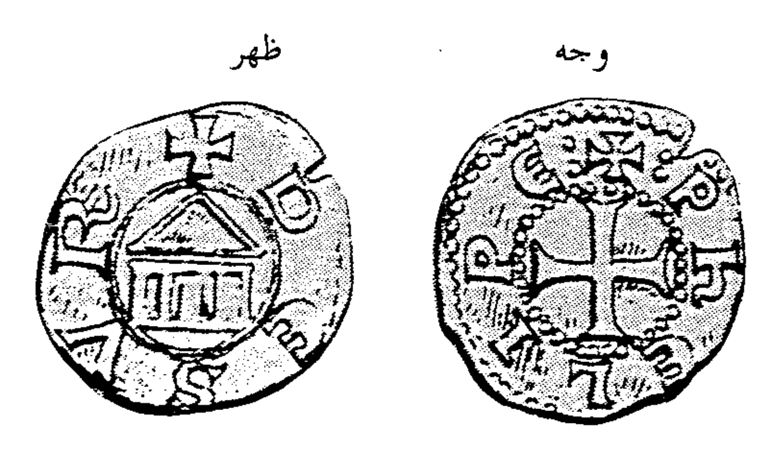
(٨) القزويني، المصدر نفسه،ص٢١٧. رأفت النبراوي، المرجع نفسه،ص٣٥-٣٦.

هذا عن الدنانير التي ضربت تقليداً للدنانير الفاطمية ، و كانت تستخدم للتداول مع الخارج بمنطقة الشرق كلها، أما الدنانير التي ضربت في صور و هي ذات حروف لاتينية فكانت خاصة للتداول المحلي بين الصليبيين داخل الإمارات ، منها الأوبول(١) و الدنيير(٢) ، وقد تميزت بأن على هامش وجهها اسم الأمير الذي أمر بسكها داخل دائرتين ، و اسم دار السك (صور DE. SVR)داخل دائرتين بهامش الظهر(٣) .

و وصلنا منها : النقود النحاسية التي ضربت في عهد فيليب مونتفرات ، حيث يوجد عليها بمركز الوجه صليب كبير ، كما يوجد على هامش الوجه اسم فيليب بالأحرف اللاتينية(PHEL IPE)داخل دائرتين من الحبيبات المتماسكة .

أما الظهر فيوجد عليه صورة مبنى ربما كان قصراً يرمز لمركز كاتدرائية صور ، كما يوجد على هامش الظهر اسم صور بالأحرف اللاتينية (DE . SVR) داخل دائرتين من الحبيبات المتماسكة (٤).

ظهر وجه



.(٥)

أما نقود ابنه يوحنا النحاسية فقد تميزت بوجود صليب كبير على مركز الوجه ، كما يوجد على هامش الوجه اسم يوحنا تبنين بالحروف اللاتينية (IOHS TRO) .

---

(١)الأوبول : نوع من النقود قدرت قيمته في العصور الوسطى بنصف الدنيير . رأفت النبراوي، المرجع نفسه، ص١٣٥، هامش (٢).

(٢)الدنيير: نوع من النقود ضربت من الفضة أو البيلون في أوربة الغربية في عهد الأسرة الميروفنجية . رأفت النبراوي، المرجع نفسه، ص١١٧، هامش(٥).

(٣)المرجع نفسه، ص٢٦٧.

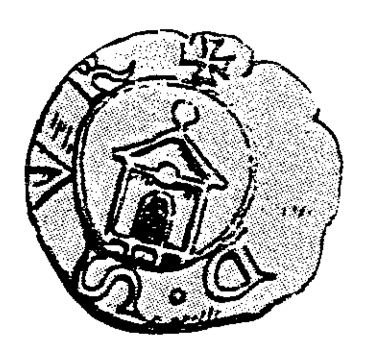
(٤)المرجع نفسه،ص١٤٩.

(٥)المرجع نفسه، ص٣٢٠صورة رقم ٩٦.

أما مركز الظهر فتوجد عليه صورة لمبنى ، كما يوجد على هامش الظهر اسم دار السك صور باللاتينية (S.V.R . DE) داخل دائرتين من الحبيبات المتماسكة ، وهذا النوع ضُرب بعد عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م(١).

وجه ظهر





.(٢)

إن ضرب هذا النوع من النقود في تلك الحقبة لم يكن فقط للتعاملات الداخلية إنما لإظهار نوع من الاستقلالية و الانفصال عن مملكة القدس الثانية و خصوصاً بعد المعارك التي نشبت بين البنادقة و الجنوية و قد انحاز فيها فيليب إلى الجنوية ، و حاول أن يجعل من مدينة صور منافساً تجارياً لمدينة عكا (٣).

ثالثاً : المظاهر العمرانية:

- العمران الصليبي العسكري في مدينة صور :

شكلت المدن البحرية في بلاد الشام مراكز أساسية لوجود الصليبيين في المشرق ، فعلى متانة أسوارها ، و علو أبراجه توقفت إمكانية بقائهم ، لذلك اهتم الصليبيون بهذه المدن ، و كان لصور النصيب الأكبر من العناية بتحصيناتها ، لأنها مرفأ بحري تمتع بمناعة طبيعية و صناعية(٤)، فتميز ((سورها بأنه مزدوج من الجهة الساحلية مزود بأبراج ذات ارتفاعات عالية ، و منفصلة عن بعضها بمسافات متساوية))(٥).

---

(١)رأفت النبراوي، المرجع نفسه ١٥٠.

(٢)المرجع نفسه،ص٣٢١. صورة رقم ٩٧.

(٣)ستيفن رنسمان ، المرجع نفسه٣/٤٠٠.

(٤)ر.س.سميل ، المرجع نفسه،ص٣٠٧.

(٥)وليم الصوري ، المصدر نفسه،٦١٧/٢.

((أما من الناحية الشرقية _حيث يقع الطريق البري المؤدي إليها_ فهو سور ثلاثي (١) ، سماكته خمسة و عشرون قدماً ، و به اثنا عشر برجاً حصيناً(٢) ، سبعة منها ضخمة و عالية جداً(٣) ، و خمسة أقل ارتفاعاً و هي قريبة من بعضها لدرجة أنها تلامس بعضها تقريباً))(٤).
و القلعة متصلة بهذه الأبراج و هي ذات قوة و حصانة ، قائمة فوق صخرة في البحر ، و محاطة بأبراج أيضاً ، فلا يمكن لأحد الاستيلاء على هذه المدينة بغير خيانة(٥).
و قد أحيط سور الجهة الشرقية بخندق واسع يمكن الخروج منه إلى البحر بسهولة من كلا الجانبين(٦).
و مما جعل للسور فعالية دفاعية كبيرة أثناء حصار المدينة أنه كان له مدخلان محروسان ببوابات رباعية ، و أبراج على الطرفين (٧) ، فالباب الأول : من الجهة الشرقية حيث الطريق البري ، و يمكن دخول المدينة عبره بعد اجتياز ثلاثة أو أربعة أبواب كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب(٨).
أما الباب الثاني : فكان في مدخلها الشمالي ، عُرف بباب الجزارين(٩) و كان محروساً بشكل جيد ببرجين بنيا من مجموعة من الأحجار الضخمة ، و هما داخلان في البحر يشكلان مع الجدار المعقود من الجص الميناء الداخلي ، حيث ترسو سفن المدينة (١٠) ، و في الميناء الخارجي ترسو سفن الغرباء و الأجانب ، و بين البرجين باب مزود بسلسلة ضخمة من الحديد تمنع عند اعتراضها الداخل و الخارج ، فلا مجال لدخول المراكب أو خروجها إلا عند إزالتها ، ((و على هذا الباب حراس أمناء ، لا يدخل الداخل ولا يخرج إلا على أعينهم))(١١).

---

(١)مؤلف رهاوي معاصر ، المصدر نفسه، ٤٨٨/٢.
(٢)بورتشارد، المصدر نفسه،١٥١/٣٩.
(٣)سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه ، ٤٠٠/٨.
(٤)وليم الصوري، المصدر نفسه،٦١٧/٢. يعقوب الفيتري، المصدر نفسه، ص٤٧.
(٥)بورتشارد ، المصدر نفسه،١٥١/٣٩. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٨٧/٣-٣٨٨.
(٦)وليم الصوري، المصدر نفسه، ٦١٧/٢.
(٧)ديترخ ثيودريك، المصدر نفسه،٣٧٢/٣٤.
(٨)ابن جبير، المصدر نفسه،ص٣٨٧.
(٩)وليم الصوري ، المصدر نفسه،٦١٧/٢. ديترخ ثيودريك، المصدر نفسه،٣٧٢/٣٤.
(١٠)فيليب دي نوفار، المصدر نفسه،١٨٣/٣٤. ستيفن رنسمان، المرجع نفسه،٣٨٧/٣.
(١١)ابن جبير، المصدر نفسه،ص٣٨٧.

و تميز هذا الميناء بأنه أكبر و أحسن حالاً من ميناء عكا ، ففيه ترسو السفن الكبيرة الحجم ، و هو محمي بشكل تام من كافة أنواع الرياح باستثناء تلك القادمة من الشمال(١).

- العمران الصليبي المدني في مدينة صور :

لم تذكر المصادر اللاتينية و العربية شيئاً مفصلاً عن العمران الصليبي المدني في مدينة صور ، و إنما اكتفت بذكر بعض هذه المنشآت الهامة المتعلقة بالناحية الاقتصادية بالدرجة الأولى .

و من هذه الأبنية خزانات المياه(٢) المنشأة في سفوح الجبال الغربية للاستفادة من مياه الينابيع و قد تحدثنا عنها بالتفصيل أثناء الحديث عن الزراعة .

كما أشارت بعض المصادر إلى أعداد معاصر الزيتون ، و المطاحن التي بلغت ست مطاحن كبيرة الحجم(٣).

أما المنشآت المدنية الأخرى فقد ذكرتها المصادر بشكل مقتضب ، و منها مساكن الدويلات الإيطالية التي كانت مؤلفة من مجموعة مبانٍ أطلق عليها اسم (ruga) أو (vicus) كانت تحوي مقر الإدارة و المحكمة و مستودعاً فسيحاً يعد مخزناً و داراً للبيع(٤).

بالإضافة إلى الخانات و الفنادق التي كانت تؤجرها الجاليات الإيطالية(٥) ، و كنيسة حملت اسم القديس مرقص(٦)، و كنيسة أخرى حولها الصليبيون إلى دار لمعالجة المرضى على صفة البيمارستان في المدن الإسلامية(٧).

و قد ذكر ابن جبير أثناء زيارته لصور وجود مسجدين و خانين معدين لنزول الغرباء من المسلمين ، كما أشار إلى نظافة شوارعها وسككها: ((هي أنظف من عكا سككاً و شوارع))(٨).

---

(١)وليم الصوري ، المصدر نفسه،٢/٦١٧.

(٢)المصدر نفسه، ٢/٦١٤. بورتشارد ، المصدر نفسه، ٣٩/١٥٠.

(٣)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام و العصور، المصدر نفسه،ص١٠٥. بورتشارد، المصدر نفسه، ٣٩/١٥٠. سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه،ص٤٢٩.

(٤)ف.هايد، المرجع نفسه،١/١٤٦.

(٥)زكي النقاش، المرجع نفسه، ص١٩٣.

(٦)شارل ديل، المرجع نفسه،ص١٦١.

(٧)ابن جبير، المصدر نفسه،ص٤٢٠.

(٨)المصدر نفسه،ص٣٨٦.

الخاتمة :

من خلال الاستنتاجات التي توصلت إليها الباحثة ندرك مدى أهمية مدينة صور ، حيث عملت الظروف الجغرافية على تشكيل ملامحها السياسية و الحضارية المميزة .

و لقد تبوأت مركزاً مرموقاً بسبب موقعها كجزيرة هامة من جزر البحر المتوسط ، البحر الذي كان يُعَّد دعامة أساسية في تشكيل اقتصاد المدينة ، فعن طريقه ارتبطت بسلسلة من العلاقات التجارية .

و بسبب خصوبة أراضيها و غزارة إنتاجها الزراعي المتنوع بين حقول القمح و الزيتون ، و كافة أنواع الفواكه و المزروعات .

و مما زاد في أهمية صور اكتشافها للصباغ الأرجواني الذي حمل اسمها ، فكان يقال : الصباغ الأرجواني الصوري ، إضافة إلى براعة سكانها في صناعة المزهريات الزجاجية ذات الشفافية العالية التي صَّدرتها إلى ملوك أوربة.

و اشتهارها بصناعة السكر ، و هو الإنتاج الثمين و الضروري لفائدة الجنس البشري و صحته ، و قد صدرت منه صور الشيء الكثير إلى مستشفيات الغرب الأوربي .

و لم تغفل الباحثة أهمية صور العسكرية ، و القلعة الضخمة ، و قد تابعت الأحداث من الغزو الصليبي حتى سقوطها ٥١٨هـ/١١٢٤م مبينة أهمية تحصيناتها و موقعها الفريد في استمرار مقاومة أهلها للاحتلال قرابة ربع قرنٍ من الزمن .

حيث قام أهلها ببناء سور مزود بأبراج ذات ارتفاع كبير ، و كان هناك خندق واسع لخروج السكان منه إلى البحر من كلا الجانبين .

أما المدخل الشمالي كان مشيد بميناء آمن بين الجزيرة و البر ليصد كافة أنواع الرياح.

كل هذه الأمور جعلت الصليبيين يعجبون بصور و يطاولون التضييق عليها إلى أن تمكنوا من تحطيم هذه المدينة الصخرة بعد خمسة و عشرين سنة من الحروب و الحصارات المتكررة .

و من القضايا الهامة التي حرصت الباحثة على إيضاحها و مناقشتها تتبعها للظروف التي أحاطت بكاتدرائية صور ، فقد أصبحت صور أهم مدن المملكة من الناحية

الاقتصادية و الكنسية أيضاً.

فأمر الاحتفاظ بمدينة صور كمدينة صليبية أدخل تعديلات على الإدارة الكنسية في سورية المحتلة ، فعندما نشبت الحرب بين أنطاكية و القدس حول تبعية رئيس أساقفة صور أقر البابا (باسكال) أن تحتفظ الكنيسة في صور بالمكانة الأولى بين الأساقفة المساعدين التابعين لكنيسة القدس ، و أن يلغي تبعيتها لبطريرك أنطاكية .

و كان يحق لأسقف صور الاحتفاظ بأربعة عشر أسقفاً مساعداً ، لكن البابا لم يكتب إلا إلى ستة أساقفة مساعدين هم : (بيروت و عكا و صيدا و جبيل و طرابلس و طرطوس) ، و هذه حقيقة تحتاج إلى تفسير ، فمدينة بانياس (قيسارية فيليب) لم يكن فيها أسقف ، أما صيدا فقد احتفظت بالصرفند ، و طرابلس احتفظت بالبترون و عرقة و العريمة ، و أنطرطوس المعروفة بطرطوس احتفظت بأسقفتي أرواد و مرقية .

و في مرحلة تالية من الدراسة عني البحث بتسليط الأضواء على قضية بالغة الحيوية و هي : دور صور الثقافي و الفكري في الحقبة الصليبية ، لأن صور كانت مرتكز المملكة ، و أكبر دليل على ذلك احتفال الملك عموري الأول بزواجه في كاتدرائية صور ، كما أصبحت في عهده صاحبة أكبر مركز حضاري و فكري في المملكة ، و بلغت الذروة مع رئيس أساقفتها وليم الصوري الذي جعل من حملات عموري الأول على مصر محور كتاباته التاريخية الأولى ، ثم عدلها إلى كتابة تاريخ عام عن الحروب الصليبية بدأه بمجمع كليرمونت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م.

و عدَّ كتابه من أهم الكتب التي تحدثت عن الحملات الصليبية من وجهة نظر لاتينية ، فهو لم يكن مجرد مؤرخ راقب الأحداث فحسب إنما جرى تكليفه برعاية و تعليم بلدوين الرابع مما مكنه من البقاء على اتصال وثيق بالرجال و الأحداث ، فاستطاع فهم وضع مملكة القدس و موقعها في المسائل الدولية .

و تعرضت الباحثة في الشق التالي من الدراسة إلى جانب آخر له أهميته ، و هو وضع صور السياسي قبل حطين حيث أصبحت معزولة عن المدن الداخلية ، و تحولت الهجمات الإسلامية على أراضيها إلى غارات الهدف منها إثارة القلق عند الصليبيين و

الحصول على غلات المحاصيل الزراعية .

لكن بعد حطين ٥٨٣هـ/١١٨٧م أخذت صور تشغل الدور المنافس مع عكا ، فوقفت بوجه الفتح الصلاحي بقيادة كونراد دي مونتفرات ، و راسلت الغرب الأوربي برسائل ملؤها الصيحات و العويل ، فكانت الحملة الصليبية الثالثة التي انتهت بصلح الرملة .

فبدأت صور بهذا الحدث حقبة جديدة من تاريخها و أصبحت مقراً للنائب الإمبراطوري فردريك الثاني الذي توج في القدس و اضطر إلى السفر من عكا تاركاً وراءه حرباً شعواء استعرت بين نوابه في صور وبين البارونات القدامى بزعامة الإبلينيين في عكا ، و انتهت هذه الحرب بانتصار البارونات و الاستيلاء على صور .

و من الأسباب التي أدت إلى زيادة التفرقة بين الفرنجة و أضعافهم ، و إشعال الحرب الأهلية هو تجمع الدويلات الإيطالية في صور .

هذه الدويلات التي استطاعت بما توفر لها من استقلال ذاتي أن تبقي على مصالحها مع المسلمين دون مراعاة للصالح الصليبي العام ، إلى جانب نمو تأثيرها في الشرق الفرنجي، و اشتراكها مع الجماعات العسكرية الرهبانية في تحديد مسار السياسة الصليبية العامة.

و في هذا الوقت قويت شوكة المسلمين و استعادوا نشاطهم السالف الذي كان أيام صلاح الدين بقيادة المماليك ، هذه الدولة التي نشأت وسط ضجيج المعارك و صرخات الله أكبر أثناء معركة المنصورة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ، فكان الانتصار الكبير على ملك فرنسة لويس التاسع قائد الحملة الصليبية السابعة .

و قادت هذه الدولة الجهاد الإسلامي في البر و البحر ضد عدوين شرسين و كبيرين في وقت واحد هما : الصليبيين و التتار ، و نجحت في القضاء عليها بقوة و اقتدار .

و لم تكن تلك المهادنات التي وقعها المماليك مع الصليبيين إلا خطأً تكتيكياً حربياً دافعه تفتيت القوى الصليبية لمواجهتها بشكل انفرادي ، فكانت المعاهدة الموقعة بين سلطان المماليك قلاوون و بين كونتيسة صور مرجريت ، و هي وثيقة تاريخية بينت بدقة الحالة الاقتصادية و العسكرية المتدهورة التي وصلت إليها مدينة صور في نهاية الحملات الصليبية .

لذلك لم تستطع الصمود بوجه الفتح المملوكي في العام ٦٩٩هـ/١٢٩٠م ، الذي أعادها إلى الحظيرة العربية و أنهى حقبة هامة من تاريخ المدينة العريق.

و فيما يخص بالمظاهر الحضارية في صور فقد قامت الباحثة بسبر أغوار المجتمع في المدينة ، و بما أن التجربة في صور كانت خاصة ، فأن العرب بقوا فيها ، و استمروا بالقيام بدورهم الحضاري ، فشكلوا اليد العاملة في مجال الزراعة و الصناعة ، خاصة صناعة الحرير و الملابس .

و تتبعت الباحثة علاقتهم بالسلطة الحاكمة و خلصت إلى أنهم كانوا أنصاف أحرار قاموا بدفع الضرائب للملك الصليبي و خضعوا له بشكل مباشر .

كما تم التأكيد على أن أهمية الفرنج تكمن في أنهم السادة ، و أنهم أصحاب السلطة ، فظهرت أسر محلية فرنجية في صور ، كان لها الدور البارز فيها ، منها أسرة فولك كونت أنجو ، و أسرة مونتفرات .

لكن ذلك لم يمنع من تأثر الصليبيين بالحضارة العربية لذلك نسوا أماكن ولادتهم ، و أصبحوا من سكان صور بدلاً من الرايم أو تشارتز ، و تمثلوا الحياة الشرقية بكل ما يتفق معها من حب للترف و الزينة .

هذا بالإضافة إلى دويلات إيطالية التجارية ، و خاصة مدينة البندقية التي كانت تمتلك ثلث أراضي صور مع ضواحيها ، وقد شكلت هذه المدن جاليات سكانية قائمة بذاتها، تمتعت باستقلالية قضائية و كنسية و عسكرية خاصة .

و في هذا الصدد انتهت الباحثة إلى أن السمة العامة للبناء السكاني لمدينة صور الصليبية هي التمزق و التشتت ، هذا التمزق كان له دلالاته الخاصة حيث ترك أثاره على الجوانب السياسية و العسكرية و الاجتماعية بل و العمرانية التي شهدتها صور طيلة عصرها الصليبي .

فتعددت بها البيمارستانات و المساجد و الخانات الخاصة بالمسلمين ، بينما أخذ الصليبيون بالاعتناء بتحصيناتها و إعادة بناء أسوارها و أبراجها .

إضافة إلى ذلك أبرزت الباحثة الأهمية الاقتصادية للمدينة ، و أوضحت حقيقة أن

ملحق (١):

رؤساء أساقفة صور اللاتين :

أدو		كانت صور لا تزال بيد المسلمين .
وليم الأول	William1	١١٢٧-١١٣٥م.
فولتشر	Fuleher	١١٣٥-١١٤٦م.
رالف	Ralph	١١٤٦-١١٥٠م.
بطرس الأول أوف برشلونة	Peter 1 of Parcelon	١١٥١-١١٦٤م.
فردريك	Frederic	١١٦٤-١١٧٤م.
وليم الثاني	William 2	١١٧٥-١١٨٦م.
جوسيوس	Joscius	١١٨٦-١٢٠٢م.
كلارمبود أوف براو	Clarembaud of Broies	١٢٠٢-١٢١٥م.
سيمون أوف منجاستل	Simon of Mongastel	١٢١٦-١٢٢٩م.
هيو	Hugh	١٢٣١-١٢٣٤م.
بطرس الثاني سارجنير	Peter 2 of Sarginer	١٢٣٥-١٢٤٤م.
نيقولا لاركات	Nicholos Larcat	١٢٥١-١٢٥٣م.
جيلز	Gilles	١٢٥٣-١٢٦٦م.
يوحنا أوف ماكسنيتوس	John of st.Maxentius	١٢٦٧-١٢٧٢م.
بونا كورسوس دي جلور	Bona cursus de Gloire	١٢٧٢-١٢٩٥م(١).

---

(١) سعيد البيشاوي :

المتلكات الكنسية في مملكة القدس الصليبية ص٤٦٣.

ملحق (٢):

نص المعاهدة الموقعة بين بطريرك القدس و البنادقة أثناء حصار صور في عام ٥١٨/١١٢٤م:

بما أنه لا يمكن إهمال أية وثيقة لها صلة بحوادث جرت في الأزمان الغابرة ، يجب أن ندرج هنا ، كدليل هام تم إجراؤه ، نسخة عن الامتيازات التي يحتويها صلب الاتفاق المعقود بي البنادقة و قادة مملكة القدس و هي على النحو التالي :

" باسم الرب الثالوث الذي لا يتجزأ ، الآب و الابن و الروح القدس . عندما كان البابا كالكستوس الثاني و هنري الرابع ، الإمبراطور الجليل للرومان يحكمان الأول الكنيسة في روما و الآخر الإمبراطورية تم التوصل بمشيئة الرب إلى سلام في مجلس عقد في العام نفسه في روما بين الكنيسة و الدولة حول التراع على الخاتم و الصولجان ، قدم دومنغوميشلي دوج البندقية و دالماشيا و كرواتيا ، و الأمير الإمبراطوري ، رفقة حشد كبير من الفرسان وأسطول قوي من السفن قدم كمنتصر للدفاع الضروري عن المسيحيين ، و كان قد قدم مباشرة بعد انتصاره على الأسطول الوثني لملك بابليون الذي قد أنزل به دماراً مريعاً عندما رسا أمام سواحل عسقلان التي بدون موانئ .

و كان بلدوين الملك الثاني للقدس يقبع في هذه الآونة مع آخرين كثر بسبب آثامنا في شراك الكفار أسيراً لدى الفرثيين و لذلك كوننا نحن غورموند بنعمة الله بطريرك مدينة القدس المقدسة مجتمعين في كنيسة الصليب المقدس في مدينة عكا مع الأخوة من الأساقفة المساعدين من كنيستنا و مع وليم دي بري شحنة القلعة و مع المستشار بتر و بالاشتراك مع القوات المتحالفة للمملكة بأسرها ، أعلن تأكيد وعود الملك المذكور بلدوين وفقاً للاقتراحات المقدمة في رسائله وكتبه التي كان الملك نفسه قد أرسلها من قبل بوساطة رسله إلى البندقية إلى دوج البندقية هذا نفسه ، و لقد أعطينا هذا بأيدينا و بأيدي الأساقفة و المستشار مع قبلة السلام أيضاً حسبما تطلبت مترلتنا ، كما رضي جميع النبلاء ، المدرجة أسماؤهم أدناه و وافقوا مقسمين على الكتب المقدسة للرسول مرقص عليه السلام و للدوج الآنف الذكر و خلفائه من بعده و لأهالي البندقة و على شروط المعاهدة كما هي مكتوبة أدناه بحيث ستبقى هذه الوعود ،

كما هي مكتوبة أدناه تماماً بدون تناقض ، ثابتة وسليمة في المستقبل له و لشعبه إلى الأبـــد .
آمين.

سيحصل البنادقة على كنيسة و شارع كامل لهم وساحة وحمام وفرن يحتفظون بها بحق وراثي إلى الأبد خالصين من الضرائب كما هي حال أملاك الملك الخاصة ، وذلك في كل مدينة تابعة للملك المذكور آنفاً و تحت حكم خلفائه أيضاً ، و في جميع مدن باروناته .

هذا و سيمتلكون في الساحة في القدس بقدر ما اعتاد الملك على امتلاكه ، لكـــن إذا رغـــب البنادقة في أن يقيموا في حيهم في عكا ، فرناً و طاحوناً و موازين و مكاييـــل و أواني لكيـــل الخمر و الزيت و العسل فينبغي أن يسمح بحرية و دون اعتراض ، و لكل شخص مقيم هناك أن يطبخ و يطحن أو يستحم تماماً كما يسمح بحرية في ممتلكـــات الملـــك ، و يمكنـــهم أن يستخدموا المكاييل و الموازين و أواني الكيل على النحو التالي : عندما يتاجر البنادقة مع بعضهم بعضاً فعليهم أن يستخدموا مكاييلهم الخاصة ، أي مكاييل البنادقة و عندما يبيع البنادقة سلعهم إلى الشعوب الأخرى ، عليهم أن يبيعوا بمكاييلهم الخاصة ، أي بمكاييل البنادقة إلا أنه عنـــدما يشتري البنادقة و يتلقون أي شيء بالمتاجرة من أي شعب أجنبي من غير البنادقة ، فيسمح لهم أن يأخذوه بالمكيال الملكي وبسعر محدد ، وبسبب هذه الامتيازات لا يحتاج البنادقة أن يدفعوا أية ضريبة مهما كان نوعها سواء أكان ذلك وفقاً للعرف أو لأي سبب مهما كـــان نوعـــه ، سواء على الدخول أو البقاء أو الشراء أو البيع ، و سواء أثناء بقائهم هناك أو عند رحيلهم ، و لا يحتاجون لأي سبب مهما كان نوعه أن يدفعوا أية ضريبة فيما عدا عندما يذهبون و يجيئون وهم يحملون حجاجاً على مراكبهم ، و في هذه الحالة عليهم أن يدفعوا ـــوفقاً لأعراف الملكـــ الثلث للملك نفسه.

و بناء عليه إن ملك القدس و نحن جميعاً نوافق نيابة عن الملك أن ندفع لدوج البندقيـــة مـــن عائدات مدينة صور في يوم عيد الرسولين بطرس و بولس ثلاثمائة قطعة ذهبية إسلامية في كل عام كما اتفق على ذلك .

و علاوة على ذلك ، فأننا نعدك ، يا دوج البندقة ، مع شعبنا بأننا لن نأخذ شيئاً إضافياً مـــن الشعوب التي تتاجر معك بشكل يتجاوز ما اعتادوا أن يعطوا و بقدر ما نتلقـــى مـــن الـــذين يتاجرون مع شعوب أخرى .

و بالإضافة إلى ذلك ، فإن ذلك الجزء من الموقع ذاته و شارع عكا و الذي يوجد في طرف منه

منزل بطرس زني Zanni و في الطرف الأخر دير القديس ديمتروس ، و قسماً آخر أيضاً من الشارع ذاته الذي فيه منزل خشبي واحد و منزلان مبنيان من الحجارة اللذان كانا من قبل كوخين مقامين من القصب ، و هما الشيئان نفسيهما اللذان منحهما ملك القدس بلدوين في الأصل إلى مرقص المبارك و إلى الدوج أوردولافو و خلفائه بسبب الفوز بمدينة صيدا فإني أقول إننا نمنح هذه الأماكن للقديس مرقص ولك يا دومنغو ميشلي دوج البندقية و لخلفائك بهذه الوثيقة ذاتها ، و نمنحك السلطة الأبدية في امتلاكها و التصرف بها كما تشاء ، و نمنحك السلطة ذاتها تماماً على القسم الآخر من الشارع ذاته و الممتد بخط مستقيم من منزل برنارد دي نيوفشاتل ، الذي كان يخص من قبل جون جوليان ، و حتى منزل غلبرت صاحب يافا من أسرة القديس لو ، و نمنحك السلطات نفسها التي يتمتع بها الملك و أضف إلى هذا أنه لا يحتاج أي واحد من البنادقة في سائر أنحاء مملكة الملك أو في ممالك باروناته أن يدفع أية ضريبة سواء في الدخول أو الإقامة هناك أو الخروج لأي ذريعة و بل يكون حراً كما في البندقية نفسها.

و إذا تعرض أحد البنادقة لدعوى قضائية أو أي تشريع حول أي عمل ضد بندقي فيجب أن يتم الفصل في هذه الدعوى في محكمة البنادقة و أن يشعر أي امرئ أيضاً لديه نزاع أو دعوى قضائية ضد أي واحد من البنادقة فيجب أنة يتم الفصل في الدعوى في المحكمة ذاتها للبنادقة لكن إذا ما تقدم بندقي بشكوى ضد أي إنسان من غير البنادقة فيجب أن تُحسم الدعوى في المحكمة الملكية ، و عندما يموت بندقي سواء كان قد ترك وصية أو لم يترك (ما نسميه بدون لسان) تصبح ممتلكاته واقعة تحت إشراف البنادقة ، و إذا ما غرق أي من البنادقة فلن يعاني من خسارة أي من ممتلكاته ، و إذا مات في حطام السفينة ، ترسل الممتلكات التي يخلفها لورثته أو لبنادقة آخرين ، و علاوة على ذلك ، فسيحصل البنادقة على السلطات القضائية ذاتها و على الحقوق نفسها على منطقة أي سكان يعيشون في شارع و منازل البنادقة مثلما للملك سلطات على شعبه.

و أخيراً ، سيحصل البنادقة على ثلث كل من مدينتي صور و عسقلان مع تابعهما ، و ثلث من جميع الأراضي التابعة لهما بدءاً من عيد القديس بطرس ، و ينطبق هذا فقط على أراضي تخضع حالياً للمسلمين و لم تنتقل إلى سيطرة الفرنجة بعد ، و سيحتفظ البنادقة بحق وراثي إلى الأبد و بحرية و بسلطات ملكية بثلث إحدى هاتين المدينتين أو كليهما إذا منح الروح القدس بمشيئة الرب و بمساعدة البنادقة ، أو بأية و سائل أخرى ، أيا من هاتين المدينتين ، أو كليهما لسيطرة

المسيحيين و ذلك دون عائق أو تأخير ، تماماً كما يحتفظ الملك بالثلثين .

و لذلك ، نحن غورموند ببطريرك القدس سنعمل ما بوسعنا على إطلاق سراح الملك من الأسر بمعونة الرب ليصادق على الاتفاق المذكور أدناه ، و إذا ما جرى تعيين شخص آخر مكان الملك على مملكة القدس ، فسنجعله يصادق على الوعود المبينة أعلاه ، قبل استلامه العرش ، كما قيل من قبل ، و إلا فلن نوافق بأية حال على اعتلائه العرش ، كما سيصادق خلفاء البارونات أيضاً و أي جدد في المستقبل على الاتفاق ذاته و بالطريقة نفسها .

و أما بخصوص أنطاكية ، فأننا نعرف تماماً أن الملك بلدوين الثاني وعد بأنه سيعطيكم أيها البنادقة في إمارة أنطاكية و في ظل المعاهدة نفسها ، أي : أنه سيكون هنالك في أنطاكية الإجراء نفسه كما في بقية المدن التي تخص الملك إذا كان أهالي أنطاكية راغبين بالفعل بالمصدقة على الاتفاق الملكي المعقود معكم ، و نمنحكم ، نحن ، غورموند ، بطريرك القدس مع أساقفتنا و رجال الدين التابعين لنا و البارونات و أهالي القدس ، نصيحتنا و مساعدتنا و وعدنا أن ننفذ بعقيدة مقدسة كل ما سيكتبه البابا لنا بخصوص هذا و أن نرعى جميع المسائل الأنفة لمصلحة البنادقة و مكانتهم .

أنا غورموند بنعمة الرب بطريرك القدس أؤكد هذه الأشياء المكتوبة أعلاه .

أنا برنارد أسقف الناصرة أؤكدها مثله. أنا اشنتنوس أسقف بيت لحم أؤكدها مثله .

أنا روجر صاحب اللد ، أسقف القديس جورج أؤكدها مثله .

أنا غلدوين راعي دير القديسة ماري في وادي يهوشافاط أؤكدها مثله .

أنا غيرارد المشرف القانوني على القبر المقدس أؤكدها مثله .

أنا أيكارد المشرف على هيكل الرب أؤكدها مثله .

أنا أرنلد المشرف على جبل صهيون أؤكدها مثله .

أنا وليم دي بري قائد القوات الملكية أؤكدها مثله .

صدر في عكا بيد بتر مستشار ملك القدس في سنة ١١٢٣م في الألف الثاني .(١).

---

(١) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية ، ١/٦٠١-٦٠٥.

ملحق (٣):

رسالة فرسان الداوية إلى الغرب الأوربي :

و كتب فرسان الداوية الرسالة التالية إلى المسيحيين :

" يا للأسف ، ما من رسائل أو صوت نائح يمكنه أن يصف ، أو أن يعدد المصائب التي أنزلها علينا غضب الرب ، نتيجة لإثارته بذنوبنا فلقد حشد الأتراك جيشاً كبيراً من شعبهم و غزوا المملكة المسيحية ، و حشدنا نحن قواتنا ، و زحفنا في يومي ٣ و٤ تموز و قاتلنهم ، و تحركنا باتجاه طبرية التي استولوا عليها بالقوة ، و ذلك باستثناء القلعة فقط ، و لقد ساقونا ناكثين نحو شعب جبلي مرعب جداً ، و هزمنا هزيمة شنعاء حتى أن صليب الصلبوت تم الاستيلاء عليه ، و قتل ملك القدس ، و كذلك مقدمنا ، و معهما جميع جيشنا تقريباً و إخواننا ، و نحن على هذا نعتقد أن مائتين و ثلاثين رجلاً قطعت رقابهم في ذلك اليوم ، و ذلك دون أن نذكر الستين الذين قتلوا في الأول من أيار ، و كان كونت طرابلس ، و اللورد أرناط صاحب صيدا ، و اللورد بالين (أوف ابلين) و نحن أنفسنا قد نجونا من ذلك المعترك المأساوي ، بكل صعوبة ، و وصلنا من هناك و نحن ممرغون بالدم المسيحي .

و قد ذهبوا و معهم جيشهم كله إلى عكا ، ثم استولوا على مجمل المنطقة تقريباً ، مبقين القدس و عسقلان وصور في أيدينا ، و قد قتل جميع سكان هذه الأماكن في المعركة ، و ما لم تصلنا المساعدات الربانية و عون الناس الشرفاء بكل سرعة ، لن نكون قادرين على الصمود في وجوههم ، و صور محاصرة حصاراً شديداً في هذه اللحظة ، و هم يقاتلون باستمرار ليلاً و نهاراً ، و هم في أعداد عظيمة إلى حد أن جميع المنطقة من صور إلى القدس نزولاً إلى غزة ، تبدو و كأنها عش نمل (١).

---

(١) الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية . د: سهيل زكار . ٢٠٦/٣٠ .

ملحق (٤) :

نص الرسالة التي أرسلها الإمبراطور الروماني فردريك بربروسا إلى صلاح الدين الأيوبي في العام : ٥٨٤ هـ/ ١١٨٨م :

(([نحن] فردريك ، بنعمة الرب إمبراطور الرومان ، المهيب الدائم ، و المنتصر المجيد على أعداء الإمبراطورية [و الحاكم السعيد للمملكة كلها]، إلى صلاح الدين اللامع ، و حاكم المسلمين ، عله يتعظ بفرعون ، و لا يلتمس القدس .

لقد تسلمنا الرسائل التي أرسلها حضرتكم إلينا منذ وقت طويل مضى ، حول مسائل ثقيلة و هامة ، و كان من الممكن أن تستفيد منها ، لو أمكن الاعتماد على كلامك ، الذي بات واضحاً لجلالتنا ، و كنا على نية الإجابة على اتصالاتكم برسالة تليق بعظمتكم ، و لكن بما أن الآن دنست الأرض المقدسة ، التي هي خاضعة لحكمنا بموجب التخويل من الملك السرمدي ، و بحكم كوني الوصي على اليهودية ، و السامرة و فلسطين ، فإن هذا يدفع مكانتنا الإمبراطورية للمبادرة بالزحف ضد أعمال الاغتصاب المجرمة و الشريرة بكل سرعة ة فعالية ، و بناء عليه إنك ما لم تقم قبل كل شيء بإعادة الأرض التي استوليت عليها ، و بإعطاء تعويضات مرضية ، تتوافق مع القوانين المقدسة ، من أجل هذه التجاوزات العدوانية ، و لكي لا نظهر بإثارة حرب غير شرعية ، فإننا نعطيك مهلة من الأول من تشرين الثاني ، مقدارها اثني عشر شهراً ، و إنك بعدها سوف تجرب حظ الحرب ، في ميدان صوعن ، و ذلك بفضل الصليب المانح للحياة ، و باس يوسف الحقيقي ، لأننا لا يمكن أن نصدق إلا بصعوبة بالغة أنك جاهل بما تحدثت عنه الكتابات الماضية و القديمة و شهدت عليه ، فهل يمكنك أن تدعي أنك لا تعرف بأن كل من الأحباش ، و الموريتانيين ، و الفرس ، و السكيزيين ، و الفرثيين كانت بلادهم التي لاقى فيها قائدنا ماركوس كراسيوس موتاً قبل أوانه ، و أن اليهودية و السامرة و العربية ، و الجزيرة ، و العراق ، و مصر هي [من المخجل القول أن موطناً رومانياً هو أنطونيوس ، الرجل الذي تمتع بفضيلة واحدة ، لأنه تجاوز حدود ضبط النفس ، و عمل ضد ما كان ينبغي عمله بحكم كونه جندياً أرسل من قبل دولة عظيمة ، و قد أخضعها لحبه غير الطاهر لكليوبترا ، و هل يمكنك أن تدعي أنك لا تعرف بأن] أرمينيا مع بلدان أخرى لا تحصى هي خاضعة لسلطاننا ؟ فهذا أمر معروف بشكل جيد بالنسبة إلى أولئك الملوك الذين غالباً ما تلطخ السيف الروماني بدمائهم و أنت شئت أم أبيت سوف تعلم بالتجربة قدرة نسورنا المنتصرة ، و

وستصبح عارفاً بعساكرنا المكونة من عدد كبير من الشعوب منها : الغاضبين الألمان ، و الشرسين من الراين ، و الشباب من ضفاف الدانوب ، الذين لايعرفون كيف يفرون ، و البافاريين أهل الأبراج ، و السوابيين البارعين ، و الفرنجة الحذرين ، و أهل سكسوني الذين رياضتهم هي استخدام السيف ، و التورنجيين ، و الوستفاليين ، و البربانتيين النشطين ،و اللوريين الذين غير معتادين على اللام ، و البيرغنديين الحادين ، و سكان جبال الألب الرشيقين ، و الفريزونيين مع خناجرهم و أسواطهم ، و البوهيميين الجاهزين دوماً لموت شجاع ، و البولونيين الأشجع من أشجع الحيوانات المفترسة ، و أهالي النمسا ، و ستيريا ، و روانيا ، و استيريا ، و روكمفيا ، و إليريا ، و لومبارديا ، و توسكانيا ، و أخيراً ، من المؤكد أنك سوف تتعلم كيف أن يميننا _ التي تفترض أنها ضعفت بسبب تقدم السن _ ما تزال قادرة على استخدام السيف ، في ذلك اليوم ، الذي هو يوم الاحترام و السرور ، الذي تقرر من أجل نصر قضية المسيح))(١) .

(١) روجر أوف ويندوفر ، ورود التاريخ ، المصدر نفسه ، ج ٣٩ /٣٢٢-٣٢٣.

ملحق (٥) :

نص جواب صلاح الدين الأيوبي إلى الإمبراطور فردريك :

((إلى الملك الكبير ، و الصديق المخلص ، فردريك اللامع ملك ألمانيا : بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الواحد الأحد ، القادر ، القاهر ، و الباقي ، الذي ليس لملكه من نهاية .

نحمده دوماً ، الذي نعمته على العالم كله ، و ندعوه ليترل شآبيب رحمته على جميع أنبيائه ، و خاصة على معلمنا ، رسوله النبي محمد صلى اله عليه و سلم ، الذي أرسله بالدين الصحيح الذي هو سيظهره على الدين كله ، و نود أن نعلم الملك المخلص و القوي ، الذي هو صديقنا اللطيف ، ملك ألمانيا ، أنه قد وصل إلينا رجل اسمه هنري ، ادعى أنه رسولكم ، و أعطى إلينا رسالة ، قال بأنها من يدكم ، و لقد أمرنا بقراءة الرسالة ، و سمعنا منه كلاما تفوه به ، و الكلام الذي تفوه به جاوبناه أيضاً عليه بكلام ، و إليكم الآن جواب رسالتكم : لقد عددتم الذين تحالفوا معكم للقدوم ضدنا ، و سميتهم ، و ذكرت اسم هذه البلاد ، و اسم تلك البلاد ، و هذا الكونت ، و بينت وجود كذا من رؤساء الأساقفة ، و المركيزات ، و الفرسان ،و إذا ما رغبنا أن نعدد الذين هم في خدمتنا ، و الذين يستجيبون لأوامرنا ، و الذين يطيعون كلامنا ، و الذين سيقاتلون من أجلنا لطالت القائمة حتى لا يمكن وضعها كتابة ، و إذا ما أحصيت عدد أسماء المسيحيين ، فإن عدد المسلمين أكبر من عددهم ، لا بل هم ضعف أضعاف المسيحيين ، و إذا كان البحر يقوم بيننا و بين الذين سميتهم مسيحيين ، و إذا كان البحر يقوم بيننا و بين الذين سميتهم مسيحيين ، ليس هنالك من بحر يفصل بين المسلمين ، الذي لا يمكن تعدادهم ، و بيننا و بين الذين سيقدمون لعوننا ليس هناك من عوائق ، و يوجد لدينا البداة ، البداة و الذين سيكونون بهم وحدهم كفاية لمواجهة أعدائنا ، و التركمان ، الذين يمكنهم من دون مساعدة تدميركم ، حتى فلاحينا ، إذا ما أمرناهم ، فإنهم سوف يقاتلون بشجاعة ضد الشعوب التي ستأتي لغزو بلادنا ، و لسوف تسلبهم ثرواتهم ، و تفنيهم ، أوليس لدينا في جانبنا العساكر الذين يحبون القتال ، و الذين بواسطتهم فتحنا البلاد و حصلنا عليها ، و أخرجنا أعداءنا و طردناهم ؟ و هؤلاء جميعا و كل الملوك المسلمين لن يتأخر عندما نحشدهم ، و لن يتقاعسوا عندما نستدعيهم ، و عندما سيتم حشد عساكرك ، كما ذكرت في رسالتك ، و لدى قيامك بقيادتهم ، كما أخبرنا رسولك ، فإننا سوف نواجههم بقدرة الله ، كما أننا لن نكتفي بالأراضي القائمة على شاطئ البحر ، بل سوف نعبر نحوكم ــ بمشيئة الله ــ و نأخذ منكم أراضيكم بعون الله وقدرته ، لأنك أن كنت ستقدم ، سوف تقدم مع جميع قواتك و نحن

نعلم أنه لن يبقى في وطنك أحد للدفاع عن أنفسهم ، أو للقتال من أجل بلادهم ، و عندما سيعطينا الله بقدرته النصر عليكم ، لن يبقى لنا نحن عمل نقوم به سوى الاستيلاء على أراضيكم ، بقدرته تعالى ، و مشيئته ، لأن المسيحيين المتحدين قد جاؤوا مرتين ضدنا في مصر ، مرة إلى دمياط ، و ثانية إلى الإسكندرية ، [و كان هناك أيضاً في ساحل بلاد القدس أراضي بيد المسيحيين ، و في بلاد دمشق ، و في بلاد المسلمين و كان في كل حصن صاحب له عرف مصالحة] ، و أنت تعرف كيف أن المسيحيين قد عادوا في كل مرة ، و إلى أية نتائج قد وصلوا ، هذا و يحتشد قومنا و يجتمعون مع بعضهم في بلادهم ، و قد زود الله بلادنا بالوفرة ، و وحدها بالطول و العرض تحت سلطاننا ، فبلاد مصر مع متعلقاتها و بلاد دمشق ، و ساحل القدس ، و أرض قيسارية مع قلاعها ، و بلاد الرحبة مع متعلقاتها ، و بلاد الهند مع متعلقاتها ، هي بنعمة الله في أيدينا ، و بقية ملوك المسلمين هم في سلطنتنا ، لأننا إذا ما أردنا أن نأمر الملوك اللامعين للمسلمين فإنهم لن يتخلوا عنا ، و إذا ما حثثنا خليفة بغداد [حفظه الله] للقدوم إلى عوننا ، فلسوف ينهض عن سرير دولته العظمى و يقدم لمساعدة سعادتنا ،و يضاف إلى هذا ، نحن تملكنا بفضل عون الله القدس و أراضيها ، و المتبقي هناك هو ثلاثة مدن بأيدي المسيحيين هي : صور،و طرابلس،و إنطاكية،و لذي بقي علينا هو و جوب احتلالهم أيضاً و إذا كنت تريد الحرب ، و إذا كان الله قد أراد لنا أن نحتل جميع بلاد المسيحيين ، فإننا سوف نلقاك بمشيئة الله ، كما قد كتب في رسالتنا ، و لكن إذا كنت تطلب منا سلاماً حقيقياً فما عليك إلا أن تأمر أصحاب هذه الأماكن المذكورة أعلاه ، بتسليمها لنا من دون مقاومة و نحن بالمقابل سوف نعيد إليكم صليب الصلبوت،و جميع الأسرى المسيحيين في بلادنا كلها ، و سوف نكون بسلام معكم،و لسوف نسمح لكم بوجود كاهن واحد في الضريح و لسوف نعيد الديرة التي كانت موجودة في أيام المسلمين،و سنحسن إليهم،و سنسمح للحجاج بالوصول خلال حياتنا،و سنكون في حالة سلم معكم،و إذا كانت الرسالة التي وصلت إلينا على يدي هنري،هي رسالة الملك ، فقد كتبنا هذه الرسالة جواباً لها،و كتبي هذه الرسالة في سنة ٥٨٤ لهجرة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم بفضل الله الواحد و حفظ الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم و أمته،و حفظ الله حياة و سلامة مخلصنا،مولانا اللامع،و الملك المنتصر و معطي الوحدة،و الكلمة الصادقة،و الحامل للواء الإسلام و المسلمين خادم الحرمين الشريفين و الحرم القدسي الشريف أبو المظفر الناصر يوسف بن أيوب محيي ذرية المروانيين))(١).

---

(١) روجر أوف ويندوفر ،ورود التاريخ ، المصدر نفسه ، ج٣٩/٣٢٤-٢٢٦.

ملحق (٦) :

نص المعاهدة الموقعة بين السلطان قلاوون و كونتيسة صور مرجريت في : ١٤ جمادى الأولى ٦٨٤ هـ/١٨ تموز ١٢٨٥م:

بسم الله الرحمن الرحيم :

استقرت الهدنة المباركة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا و الدين ، سلطان الإسلام و المسلمين أمير المؤمنين و ولده ، و ولي عهده المولى السلطان الملك الصالح علاء الدنيا و الدين على خليل أمير المؤمنين ، و ولده الملك /الأشرف صلاح الدين خليل _خلد الله سلطانهما و أدام دولتهم_ و بين الملكة الجليلة دام مراريت بنت سير هري بن الإبرنس بيمند(١) مالكة صور حال استقرار هذه الهدنة و نائبها بمملكة صور ، و هو القُومص الجليل سير ريمون بكند لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات أولها // يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الأول سنة أربع و ثمانين و ستمائة للهجرة النبوية صلوات الله على صاحبها و سلامه ، الموافق لثامن عشر تموز سنة ألف و خمسمائة و ستة و تسعين للإسكندر بن فيليبس اليوناني ، و أخرها الرابع عشر من جمادى الأول من سنة أربع و تسعين و ستمائة الموافق للثامن عشر من تموز سنة ألف و ستمائة و خمسة للإسكندر ، يتبع بعضها بعضاً ، على حكم ما استقر عليه الحال إلى آخر أيام الملك الظاهر _رحمه الله_ متتاليات الساعات و الأيام و الشهور و السنين إلى أخرها على جميع البلاد الإسلامية الداخلة في ممالك بلاد مولانا السلطان سيف الدنيا و الدين // قلاوون الصلاحي ، قسيم أمير المؤمنين ، وبلاده و قلاعه و مدنه وحصونه ، و ما اشتملت عليه مملكة الديار المصرية ، و ما فيها من الثغور و السواحل و القلاع و المدن ، و المملكة الشامية ، و ما اشتملت عليه من الثغور و القلاع و الحصون و المدن ، و الثغور الساحلية ، و ما اشتملت عليه من الحصون ،و من برور و من / مواني ، و من بلاد .

و البلاد البعلبكية و الحمصية و الحموية و الفتوحات الشريفة بحصن الأكراد و حصن عكار ، و ما يضاف إليها ، و دخل في جملتها من ثغور و بلاد معاهديه و حصون و برور و سواحل ، و المملكة الحلبية و الفتوحات الأنطاكية ، و ما هو مجاور لصور من المملكة الصفدية و الشقيفية (٢) و غيرها // من القلاع و الحصون و البلاد ، على كل ما هو داخل في مملكة

---

(١)أي أنه كتب مراريت بدلاً من مرجريت ، و هري بدلاً من هنري.

(٢)الشقيف المعروفة بشقيف أرنون ، وشقيف تيرون ، و شقيف دير كوش.

مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا و الدين من ممالك و حصون و قلاع و ثغور و مدن و قرى و سواحل و مواني و برور ، قريبها و بعيدها ، سهلها و جبلها ، عامرها و دائرهـا ، غورها و نجدها ، شرقها و غربها ، يمنها وحِجازها شآميها و مصريها ، و ما تشتمل عليه من قرى و مزارع و انهار و طواحين ، و أبراج و بساتين ، و على من حوته هذه الممالك و تحويه من عساكر و جند و رعايا و عرب و تركمان و أكراد و فلاحين و سائر أجناس الناس أجمعين على اختلاف أجناسهم و تغاير أشكالهم و أديانهم ، و على أمولهم و مواشيهم علـى تغـاير //أصوافها و أوبارها و الأموال على تغاير أجناسها .

تكون هذه الممالك المذكورة ، و ما اشتملت عليه ، و من فيها من سائر الناس الساكنين بها و القاطنين و المترددين إليها ، و منها وفيها من التجار و السُفّار آمنين مطمئنين على أنفسـهم و أموالهم و مواشيهم في حالتي صدورهم و ورودهم وسفرهم / و إقامتهم ، و ما لمعاهديه مـن البلاد و الجهات ، و ما سيفتحه الله على يد مولانا السلطان المنصور ، و على يد أولاده و يد عساكرهم و جنودهم ، و جيوشهم من الحصون و البلاد و القلاع يجري عليها و على من فيها حكم هذه الهدنة المباركة إلى آخر مدَّتها ، و على بلاد الملكة دام مراريت بنت سرهري// بن الابرنس بيميند المعينة لها خاصاً و مناصفة في هذه الهدنة ، و هي مدينة صور و ما دارت عليه أسوارها و ضواحيها خاصة ، و ما فيها من الأراضي التي تزرع فيها البقـول و الأقصـاب و المعاصر التي لا دمنة لها ، و هي المعوقة و رشمون(١) ، ـأراضي الزيتونـ من الضواحي التي لا دمنة لها ، و بستان / العوجا الذي لا دمنة له ، و الحكورات و الطواحين التي حول مدينة صور تكون هذه الضواحي المذكورة بما فيها من أراضي الأقصاب و مزارع البقول و المعاصر التي من جملة الضواحي خاصة لصور . و ذلك بشرط أن تكون رشمون و المعوقة و بسـتان العوجـا أراضي من ضواحي صور بغير دِمَن ، و لا // قُرى ، و على أن يكون لمولانا السلطان الملـك المنصور و لأولاده السلطان الملك الصالح و الملك الأشرف نصرهم الله خاصاً لهـم الخمـس الضِّياع من ضياع صُور من أجودها و أكثرها متحصَّلا من عين و غَلّة ، الـتي اسـتقرت في الخاص الشريف السلطاني من الأيام الظاهرية ، و هي : قانا و مزرعتها ، القروية ، أصريفيا و مزرعتها ، حانا يخن و ما بكاملها ، و المجادل بكاملها ، كفر دبين بكاملها على ما استقر عليه الحال آخر الأيام الظاهرية .

---

(١) رشمون : طلق عليها **Jean de Mont Fort**.

تكون هذه الخمس القرى خاصاً جميعها بأراضيها و حدودها و حقوقها ، و كل ما هو داخل فيها و منسوب إليها لمولانا السلطان الملك المنصور ، و لأولاده من غير مشاركة // لهم في ذلك .

و تكون للملكة مراريت مالكة صور من ضياع صور عشر ضياع من قرى مرج صور خاصاً لها على ما هو مستقر في الهدنة الظاهرية : أن هذه العشر الضياع تكون خاصاً لمملكة صور حسبما عينت بأسمائها فيها ، و هي عين أبي عبد الله ، القاسمية ، سدس ، قحلب ، المرفوف ، الجارودية ، الجمادية ، / مرفلة ، رأس العين ، برج الاسبتار ، تكون هذه الضياع المذكورة بحقوقها و حدودها و أراضيها و ما هو داخل فيها خاصاً لملكة صور دام مراريت مالكة صور ، و على أن تكون بقية بلاد صور جميعها بما فيها من مزارع و عدتها ثماني و سبعون ضيعة و مزرعة ، و هي الطالية ، // درتيه ، الدهرية ، الفنونية ، العثية ، وادي الحجاج ، العرتية ، البحتية، المالكية ، دير عمران ، التعتبية ، الكبية ، بابولية ، الحمية، دير قالون ، غرايغال ، الزيادات ، حيوية ربعين ، بني دفنع ، ما رنين ، عيا ، صديقي ، رسكانية ، رفلية ، عثليث و مزرعتها ، الملاحات ، السحنونية ، الفراخية ، طرقان / الدير ، المعلية ، الخميرا ، روتية ، بابوح ، فقعة ، البارورية ، كفر دهال ، حوبا و مزرعتها ، سرفية ، مجدل و بيت روح ، طرسا ، فسون ، التفاحة ، أمد ، ركنا ، مارون ، طرسنحاث ، كفر ناي ، بني باقتلة ، معولة ، طفلسة ، أشحور ، الرمر ، الفهرون ، دوردغيا ، ابروخية ، هرين ، الصوافي ، حلوسية ، معروب ، بعليث ، درفانون ، طرديا ، بدياس ، النعمانية ، بدوث ، الحمرانية ، طورا، السرفيات ، بردسيل الجديدة ، العباسة ، الحنيثة ، السفلسة ، أشحور، الفاه ، شادسة ، العجيلة ، المصرية ، و ذلك خلا المعوقة ، و رشمون ، و بستان العوجا التي ذكرناها ليست بقراه ،و أن المعوقة اسم المعصرة ، و بستان العوجا غير قرية ، و رشمون /غير قرية ، و إن كانت قرى ، كانت من جملة بلاد المناصفات ، و إن لم تكن من جملة ضواحي المختصة بها .

و حدود هذه البلاد جميعها من جهة القبلة مرفلة ، و قرية دير عمران ، و برج وادي الحجاج ، و العربية ، و ريف و بارين ، و من الشرق عنافة ، سكاسة ، و مجدل شرقية // و السحنونية الداخل نذلك في المناصفات ، و قانا ، و محروما ، و كفر دبين الداخل في الخاص الشريف ، و من الشمال إصريفيا الداخلة في الخاص الشريف ، و نهر القاسمية ، و من الغرب البحر تكون هذه القرى المذكورة في هذه الهدنة جميعها بمزارعها و حقوقها ، و أراضيها و طواحينها وأنهارها / و بساتينها و دمنها ، و متحصلات مغلاتها من وجوه العين ، و الغلة مناصفة بين

مولانا السلطان الملك المنصور ، و بين الملكة دام مراريت مالكة صور يقسم جميع المتحصل بها من وجوه العين و الغلة ، و حقوق ، و زكاوات و عداد ، و حكورات ، و أجر و ضمانات ، و خراجات ، و جبايات ، و مواريث ، و غير ذلك من سائر الحقوق // قليلها و كثيرها نصفين بين الجهتين بالسوية .

و يستقر الحال في جميع الأشياء ، و كما كانت إلى آخر الأيام الظاهرية ، و على أن يكون لهذه الضياع و المناصفات المذكورة و المستخرج لأموالها و غلالها نواب مولانا السلطان الملك المنصور عز نصره باتفاق مع نواب الملكة دام مراريت ممالك صور / بحيث لا تنفرد جهة عن جهة باستخراج درهم و لا غيره ، و على أن يستمر الشخص بأرض الزهرية في المكان الذي جرت به عادته في الأيام الظاهرية ، و على أن تكون هذه البلاد المختصة بمالكة صور آمنة مطمئنة هي و من فيها من عسكرها و خيالها و رجالتها و رعيتها و تجارها على أنفسهم // و أموالهم و أولادهم و مواشيهم في حالتي صدورهم و ورودهم وسفرهم و إقامتهم إلى آخر هذه الهدنة ، و على أن التجار و السفار و المترددين من الجهتين يترددون و يبيعون و يشترون و يوردون و يصدرون آمنين مطمئنين على أنفسهم و أموالهم ، و على أنهم ر يُحدث عليه شيء غير ما جرت العوائد / به من الجهتين ، و أن الممنوعات مستقر حالها في البيع على حالتها ، و على أن المراكب من الجهتين المترددة في البحر تكون كل فرقة منها من الفرقتين آمنة من الفرقة الأخرى مطمئنة في البحور و المراسي و الدخول و الخروج ، تلتزم كل طائفة من الجهتين كف الأذية عن الجهة الأخرى ، و على أنه // متى انكسر مركب من الجهتين إن كان لمسلم تسلمه له إن كان موجوداً ، و لنواب مولانا السلطان إن كان مفقوداً .

و إن كان لنصراني من بلاد ملانا السلطان _عز نصره_فالحكم فيه كحكم المسلم . و إن كان من أهل صور و من رعية الملكة مالكة صور يسلم له المال إن كان موجوداً و لديوانها إن كان مفقوداً ، و إن مات أحد من الجهتين في الجهة الأخرى و لم يكن له وارث يجري عليه هذا الحكم من الجهتين و لا يخفى ماله ، على أنه متى قتل أحد من الجهتين و وجد القاتل فإن كان القاتل مسلماً يحكم فيه مولانا السلطان الملك المنصور _ نصره الله _ بما تقتضيه سياسة السلطنة الشريفة المطهرة ، // و إن كان نصرانياً من أهل صور تحكم فيه الملكة دام مراريت مالكة صور ، كل جهة بحضور نائب من الجهة الأخرى يباشر الحكم فيه بما تقتضيه أحكام الجهتين .

و ذلك يكون الحكم في كل من تعدى و أسرف و اغتال ، يتولى ذلك نواب مولانا السلطان تأديب المسلم ، و تأديب النصراني يتولاه نواب / الملكة مالكة صور ، و إن خفي أمر القتيل

كانت دية الفارس من الجهتين ألفاً و مائة درهم صورية و التركبلي مائتي درهم ، الفلاح مائة دينار ، و التاجر تكون ديته على قدر جنسه و أصله و مقدرته ، يؤخذ ذلك من أهل القرى التي يقتل فيها ذلك الشخص جناية لهم و تأديباً جملة واحدة ، و يعتمد // ذلك من الجهتين . و إن كان المقتول في المناصفات كان متحصل الجناية مناصفة .

و على أنه متى أخذت أخيذة ترد بعينها إن كانت موجودة أو قيمتها إن كانت مفقودة . و إن خفي أمر القتيل أو أمر الأخيذة كانت المهلة في الكشف عن أمره أربعين يوماً ،و إن لم يظهر له خبر حلف والي تلك الجهة و ثلاثة أنفار ممن تختارهم الجهة الأخرى . و إن امتنعوا من اليمين لزمت الجناية المذكورة و قيمة الأخيذة ، و على أنه متى هرب أحد من الجانبين يرد بما معه ، و متى هرب مملوك من أي جنس كان يرد جميع ما معه ذكراً كان أو أنثى ، عبداً كان أو حراً ، يعتمد ذلك من الجانبين ، و على أن الملكة دام مراريت مالكة // صور لا تستجد بناء قلعة و لا تجديد سور و لا حفر خندق و لا ما يتحصن به مما يمنع أو يدفع .

و على أن مولانا السلطان لا يفسح لأحد من عساكره و لا من أهل بلاده من التطرق لبلاد صور المعينة في هذه الهدنة بأذية و لا ضرر و لا سرقة و لا عدوان و لا غدر لا في بر و لا بحر و لا/ يتعرض أحد من عساكر مولانا السلطان و جنوده و معاهديه للملكة دام مراريت مالكة صور لا في نفسه و لا في خيالتها و أصحابها خلا الإسماعيلية الذين تحت حكم مولانا السلطان. و لمولانا السلطان أن يجهز من شاء منهم إلى مالكة صور بالسوء و الضرر متى أراد . و على أن الملكة دام مراريت // مالكة صور تلتزم حفظ بلاد مولانا السلطان من جهتها من متجرم أو مفسد أو رجل غريبة و سائر الأفرنجية يتطرق من بلادها إلى بلاد مولانا السلطان بأذية أو إغارة أو فساد أو عدوان .

و على أن الملكة دام مراريت مالكة صور لا توافق أحداً من سائر الفرنجة على أمر فيه أذية لبلاد / مولانا السلطان أو ضرر على ممالكه أو رعاياه و سائر من فيها ، و ما فيها ، و لا تساعد أحد على ذلك برمز و لا كتابة ، و لا إشارة ، و لا رسالة إلى حين انقضاء هذه الهدنة. و لها من مولانا السلطان مثل ذلك ، و على أنه متى انقضت الهدنة أو وقع ـ و العياذ بالله ـ فسخ من أحد من الجهتين كانت المهلة // للتجار و السفار و المترددين أربعين يوماً حتى يعود كل أحد بماله إلى مأمنه و وطنه آمنين مطمئنين مخفرين من الجهتين .

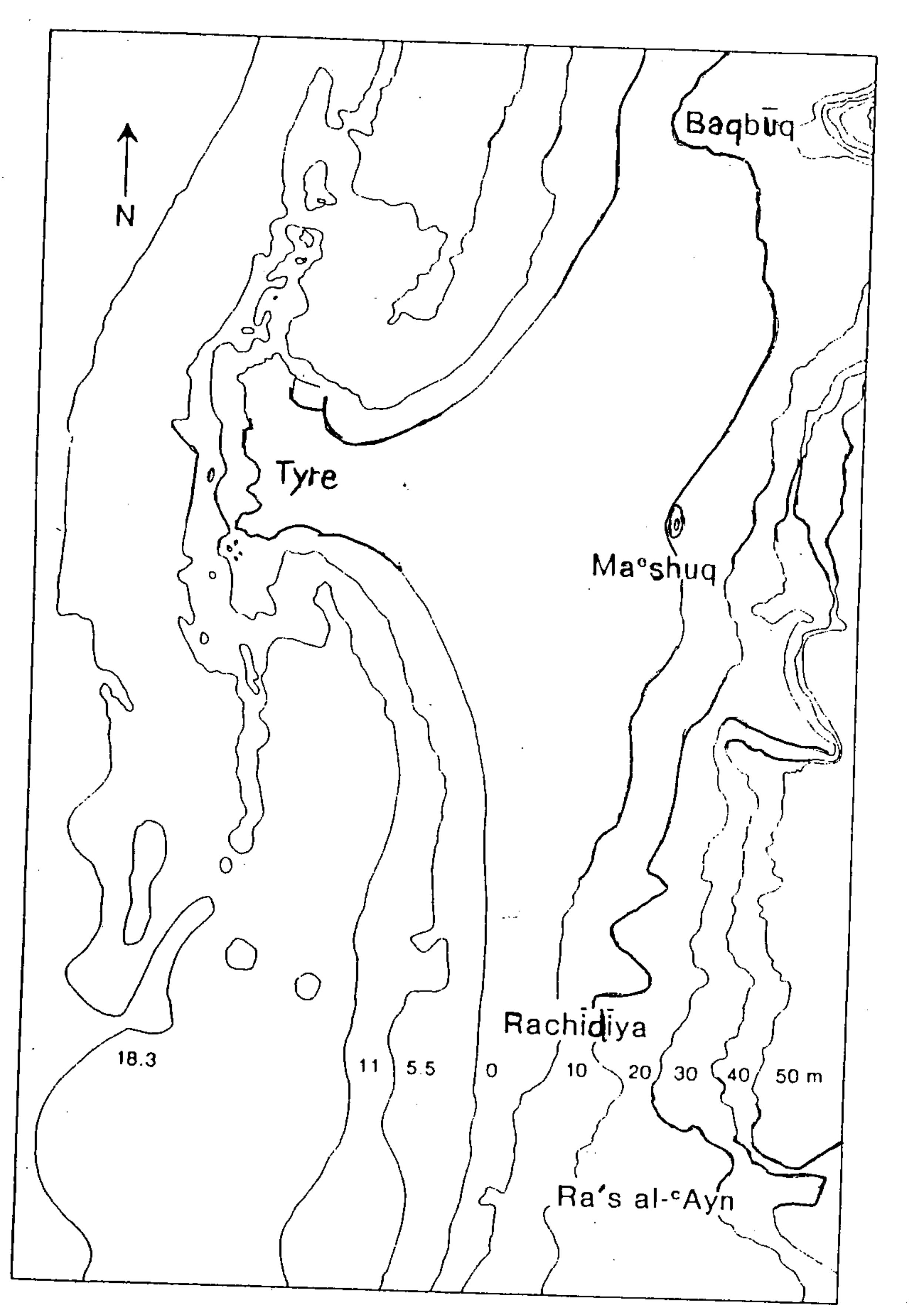
تستقر هذه الهدنة بشروطها المحررة ، و قواعدها المقررة ، و لا تنتقض أحكامها ، و لا ينفك نظامها بموت أحد من الجهتين و لا بعزل و لا تولية غيره ، و لا برجل / غريبة و لا بيد ، بل

تستمر مدتها و توفى عدتها ، و هي عشر سنين كوامل متتاليات ، أولها عشر من جمادى الأول سنة أربع و ثمانين و ستمائة للهجرة النبوية الموافق لليوم الثامن عشر من شهر تموز من سنة ألف و خمسمائة و أخرها الرابع عشر // من جمادى الأول من سنة أربع و تسعين و ستمائة الموافق الثامن عشر من تموز من ألف و ستمائة ، و خمسة للاسكندر بن فيليبس اليوناني .

يلتزم كل من الجهتين حفظها إلى آجرها و من تولى بعد الآخر حفظها إلى آجرها و الخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه إن شاء الله تعالى . (١) .

---

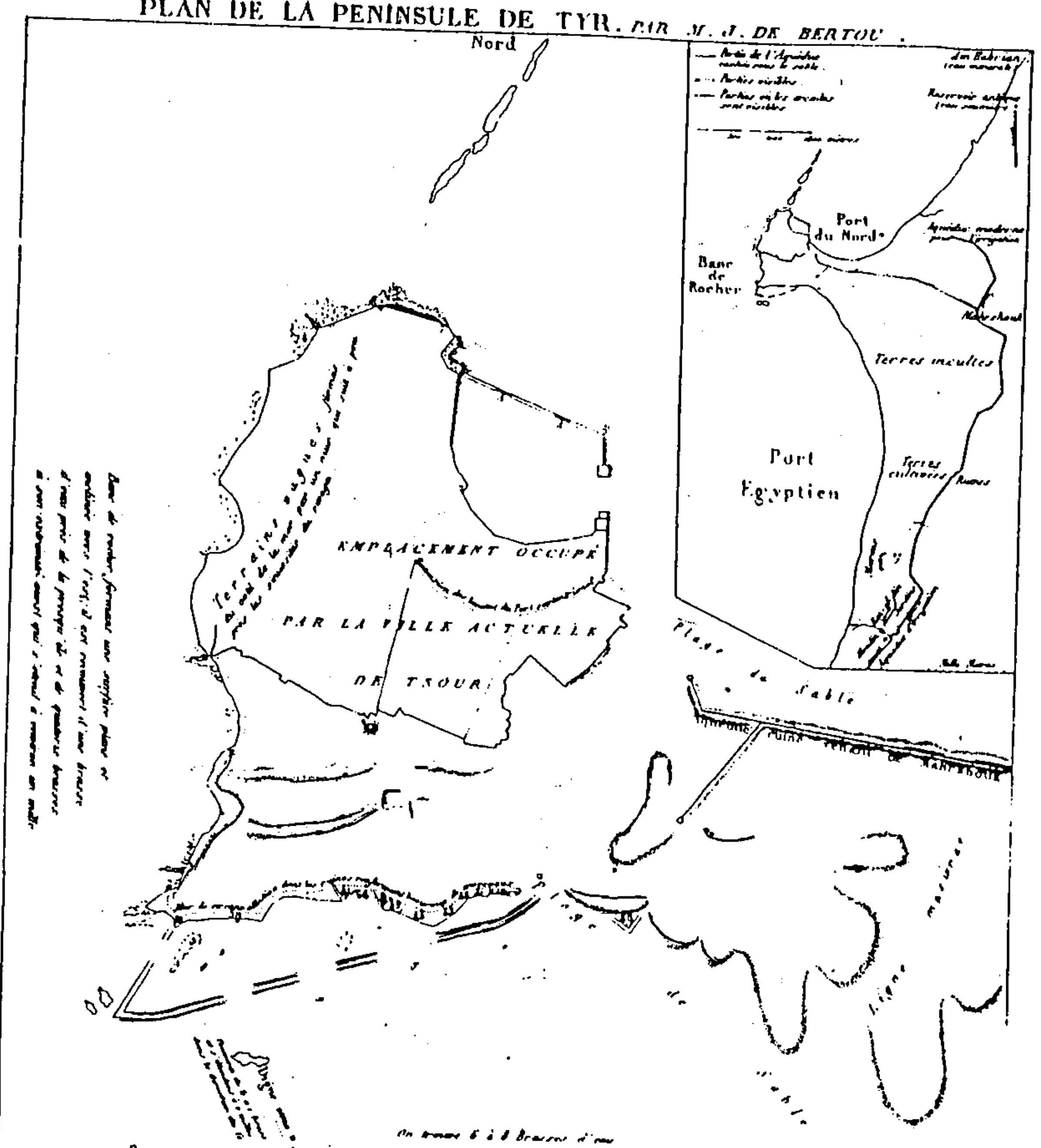
(١) ابن عبد الظاهر تشريف الأيام و العصور ، المصدر نفسه ، ص١٠٣-١١٠.



خريطة رقم (٢): توضح خريطة صور و الينابيع الثابتة .

نقلاً عن: Pierre Michel Bikai. The land of Tyre p. 16.

خريطة رقم (٢)؛
خريطة صور البحرية لأطلس حربي ١٧٦٤م لـ Paul fellin
نقلاً عن ricia Maynor Bikai. Medieval Tyre. p. 81



Jules de Bertou خريطة رقم (٤): هذه الخريطة رسمت من قبل

Bulletin de la Société de Géographie 1839. ضمن نشرة

نقلاً عن: Michel Bikai, The History of Excavations

P. 27

المرفأ الشمالي أو مرفأ صيدا الخارجي

رمل طليق

المرفأ الشمالي الداخلي

برزخ الرمل الطليق الذي بني من قبل الاسكندر.

قناة تصل بين المرفأين.

شريط من الرمل.

المرفأ الجنوبي أو المصري

خريطة رقم (٥) توضح طوبوغرافية صور، رسمت من قبل John Kenrick 1855



منظر جوي لصور مع ميناءها الصغير Poidebard 1939

نقلاً عن: Pierre Michel Bikai. The History of Excavations P. 21



إعادة نصب بقايا الأعمدة والحجارة
أساس الكاتدرائية الصليبية.



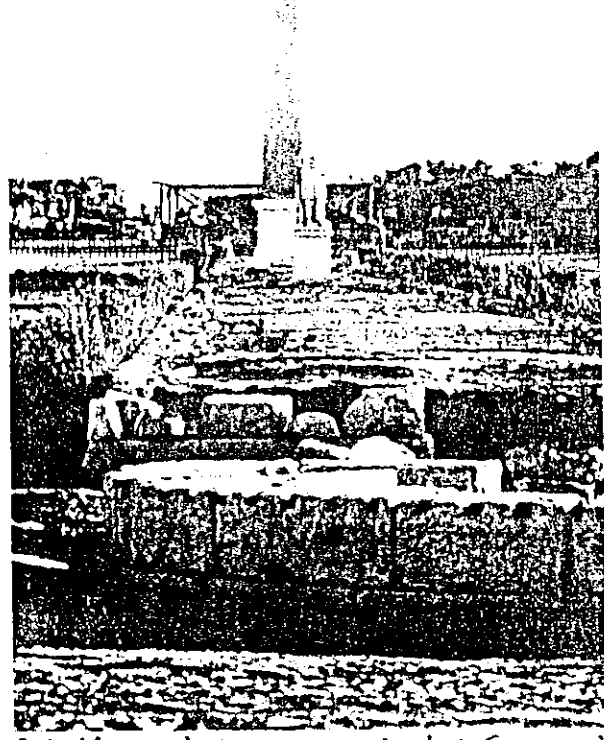
قوس النصر من القرن الثاني
مع بقايا القناة إلى اليمين.



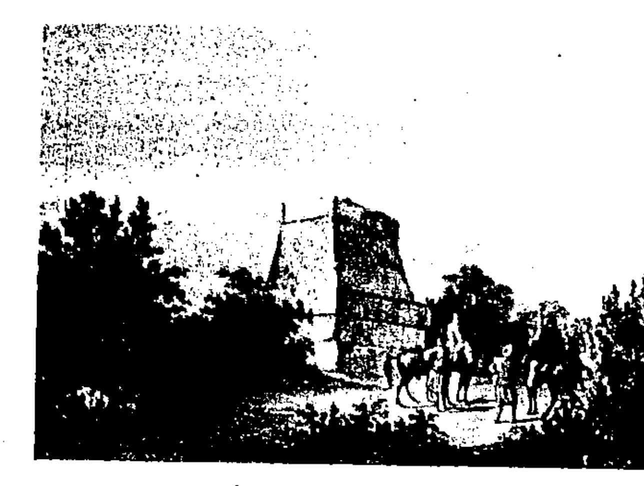
تابوت نحت عليه معركة بحرية
يعود تاريخه إلى ٢٥٠ - ٢٦٠م



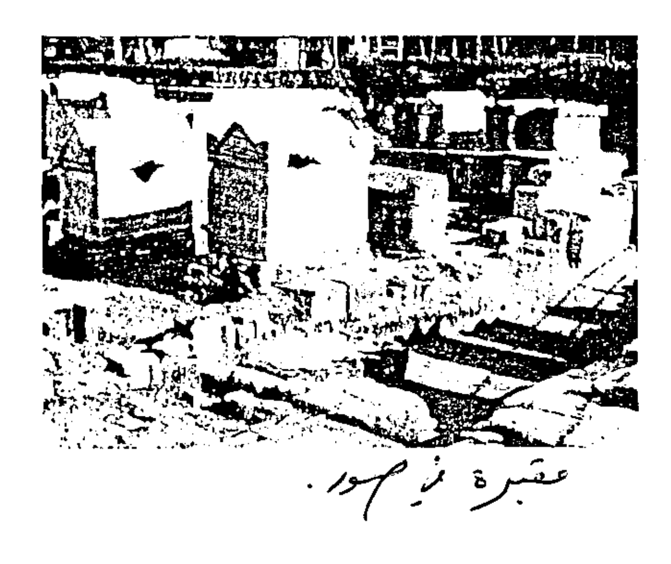
المشهد من أسطورة Phaedra
و Hippolytus تعود إلى عام
٢٢٠ - ٢٤٠م.



جزء من ساحة الألعاب مع إعادة نصب المسلة
وراء الملعب كنيسة الصليبيين.



قبر Hiram



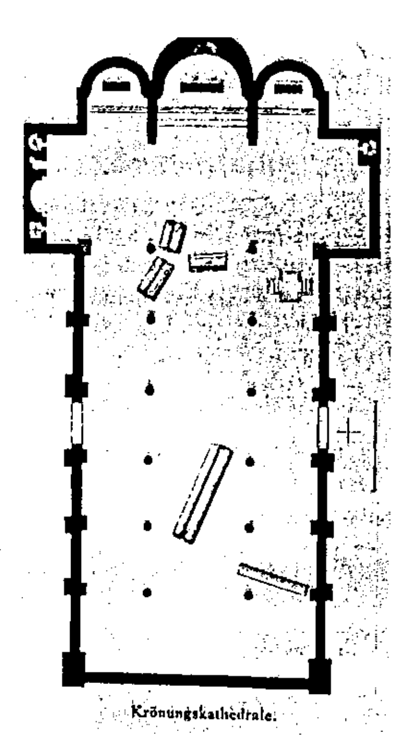
مقبرة في صور.



الكاتدرائية الصليبية.



قوس النصر التذكاري في صور.



مخطط الكاتدرائية الصليبية.



ساحة الألعاب في صور



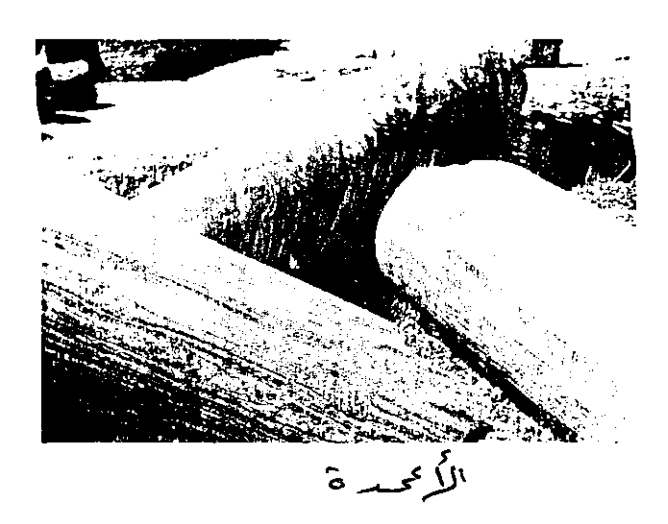
الصالة ،



أعمدة الرخام البيزنطية
وإلى الخلف الميناء المصري .

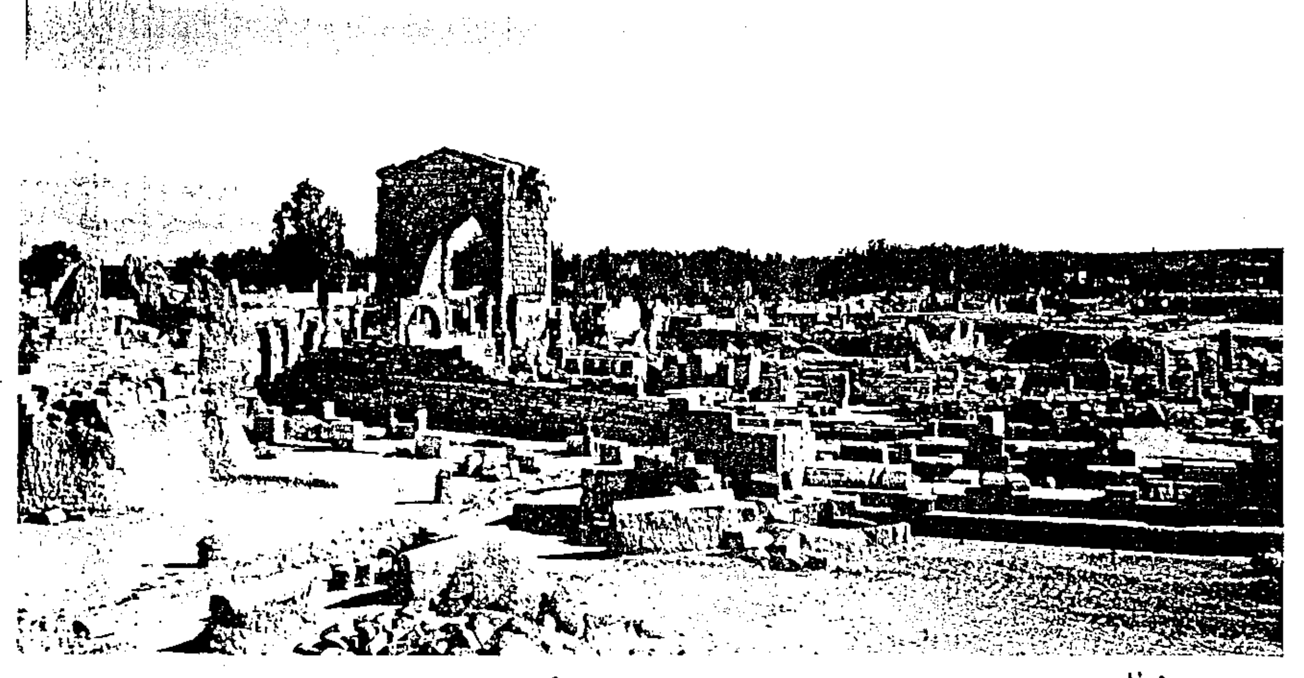


زخارف رومانية.



الأعمدة

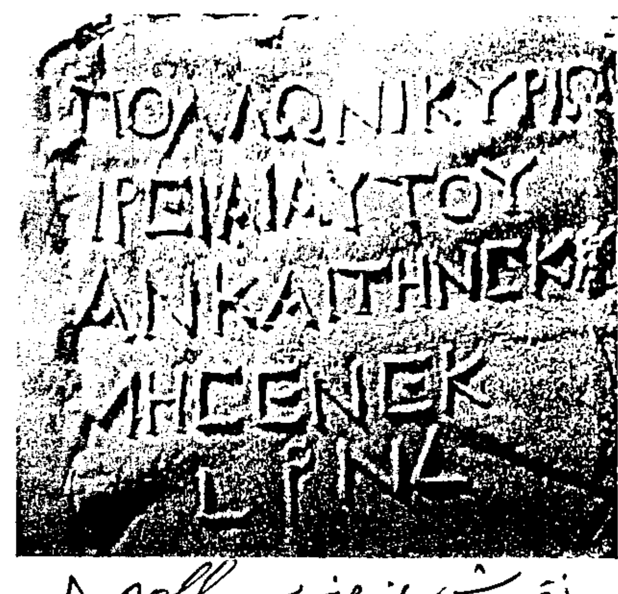
المدخل الروماني إلى صور مع القوس التذكاري والمقبرة.



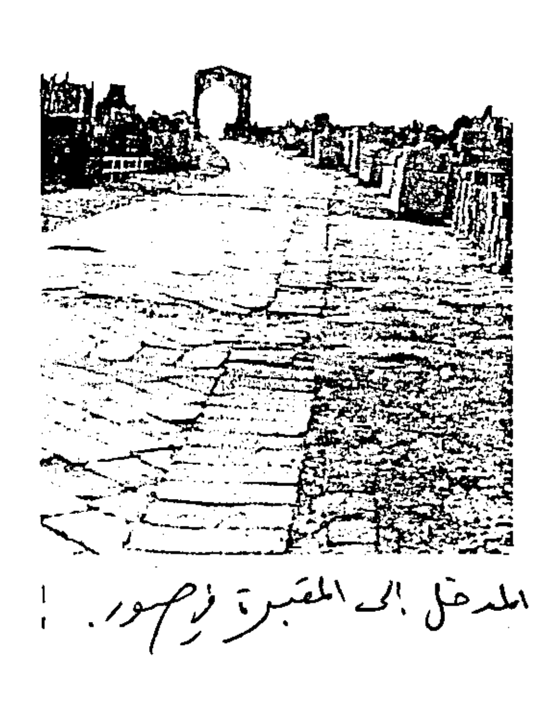
منظر عام من المقبرة والقوس التذكاري.



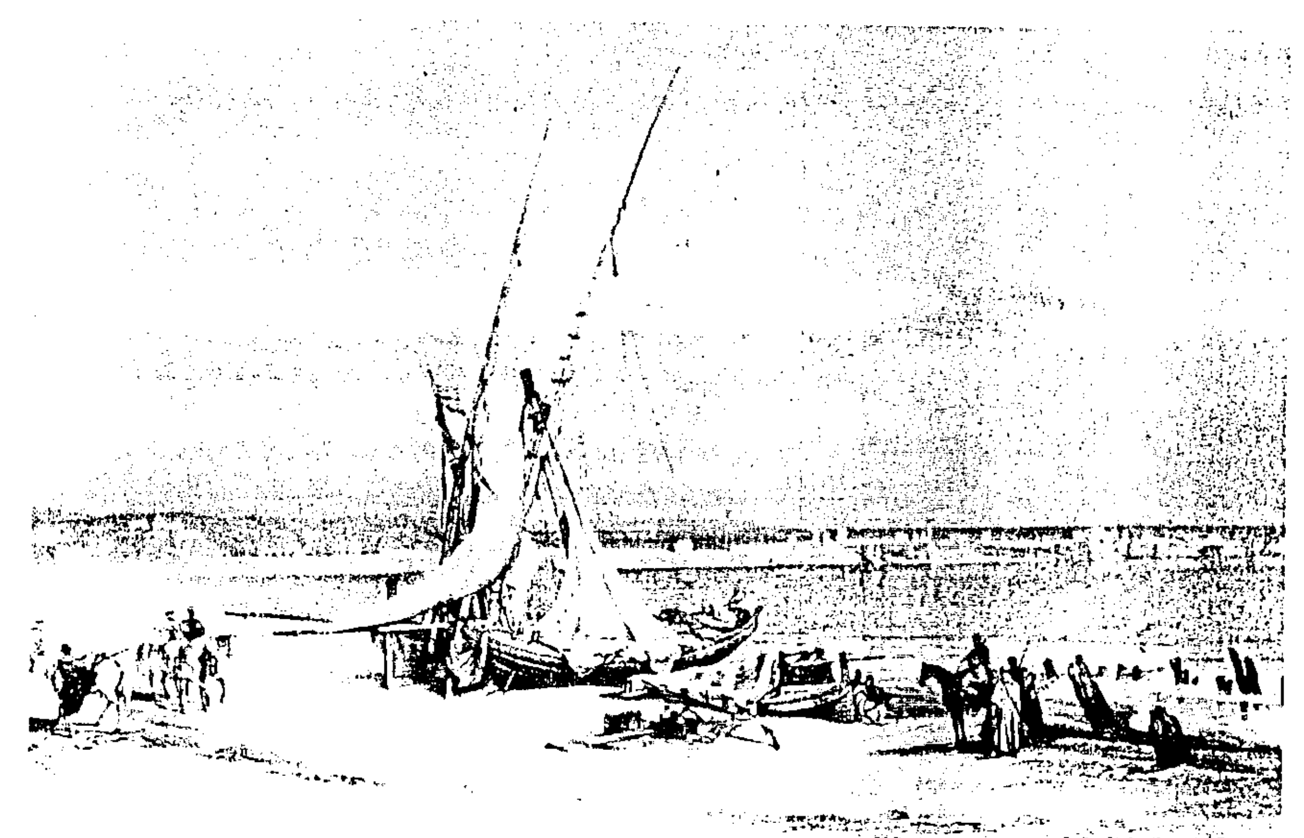
رسم القنوات مستند إلى Louis François
وقد سافر عبر سوريا في العام ١٧٩٨-١٧٩٩م



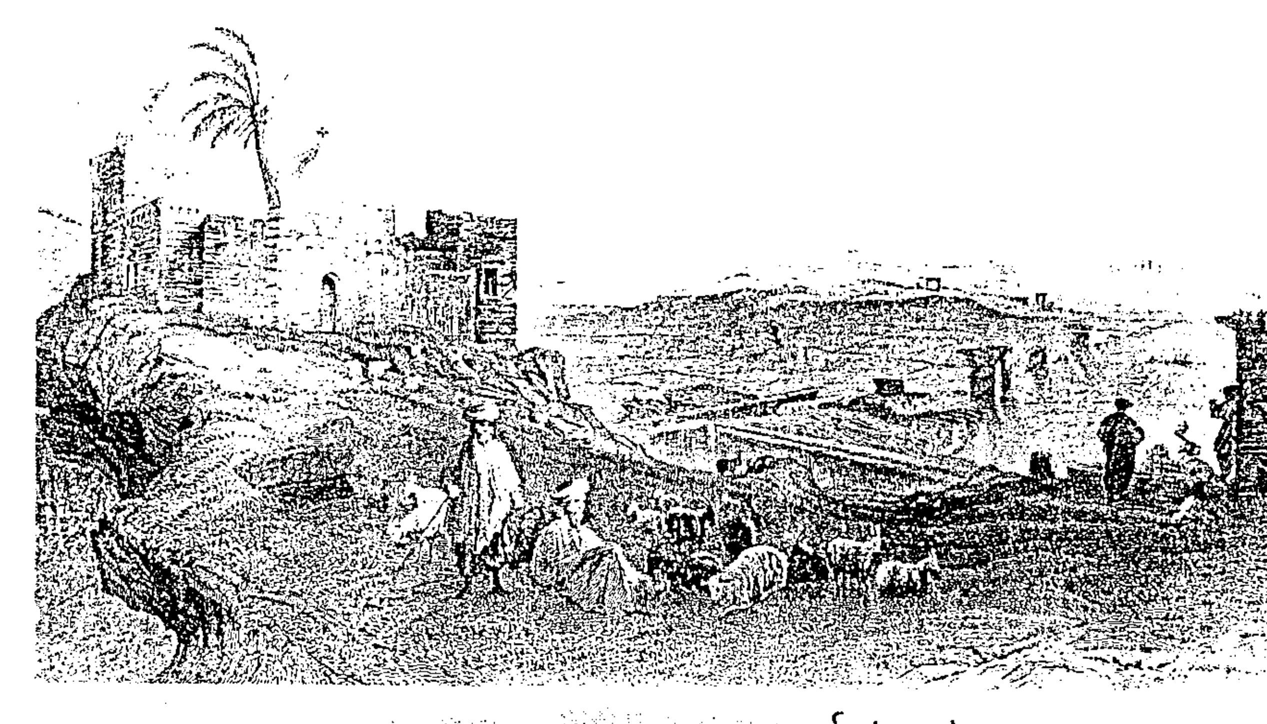
نقوش من معبد Apollo



المدخل الى المقبرة في صور.



منظر عام لصور رسم من الشاطئ أبريل ٢٦-٢٧/١٨٢٩م.
من قبل David Roberts.



صورة صور من البر الرئيسي.

المصادر العربية :

١ــ ابن أبي الدم الحموي (إبراهيم بن عبد الله) :

ــ **التاريخ المظفري** ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د: سهيل زكار ، ج٢١، دمشق ، ١٩٩٥م.

٢ــ ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن بن أبي الكرم محمد الشيباني) :

ــ **الكامل في التاريخ** ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ١٩٩٧م.

٣ــ الإدريسي (أبو عبد الله محمد المعروف بالشريف الإدريسي) :

ــ **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** ، بيروت ،ط١، ١٩٨٩م.

٤ــ الأصفهاني (محمد بن محمد العماد الكاتب) :

ــ **الفتح القسي في الفتح القدسي** ،تحقيق : محمد محمود صبح، الدار القومية،ب.ت

٥ــ ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) :

ــ **تحفة النظار في عجائب الأمصار و عجائب الأسفار** ، تحقيق : عبد الهادي التازي ١٩٩٧م.

٦ــ البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر) :

ــ **فتوح البلدان** ، تحقيق : د. سهيل زكار ، بيروت ، ١٩٩٢م.

٧ــ البلوي (محمد المدني) :

ــ **سيرة ابن طولون** ، تحقيق: محمد كرد علي ، دمشق ، ١٩٣٩م.

٨ــابن تغري بردى (جمال الدين أبي المحاسن يوسف) :

ــ **النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة** ، تقديم : محمد شمس الدين ، بيروت ، ١٩٩٢م.

٩ــ ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي) :

ــ **رحلة ابن جبير** ، تحقيق: حسن نصار ، مصر ، ١٩٩٢م.

١٠ــ الجزري (محمد بن إبراهيم) :

ــ **تاريخ حوادث الزمان و أبنائه و وفيات الأكابر و الأعيان من أبنائه** ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، بيروت، ١٩٩٨م.

١١ـ الجويني (عطا ملك) :

ـ **تاريخ فاتح العالم جهانكشاري** ، مر: محمد ألتوني ، ١٩٨٥م.

١٢ـ ابن حبيب (الحسن بن عمر) :

ـ **تذكرة النبيه في أيام المنصور و بنيه** ، تحقيق :محمد محمد أمين ، مر: سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر ، ١٩٧٦م.

١٣ـ الحريري (أحمد بن علي) :

ـ **الأعلام و التبين في خروج الفرنج الملاعين** ، تحقيق : د. سهيل زكار،١٩٨١م.

١٤ـ الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب شهاب الدين) :

ـ **معجم البلدان** ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت ، ١٩٩٠م.

١٥ـ ابن حوقل (أبي القاسم محمد) :

ـ **صورة الأرض** ، بيروت ، ١٩٧٩م.

١٦ـ ابن خرداذبة (أبي القاسم عبد الله بن عبد الله) :

ـ **المسالك و الممالك** ، ليدن ، ١٨٨٩م.

١٧ـ ابن خلكان (أبو العباس أحمد البرمكي الإبريلي) :

ـ **وفيات الأعيان** ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د. سهيل زكار ، ج ٢١، دمشق ، ١٩٩٦م.

١٨ـ الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان) :

ـ **تاريخ مشاهير الإسلام و وفيات مشاهير الأعلام** ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، ١٩٩٤م.

١٩ـ الزبيري (أبي عبد الله) :

ـ **نسب قريش** ، نشر : ليفي بروفنسال ، ب. ت .

٢٠ـ الزركلي (خير الدين) :

ـ **الأعلام** ، بيروت ١٩٩٧م.

٢١ـ سبط ابن الجوزي (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاؤغلي) :

ـ **مرآة الزمان** ، الهند ، ط١، ١٩٥١م.

٢٢ــ أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم) :

ــ **الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية** ، تحقيق : إبراهيم الزيبق ، بيروت ، ١٩٩٧م.

٢٣ــ ابن شداد (عز الدين محمد بن علي) :

ــ **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة** ، تحقيق : سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٦٢م.

٢٤ــ ابن شداد (بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم) :

ــ**النوادر السلطانية و المحاسن اليوسفية** ، حقيق : جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

٢٥ــ شيخ الربوة (شمس الدين أبي عبد الله محمد الأنصاري الدمشقي) :

ــ **نخبة الدهر في عجائب البر و البحر** ، بغداد ، ١٩٢٨م.

٢٦ــ ابن عبد الظاهر (محيي الدين) :

ــ **تشريف الأيام و العصور في سيرة الملك المنصور** ، تحقيق : مراد كامل ، مر: محمد علي النجار ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦١م.

ــ **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** ، تحقيق : عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ط١، ١٩٧٦م.

٢٧ــ ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد) :

ــ **زبدة الحلب في تاريخ حلب** ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د. سهيل زكار ، ج١٦، دمشق ، ١٩٩٥م.

٢٨ــ العظيمي (أحمد الحلبي) :

ــ **تاريخ العظيمي** ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، د. سهيل زكار ، ج٢ ، دمشق ، ١٩٨٤م.

٢٩ــ العمري (ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى) :

ــ **التعريف بالمصطلح الشريف** ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، بيروت ، ١٩٨٨م.

ــ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، تحقيق : دورتياكرا فولسكي ، بيروت ، ١٩٨٦م.

٣٠ــ العيني (بدر الدين محمود بن أحمد) :

ــ **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**،من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د. سهيل زكار ، ج٢٤، دمشق ، ١٩٩٥م.

٣١ــ ابن الفقيه الهمذاني (أبي عبد الله أحمد بن محمد):

ــ **كتاب البلدان** ، تحقيق : يوسف الهادي ، بيروت ، ١٩٩٩م.

٣٢ــ القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) :

ــ **آثار البلاد و أخبار العباد** ، بيروت ، ١٩٦٠م.

٣٣ــ ابن القلانسي ، (أبو يعلى حمزة بن أسد الدين) :

ــ **تاريخ دمشق** ، تحقيق : د. سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٣م.

٣٤ــ القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد) :

ــ **صبح الأعشى في صناعة الأنشا** ، شرح : محمد شمس الدين ، بيروت١٩٨٧ م

٣٥ــ الكرخي (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري) :

ــ **المسالك و الممالك** ، تحقيق : محمد جابر عبد العال الحيني ، مر: محمد شفيق غربال ، الجمهورية المتحدة ، ١٩٦١م.

٣٦ــ المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله المعروف بالبشاري) :

ــ **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، وضع مقدمته : محمد مخزوم ، بيروت ، ١٩٨٧م .

٣٧ــ المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد) :

ــ **اتعاظ الحنفا** ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د. سهيل زكار ، ج ٢٥ ، دمشق ، ١٩٩٥م.

ــ **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، نشر: محمد مصطفى زيادة ، ط٢، ١٩٣٤م.

٣٨ــ المنصوري (بيبرس) :

ــ **التحفة الملوكية في الدولة التركية** ، أو تاريخ دولة المماليك البحرية ، نشره : عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية لبنانية ، ط١، ١٩٨٧م.

٣٩ــ ابن الميسر (محمد بن علي) :

ــ **أخبار مصر** ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، د. سهيل زكار ، ج ٢٥، دمشق ، ١٩٩٥م.

المصادر الأجنبية:

١ـ أرنول : **ذيل تاريخ وليم الصوري (١١٨٤-١١٩٧) :**

تر: د.سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٣م، ج٨.

٢ـ أمبرويز : **صليبية رتشارد قلب الأسد :**

تر: د.سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق ، ١٩٩٨م. ج٣٢.

٣ـ أولفر أوف بادربون : **الاستيلاء على دمياط :**

تر : د . سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م. ج٣٣.

٤ـ بنيامين التطيلي: **رحلة بنيامين :**

تر: عزار حداد ، بغداد ، ١٩٤٥م.

٥ـ بورتشارد : **رسالة بورتشارد (١٢٦٠م) :**

تر: د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٩م. ج٣٩.

٦ـ ثيودريك : **وصف ثيودريك للأماكن المقدسة (١١٧٢) :**

تر:د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م. ج٣٥.

٧ـ جاك دي فيتري : **تاريخ القدس :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م.ج٣٤.

٨ـ جون أوف وورزبيرغ : **وصف الأماكن المقدسة :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م. ج٣٣ .

٩ـ جون مارموتير : **أصول الأسرة الأنجيفية :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م. ج٣٠.

١٠_دانيال الروسي : **رحلة دانيال (١١٠٦-١١٠٧) :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م، ج٣١.

١١_ رالف ديستو : **صورة التاريخ :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م، ج٣٠.

١٢_ روجر أف ويندوفر : **ورود التاريخ :**

تر:د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ٢٠٠٠م، ج٣٩.

١٣_ روبرت دي كلاري : **سقوط القسطنطينية للصليبيين :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥م،ج١٠.

١٤_ ريموند دي جيل : **تاريخ الفرنجة الذين استولوا على القدس :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق، ١٩٩٥م،ج٦.

١٥_ سيولف : **رحلة سيولف إلى القدس (١١٠٢-١١٠٣) :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م،ج٣١.

١٦_ ابن العبري : **تاريخ الزمان :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥م، ج٥.

١٧_ فوشيه دي شارتر : **تاريخ الحملة إلى القدس :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥م ، ج٦.

١٨_ فوشيه دي شارتر: **تاريخ الحملة إلى القدس :**

تر: زياد العسلي ، ١٩٩٥م.

١٩ـ فيتلوس : **رسالة فيتلوس وصف الأماكن المقدسة ١١٣٠ :**
تر: د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م، ج٣١.
٢٠ـ فيلهاردن : **الاستيلاء على القسطنطينية :**
تر:د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥م، ج١١.
٢١ـ فيليب دي نوفار : **حروب فردريك الثاني :**
تر: د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م، ج٣٤.
٢٢ـ مارينو سانوتو : **كتاب الأسرار :**
تر: د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ،دمشق ، ١٩٩٩م، ج٣٦.
٢٣ـ مؤلف مجهول : **حملة رتشارد إلى الأراضي المقدسة :**
تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م، ج٣٢.
٢٤ـ مؤلف مجهول : **يوميات صاحب أعمال الفرنجة :**
تر: د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥م، ج٦.
٢٥ـ ميخائيل السوري الكبير : **الحملتان الأولى و الثانية :**
تر: د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٥م ، ج٥.
٢٦ـ ناصر خسرو : **سفر نامة :**
تر: أحمد البدلي ، الرياض ، ١٩٨٣م.
٢٧ـ وليم الصوري : **تاريخ الحروب الصليبية المسمى الأعمال المنجزة فيما وراء البحار :**
تر: د. سهيل زكار ، دمشق، ١٩٩٠م.

٢٨ـ يوانس فوقاس : **رحلة حج يوانس فوقاس :**

تر: د. سهيل زكار ، من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٨م ، ج٣٤.

٢٩ـ يوحنا كيناموس : **أعمال يوحنا كيناموس :**

تر: د. سهيل زكار من خلال الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، ١٩٩٧م ، ج٢٩.

٣٠ـ يعقوب الفيتري : **تاريخ بيت المقدس :**

تر: سعيد البيشاوي ، الأردن ، ١٩٩٨م.

المراجع العربية و الأجنبية المترجمة :

١ــ أنقذوا صور : صادر عن اللجنة الوطنية العربية السورية لحماية آثار صور الأثرية ، مجموعة مقالات ، دمشق ، ١٩٩٥م.

٢ــ إسماعيل (أحمد علي):

ــ **تاريخ السلاجقة في بلاد الشام** ، الشركة المتحدة ، ١٩٨٧م.

٣ــ أشتور (أ . أ) :

ــ **التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى** ، تر: عبد الهادي عبلة ، دمشق ١٩٨٥م.

٤ــ إقبال (عباس) :

ــ **تاريخ المغول** ،تر: عبد الهادي علوب ، أبو ظبي ، ٢٠٠٠م.

٥ــ باركر (أرنست) :

ــ **الحروب الصليبية** ،تر: السيد الباز العريني ، بيروت ، ب. ت .

٦ــ براور (يوشع) :

ــ **عالم الصليبيين** ،تر: قاسم عبده قاسم ، محمد خليفة حسن ،دار المعارف ١٩٨١.

٧ــ البيشاوي (سعيد) :

ــ **الممتلكات الكنسية في تاريخ الحروب الصليبية** ،الإسكندرية ، ١٩٩٠م.

٨ــ تدمري (عمر عبد السلام) :

ــ **لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية** ،١٩٩١م.

٩ــ البيومي (محمد رجب) :

ــ **صلاح الدين الأيوبي قاهر العدوان الصليبي** ،دمشق ، دار القلم ، ط١، ١٩٩٨

١٠ــ حتي (فيليب) :

ــ **لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر** ،تر: أنيس فريحة ، بيروت ، ١٩٥٩م.

١١ــ الحياري (مصطفى) :

ــ **صلاح الدين القائد و عصره** ،دار الغرب الإسلامي ، ط١، ١٩٩٤م.

١٢ــ حطيط (أحمد) :

ــ **تاريخ لبنان الوسيط في مرحلة الصراع الصليبي** ، بيروت ، ١٩٨٦م.

١٣ـ خليل (عماد الدين) :
ـ **الإمارات الأرتقية في الجزيرة و الشام** ، بيروت ، ١٩٨٠مز
١٤ـ ديل (شارل) :
ـ **البندقية جمهورية استقراطية** ، تر: أحمد عزت عبد الكريم ، توفيق اسكندر ، دار المعارف ، ١٩٤٨م.

١٥ـ الدبس (يوسف) :
ـ **تاريخ سورية الديني و الدنيوي** ، ١٨٩٣م.
١٦ـ رنسمان (ستيفن) :
ـ **تاريخ الحروب الصليبية** ، تر: السيد الباز العريني ، بيروت ، ١٩٨١م.
١٧ـ د. زكار (سهيل) :
ـ **المدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية** ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٢م.
ـ **حطين مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس** ، دمشق ، ١٩٨٤م.
١٨ـ زيتون (عادل) :
ـ **تاريخ العلاقات الاقتصادية بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى** ، دمشق ، ١٩٨٠م.
١٩ـ سالم (عبد العزيز) : و أحمد مختار العبادي :
ـ **تاريخ البحرية في بلاد الشام و مصر** ، بيروت ، ١٩٨١م.
٢٠ـ سميل (ر. س) :
ـ **فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١٠٩٧ـ١١٩٣)** ، تر: بديع الجلاد ، دمشق ، ١٩٨٥م.
٢١ـ سليم (صبري) :
ـ **الأتراك الخوارزميون في بلاد الشرق الأدنى** ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
٢٢ـ شبارو (عصام محمد) :
ـ **السلاطين في الشرق العربي** ، بيروت ، ١٩٩٤م.
٢٣ـ الشنتاوي (أحمد) :
ـ **دائرة المعارف الإسلامية** ، ١٩٣٣م.

٢٤_ طقوش (محمد سهيل) :

_ **تاريخ الأيوبيين في مصر و بلاد الشام و إقليم الجزيرة** ، بيروت ، ١٩٩٩م.

_ **تاريخ الزنكيين في الموصل و بلاد الشام** ، بيروت ، ١٩٩٩م.

_ **تاريخ المماليك في مصر و بلاد الشام** ، لبنان ، ١٩٩٧م.

٢٥_ عاشور (سعيد عبد الفتاح عاشور) :

_ **تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب في العصور الوسطى** ، بيروت ، ١٩٩١م.

_ **الحركة الصليبية** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٦م.

٢٦_ عاشور (فايد حماد) :

_ **الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين و المغول في العصر المملوكي** ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٥م.

٢٧_ عبودي (هنري . س) :

_ **معجم الحضارات السامية** ، لبنان ، ١٩٩١م.

٢٨_ العريني (السيد الباز) :

_ **الشرق الأدنى في العصور الوسطى _الأيوبيون _** ، بيروت ، ١٩٦٧.

_ **المغول**، بيروت ، ١٩٨١م.

٢٩_ العسلي (بسام) :

_ **فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية** ، دار الفكر ، ط١، ١٩٨٨م،.

٣٠_ عصفور(محمد أبو المحاسن) :

_ **المدن الفينيقية** ، بيروت ، ١٩٨١م.

٣١_ عطية (حسين محمد) :

_ **إمارة أنطاكية الصليبية و المسلمون** ، دائرة المعارف الجامعية ، ١٩٨٩م.

٣٢_ أبو عليان (عزمي عبد) :

_ **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك** ، الأردن ، ط١، ١٩٩٥م.

٣٣_ عمران (محمود سعيد) :

_ **الحملة الصليبية الخامسة** ، مصر ، ١٩٨٥م.

٣٤_ عوض (محمد مؤنس) :
_ **الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩_ ١١٨٧)** ، القاهرة ، ١٩٩٢م.
٣٥_ عودة الغامدي (محمد علي) :
_ **بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي (٤٦٣_٤٩١/ ١٠٧٠_١٠٩٨)** ، المكتبة الفيصلية ، ١٩٨٤م.
٣٦_ غلاب (محمد السيد) :
_ **الساحل الفينيقي و ظهيره في الجغرافية و التاريخ** ، بيروت ، ١٩٦٩م.
٣٧_القرم (شارل) :
_ **معجم الجبل الملهم** ، تر : إسطفان فرحات ، ١٩٤٥م.
٣٨_ لامنس (هنري) :
_ **تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من آثار** ، لبنان ، ١٩٨٢م.
٣٩_ لويس (برنارد) :
_ **الدعوة الإسلامية الجديدة** ، تر: د. سهيل زكار ، بيروت ، ١٩٧٠م.
٤٠_ مصطفى (شاكر) :
_ **صلاح الدين الأيوبي الفارس المجاهد الزاهد المفترى عليه** ، دمشق ، ١٩٩٨م.
٤١_ النبراوي (رأفت) :
_ **النقود الصليبية في بلاد الشام و مصر** ، القاهرة ، ١٩٩٦م.
٤٢_ النقاش (زكي) :
_ **العلاقات الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية بين العرب و الفرنج خلال الحروب الصليبية** ، لبنان ، ١٩٥٨م.
٤٣_ هايد (ف) :
_ **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في تاريخ الحروب الصليبية** ، تر: أحمد محمد رضا ، ١٩٨٥م.
٤٤_ هيرودوتس :
_ **من تاريخ هيرودوتس الشهير بعنوان : كليو** ، تر: حبيب ستوس ، بيروت ، ١٨٨٦_١٨٨٧م.

المصادر و المراجع الأجنبية :

1_A History of the Crusades : Kenneth M. Setton , London , 1962.
2_ An economic history of Italy : Gino Luzzatto , London , 1967
3_Curusader Syria in the Thirteenth century the Rothelin continuation of the History of William of Tyre wtth part of the Eracls Or Acre text : Janet Shirley , 1999 .
4_ Medieual commerce : Howard . L . Adelson , 1962 .
5_ Saladin and the Fall of the kingdom of Jerusalem : Stanley lane Pool , London , 1985.
6_ The Crusades : Hans Eberhard Mayer , Translated : John Gillinghan , Oxford , 1988 .
7_ The Heritage of Tyre Essays on the history . Archeology .and preservation of Tyre . edited By : Martha Sharp Joukoweky , 1992.
8_ The Latin kingdom of Jerusalem : Jean Richard , translated : Janet shirley , 1972.
9_ Tyre throagl the ages : Nina Jidejin , Beirut , 1989.

Pre'sentation :

Tyr ,(Sour) , la main tendue à' la mer ; Tyr , la jument asuvage de la montagne qui hennit sur la surface magnifique de l ' eau . C' est une ville qui vous remplie d ' e'tonnement . Elle est tres riehe en histoire , chargée de aignifications et en liaison avec la mer méditerranée , car elle se courbe sur ses deux bords , situation qui fit d' elle le messager à trauers l' lustoire .

Tyr , c ' est la reine de la cote , la perle des mers , la ereuset de le eivilisation . C ' est une ila ruche en corrélation et en interaetion , qui a véeu la plupart des situions de solidarité avec les villes voisines Sidon , Byblos et Ougarit . Sa prosperite a rapporté la prodigalité , la seience et le patrimoine , et a contribué à fournir une eivilisation enraeinée qui a eu un rôle importan dans l' évolution de la eivilisation humaine .

Elle a eonduit par son développement rapide et sa domination sur le eommerce de la mer méditerranée , à la diffusion phénicienne et à l' etablissement des stations sur L' ensemble du bassin méditerranéen : Carthage sur la côte tunisienne , Marsille sur le côt francaise at Cdix , (Cãdiz) en Espagne ....

Elle a été le berceau du christianiame ; c' ast là – bas que fût bâtie la première église au mond et trausformée par la suite en évêehé .

Si la signification de Tyr c' est le roeher , Tyr est le roeher de la résistance et du défi , l' exempl de l' opposition eontre n' importe quel envahisseur . Elle s' est batue eontre les revers du tenps et ses terreurs et a affronté les armees eonsidérables des eroisés , un quart de sièche emiron , grâce à la résistance de ses habitants , leur patience et leur endurance face à la tyrannie des agresseurs .

Dès lors , elle deviendra la base du Royaume eroisé

De Jérussalem , qui s'éeroula après la bataille de Hittine 583\1187 gr . , ainssi que le centre de l'ètablissement du second royaumw de Jérusalem avec sa capitale AKKA . Cet évènement ouvrit une nouvelle période daus l'histoire de Tyr et celle des croisés , ce qui a contribué à l'augmentation de son aetivté commerciale et a fait d'elle le vrai concurrent de la ville d'AKKA.Elle fût le siège des eonptoirs commerciaux les pous importants d'Italie : Venise , Pizze , Naple et par conséquent sa relation avec Chypre et Beyrouth .
Ici , nous nous arrêtons pour confirmer que L'hustoire de Tyr, durant la periode des Croisés fût une bistoire riche en évènements qu il faudrait étudier à fond afin de conprendre les directives cultrelles , politiques et commerciales qui ont doniné l'hitoire de la ville penant cette période . Toutes ces raisons inportantes m'ont amené à choisir cette ville pour qu' elle soit le sujet de cette thèse à laquelle j'ai donné le titre :

" La ville de Tyr pendant la période des Croisades
489-690 \ 1096-1291gr . "

J'ai choisi de mettre en évidence l'importance géogra-Phique de la ville de Tyr , d' àpres son emplacement et l' immunité dont elle jonit , son importance politique , le rôle important qu elle a eu au teps des Croisades , en tant que ville côtière et port commercial .

Dans mon travail , j'ai rencotré pluesiers difficultés dont La grande abondance des ingormations politiques et leurs contradictions avec les sources arabes et étrangeres .

J'ai divisé ma Thesè 5 chapitres , que j'ai préfecés d'une Étude eritique de ses sources les plus importantes et l' étendue de leurs utilisations .

<u>Le 1er chapitre</u> : Tyr avant la 1ère Croisade : J'ai commencé par une étude globale de Tyr , de son importance historique , de la signification de son nom et son emplacement , pour

Traiter ensiute ses ressources agricoles et ses ressources en eau , ainsi que les indus tries principales de la ville comme l' industrie du poupre , l'industrie nauale et la fabrication de la uerrerie .

J'ai exposé les caractéristiques les plus impotantes de la ville :

Elle fût le port de Damas et à mi-chemin entre Sidon et AKKA . L'importance de sa transformation d'île en presqu' île sur la côte de la Méditerranée et sa position chrétienne reconnue . J'ai trminé le prmier chapitre en racontant sa dépendance administratve . J'ai traité le sujet de l' occupation arabe de la ville et son offectation aux troupes de la Jordanie , par conséquent sa partieipation daus le conflit des Séleucides et des Fatimides . Jai relate la fondation de la dynastie Bani-Oukail de même que ses conditions diffieiles sour le gouvernement de l'Etat Fatimide .

Le 2en chapitre : L'occupotion des Européens de la ville de Tyr le 23 Jumãda 1, le 7 Juillet 518\1124gr . dans lequel :

_ J'ai conclu l'explication de l'importance de la côte pour les Européens ainsi que le souci des croisés quant à la trausformation de Tyr en une fortification .

_ Ensuite , j'ai raconte le premier siège et la constuction du fort de Tahnine 498\1105gr.

_ Le 2e siège en 501\1105gr. Et la construction d'un fort sur la colline Tal Al-Maachouka .

_ J'ai reconte le 3e siège en 505\1112gr ., son importance et la raisons de son échec .

_ Le 4e siege en 1 an 506\1113 gr . et le5e en 509\1116-1117gr. Et l'édification de la citadelle d'Escandlioune .

_ L'occupation de Tyr et l'arrivée de la flotte venitienne aiusi que la signature d une convention 518\1124gr. Entre les vénitiens et le patriarche de Jérusalem .

Les concéquences de la chute de Tyr entre les mains des Croisés .

Le 3è chapitre: Il conprend une étude sur les conditions de Tyr , de l'occupation jusqu'à la paix AL-RAMLAH (518-588\1124-1192) .L'explication s'est concentrée aur :
_ Tyr sous le règne des rois latins de Jérusalem avant la bataille de Hittine , le problème écclésiastique rencontré la situation politique de la ville au temps de la bataille de Hittine et le refuge de Rémond III et Balin Ablin , dans la ville , durant cette bataille .
_ L'arrivée de Conrad de Monfrat le 5 Jumãda I, 583\ le 14 Juillet 1187 gr.
_ L'échec e Saladhin à l'assiéger et à l'occuper ainsi que les raisons de cet échec.
_ L'aide de Caonrade au roi de Jérusalem (Guy) pendant le siège d'AKKA .
_ L' arrivée des deux rois de France et d'Angleterre et la division des Croises en deux camps.
_ La mort de Conrade et la pris par Henri , conte de Champa gne , du commandement des Croisés .
_ La convention Al – Ramlah et la conservation de Tyr dans les mains des Croisés .

Le 4è chapitre: Tyr : de la convention Al – Ramlah jusqu'à la libération 690\1261gr :
Dans ce chapitre , j'ai raconté la situation de Tyr après la convention Al-Ramlah , et la transformation de son église en résidence pour le couronnement des rois latins de Jérusalem.
_ Ensuite , sa prise comme domicile du député impérial Flangérie .
_ Le conflit entre le député impérial et les anciens barons du royume .
_ Le retour de Tyr sous le pouvoir des Barons du royaume .
_ Le début du conflit entre les conptoirs commerciaux d' Italie et ses conséquences sur Tyr .

_ Ce chapitre conprend une étude sur la libértion de Tyr des mains des croises dans lequel j'ai raconté:

_ La situation de la ville sous le régime de Fhilippe Monfrat.

_ La situation de la ville sous le régime de Jonathan Monfrat .

_ La situation de la ville sous le régine de la Contesse Marguerite.

_ La libération de la ville et la démolition de ses fortifcations .

Le 5e chapitre : Les aspects de civilisation les plus importants de Tyr sour le règne des Croises (486-690\1096-1291) :

_ Dans ce chapitre , j'ai étudié la vie sociale de la ville par rapport à la con position de la population , les implantations des conptoirs commerciaux d'Italie , les conditions des musulmns à Tyr et les tribunaux , L'étude sur la vie économique fût , sur l'agrieulture et ses récoltes les plus importantes , sur le commerce , l'industrie , les exporations et importations les plus importantes , la monnaie specifique frappee à Tyr à cette période .

J'ai conclu ma thèse par un exposé des points les plus importants qui ont été anabysés ainsi que les résultats les plus imporyants qui ont été atteints et ce , dans le désir d'aboutir aux traits principaux , et aux caractéristiques historques de la ville de Tyr au temps des Croisades .

Je souhaite que cette étude soit une référence Importante dans la bibliothèque arabe , qu'elle puisse être utile aux étudiants et adeptes de l'histoire arabe , qu'elle les intéresse st leur fasse connaître les étapes importantes de l' histoire ancienne de Tyr .

En conclusion , je ne puis que présenter mes Remerciements et accorder ma grande gratitude et ma reconnaissance à mon digne professeur , Docteur Souheil Zakkar , qui a eu l'obligeance de diriger ma thèse , de me conduire dans la bonne voie de l'étude , et de m'encourager , par ailleurs , à continuer ma recherche , Il m'a aussi guidée de ses sages directnies , et des sources et référénces les plus imporantes de sa bibliotfèque qui contient les livres les plus précieux . Que Dieu le réconpense à ma place et au nom de la seience et lui accorde son dû de prodigalité abondante .